اللعبة

شريف حسين

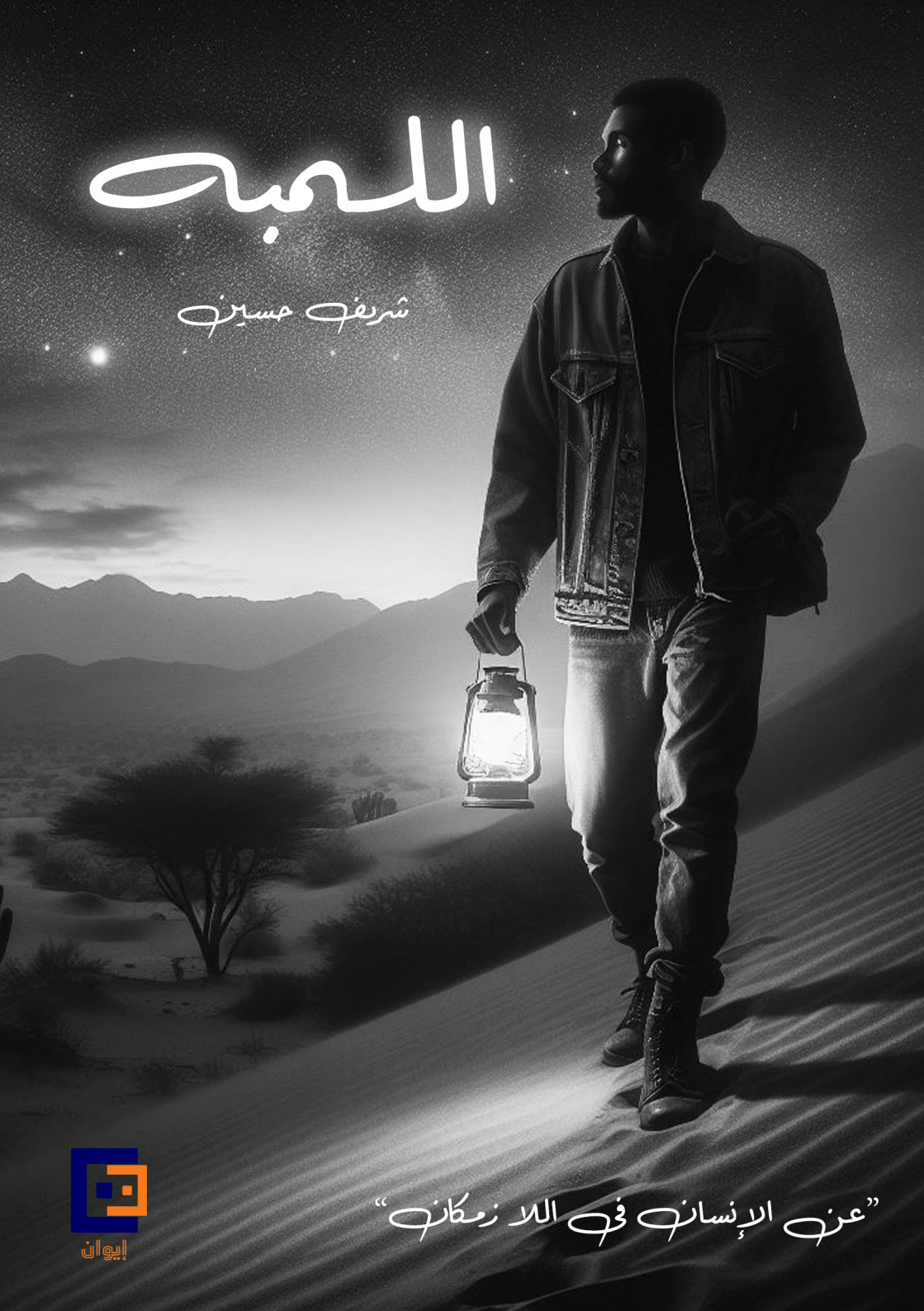

"عن الإنسان في اللا زمكان"

إيوان

اللعبة

"عن الإنسان في اللا زمكان"

شريف حسين

إيوان

الإصدار الأول: مارس 2024

إهداء لكل من خذلني،
لأنكم كنتم وقود هذا الكتاب!!!

شريف

اللمبه

"عن الإنسان في اللا زمكان"

1.	ليه	3
2.	اللى منعرفوش	14
3.	حاله من الغموض	26
4.	No Signal	40
5.	مسار كايروكى الأجبارى	56
6.	نقطة بدايه_1_الأختيارالأول	69
7.	نقطة بدايه_2_نقطه، و من أول السطر	77
8.	اللعبه"Under Pressure“	87
9.	ما بين "أشمعنى أنا" و "نظرية المؤامره"	104
10.	البعد الرابع "فرق توقيت"	123
11.	چين أبوكو أيه؟	143
12.	تحت السيطره ج1: فورمة الساحل	163
13.	تحت السيطره ج2: صناعة الوهم (أصنام و تابوهات)	191
14.	حقك فى الأنتحار	222
15.	"كارما"، و النسخه الأفضل منك	241

ليه

"لماذا أكتب ؟
لماذا ستقرأ ؟
لماذا نتواصل؟"

ليه؟

لما تقرر أنك تقرا الكتاب الأول لأى لكاتب، فمعنى كده أنك غالباً مسمعتش عنه قبل كده، و هنا طبعاً أقصد الكاتب، و طبعاً حيكون عندك كتير من الأسئله فى عقلك، و الغريب أنها كلها لازم تبدأ بكلمة ليه، و طبعاً برضه حيكون عندك كامل الحق فيها. علشان كده قررت فى بداية الكتاب بدل ما أكتب مقدمه تقليديه، و اللى غالباً محدش بيقراها، أنى أدمجها مع الفصل الأول، و يكون الفصل ده هدفه أنه يجاوبك على كتير من الأسئله اللى أجاباتها حتخليك تقرر تكمل فى قراءة الكتاب ده و لا كفايه على كده.

خلونى أبدأ بأول سؤال، و هو ليه حتضيع جزء مهم جداً من وقتك -و اللى هو فعلياً وقت مقتطع من عمرك- علشان تقرأ فيه الكتاب ده، و خصوصاً أنه الكتاب الأول للكاتب، و اللى زى ما قلنا، غالباً أنت متعرفوش؟

خلينى هنا أجاوبك من منظورين، الأول ككاتب للكتاب، و ثانياً لو بدلت الأماكن، و خليت نفسى مكانك كقارئ للكتاب. ككاتب للكتاب خلينى أحكيلك ليه أنا كتبت الكتاب ده، و أيه حكايته، و دى حتكون تانى ليه معانا فى الفصل ده.

البدايه كانت فى 2007، لما بدأت رحلتى مع صناعة الأفلام التسجيليه و الوثائقيه، بس بدايةً، أحب أعرفكم أنى فى الأصل مهندس معمارى، أشتغلت فى أكتر من مجال من مجالات الهندسه، لكن عشقى للأفلام التسجيليه بدأ معايا من سن ال12 سنه تقريباً، و فضل الحلم ده معايا سنين، لحد ما تمكنت من تكوين فرق عمل معايا، و قدرت كمان أوفر الفلوس الكافيه لشرا كل المعدات اللى كنت محتاجها، و بدأت رحلتى كمخرج تسجيلى مستقل زى ما قلت بدايةً من 2007.

خلال رحلتى على مدار ال16 سنه دول، مكنش بيهمنى مصير الفيلم أيه، حيتباع و لا لأ، طيب حيتقبل فى أى مهرجان، كل ده مكنش مهم، لكن كان المهم عندى أنى أعمل الفيلم، أنى أرصد الحاله اللى شدتنى و خلتنى أبذل كل المجهود و الفلوس دى

علشان أوثقها، و ممكن كمان أسافرلها أكتر من 20 ساعه للتصوير، لدرجة أن مره كان التصوير فيها بره مصر.

22 فيلم و حالياً شغال فى التسجيلى رقم 23، هى حصيلة أفلامى التسجيليه اللى عملتها لحد لحظة كتابتى ليك دلوقتى، أولادى اللى بعتز و فخور جداً بيهم، لكن للأسف معدلات أنتاجى قلت جداً الكام سنه اللى فاتوا، و للأسف معاها كمان أتغيرت نوعيات مواضيع أفلامى، و ده بسبب صعوبة الحصول على التصاريح، و سؤال ليه اللى أصبح دايماً بيقابلنى، سواء لو حبيت أخد التصريح، و دلوقتى زاد عليه ليه تانيه من الجهه أو الأشخاص اللى أخترت أصور معاهم، لأن نظرية المؤامره أصبحت هى المسيطره على تفكير كل الناس، خصوصاً مع مخرج مستقل زيى. بأختصار و علشان ما طولش عليك، بدأت قدرتى على أنى أعمل الشئ اللى أخترته الهدف الأول لحياتى تتلاشى، و قدرتى هنا طبعاً مش مقصود بيها قدرتى أنا، لكن أقصد قدرتى على أنتاج عمل فى ظل الظروف الحاليه.

لكن زى ما حتقرأوا معايا فى الكتاب، عملت بالحكمه اللى حأنصحكم بيها فى واحد من فصول الكتاب ده، و هى "إذا لم تفعل ما تحب، فحب ما تفعل"، و من هنا قررت أنى أعمل الشئ اللى بحبه، لكن من خلال قالب تانى أو Platform تانى، و أخدت قرارى من حوالى 4 سنين أنى أبدأ رحلتى مع الYoutube و بعض مواقع الPodcasts، و ده من خلال كتابة بعض البرامج المعلوماتيه، و اللى بتهتم بتحليل ما وراء المعلومه.

الخطوه دى فعلاً كانت خطوه فارقه فى حياتى، تغيير بسيط فى المسار كان لازم أعمله، علشان أقدر أواصل الحياه، و ده حيكون واحد من أهم محاور الكتاب، التغيير دى نقلنى لدنيا تانيه، بتشوف فيها نتيجه شغلك بشكل شبه مباشر، بتقرأ أراء الناس فى شغلك بدون تملق، ناس لا أنت تعرفهم و لا هما يعرفوك، لكن اللى بينكم و بين بعض هو شغلك، بتتعلم من بعض الأراء و التوجيهات اللى بتجيلك فقادر تطور من نفسك طول الوقت.

عملت خلال ال4 سنين دول أكتر من 200 حلقه، كانت كل حلقه بالنسبالى أشبه برسالة دكتوراه، بحضر فيها كتير جداً، بالضبط زى ما كانت و ما زالت الأفلام

التسجيليه بالنسبالى، و أكتسب خبره كبيره جداً فى كتابه ما يسمى بالArticles أو المواضيع و تحويلها لشئ Visual أو مرئى، و ده أكسبنى الخبره أو الجرأه فى أنى أقتحم موضوع جديد، لكن قبل ما أتكلم فيه معاكم، لازم أرجع بيكم لورا، من بدايات حياتى، لمشكلتى المزمنه، و اللى أرقتنى طول حياتى، و ضيعت عليا كتير من الفرص اللى فعلاً ندمت عليها فيما بعد، لكن أصبحت الميزه الأكبر اللى خلتنى أخد خطوة الكتابه فى هذا النوع من المواضيع، و أنا مش خايف أو قلقان من الغلط أو الأنتقاد.

****

صفه لازمتنى طول حياتى، تقريباً بدأت معايا من سن ال8 سنين، لكن مبدأتش أحس بيها غير من تانيه ثانوى، سن ال16، و بعد ما أغلب أصدقائى فى الفصل توجهوا لأستكمال تعليمهم للشهاده الأنجليزيه، و أنا لأسباب حأشرحها فى واحد من فصول الكتاب مقدرتش أعمل زيهم و كملت ثانويه عامه، و هنا زى ما بيقولوا أنكشفت ورقة التوت الأخيره اللى كانت مغطيه شخصيتى، و هى عدمت قدرتى على التأقلم مع الناس، أنى شخص كنت و ما زالت طول الوقت لا منتمى للعالم اللى حواليه، و ده كان بسبب الخجل الشديد أحياناً، و بسبب أنى مش حاسس أنى متوافق مع الناس اللى حواليا فى أغلب الأحيان، و أنى كنت متحامى طول الكام سنه الأول فى حياتى بمجموعة أصدقاء عرفتهم من سن الأربع سنين، فى مرحلة لسه مكنتش شخصيتى أتكونت بالشكل الكافى.

سنين عدت، و أنا عايش كأنى بشوف الحياه من بره، حتى لو كنت بالفعل جزء من الحدث، بتفرج على Game لكن مش عايز ألعبه، فأصبحت بالعب طول الوقت دور The Observer أو المراقب لكل حاجه حواليا، حاجه كده شبه فكرة حكم الVAR فى كرة القدم، فبقيت أكثر أهتماماً بمراقبة الحياه و سلوكيات الناس و تحليلها، و متابعة الGame اللى الناس جزء منه و عايشه فيه، و هى مش فاهمه أنه مجرد Game، و الفكره دى هى موضوع كتابى التانى "Apocalypse" أو نهاية العالم و اللى بجهز فيه حالياً بالتوازى مع الكتاب ده، و اللى حأشرح فيه حقيقة فكرة الGame اللى كلنا عايشين، و اللى غالباً أحنا فيه مجرد قطع فى لعبه، زى عساكر الشطرنج.

المهم كل السنين اللى عدت، و نتيجه لمئات التجارب اللى مرت بيها -سواء كنت مشارك فيها- أو مجرد بأرصدها من بره، و تبعاً لمبدأ أن اللى بره دايماً بيشوف الصوره بشكل أشمل و أفضل، فكل ده أضاف ليا حصيله كبيره جداً من عنصرين، الأولى هى كم من الخبرات عن أهم السلوكيات و الأخطاء الأنسانيه الحياتيه المتكرره، و اللى ممكن بتعديلها تكون تجاربنا الحياتيه أفضل بشكل كبير ، و التانيه و دى الأهم و هى ما يسمى بالرؤيه، و الرؤيه ببساطه أنك يكون عندك وجهة نظر قادر تتبناها و تدافع عنها بالأدله و الحجج، و هما دول الحاجتين اللى جاى أشارككم بيهم فى الكتاب ده.

****

أرجع تانى بيكم للنقطه اللى كنت واقف عنها قبل الكام فقره اللى فاتوا، و هى بدايات مشوارى مع البرامج المسموعه و المرئيه، و بعد ما كتبت و أخرجت عدد كبير جداً من البرامج المعلوماتيه، خلال الفتره اللى كانت أكتر فتره أختلطت فيها بناس فى حياتى كلها، و ده طبعاً كان من خلال فكرة أن فيه فريق عمل، أكتشفت أنى بدأت بشكل شخصى أعانى من كل المشاكل الحياتيه اللى رصدتها خلال عمرى كله. أختلافات وجهات النظر بينى و بين كل الناس اللى بدأت أتعامل معاها كانت كبيره و عميقه، و ده خلانى أفكر فى فكره نصف شيطانيه، و هى أنى أوجه رسايلى بشكل غير مباشر لفريق العمل اللى معايا، و ده عن طريق برنامج بنشرح فيه للناس كل أنواع المشاكل الحياتيه دى، و أزاى نقدر بهدوء و بساطه نتجنبها، ده إن مكنش عندنا القدره على حلها حل نهائى.

عملنا البرنامج كPodcast و نزل تقريباً على أغلب منصات الPodcasts و نجح جداً، لدرجة أنه أخد ترتيب كويس جداً بين كل البرامج الناطقه بالعربى، بالرغم من أن كل اللى نزل منه كان 3 حلقات بس، بس أنا كانت صدمتى كبيره جداً أن البرنامج نجح، لكن أنا اللى سقطت، لأن البرنامج محققش أى تغيير فى فريق العمل اللى معايا، بما فيهم من قدمه بصوته و كان بينصح الناس من خلاله، و دى كانت أهم نقطه خلاف بينى و بينهم، و هى أحنا بنقدم البرنامج ده -أو كل برامجنا اللى قبل كده- ليه؟ و أنا ليا مقوله دايماً بقولها فى طبيعة العلاقة بين أى مجموعه من الناس بتتشارك فى أى حاجه، و دى برضه حتكون موضوع واحد من فصولنا و هى: **"أختلاف الأهداف هى بداية الخلاف".** من هنا وقفت البرنامج و أكتفيت بس بال3 حلقات اللى نزلوا،

و ركنت الفكره لمدة حوالى سنه، لحد ما قلت لنفسى طيب ليه بما أنى مش حأقدر أقدمه بصوتى، نظراً لأن الموهبه دى للأسف مش عندى، ليه محلولوش لكتاب؟ و بما أن الحياه أصبحت أسهل و الكتب مبقتش مطبوعه و بس، لكن ممكن كمان تنزل Pdf على منصات كتير، طيب ليه مأخوضش التجربه دى؟ و من هنا جاتنى فكرة الكتاب ده، اللى أتمنى أن اللى حيقتطع جزء من وقته و يقراه –حتى لو أجزاء بس منه-، ميندمش على أى وقت ضيعه فى قراءة الكتاب ده.

كده أكون أنا جاوبت على أول ليه من الليهات الكتير الموجوده فى الفصل ده، أو لو أعتبرتها مقدمه للكتاب، سميها ما شئت، لكن كل الأسباب السالف ذكرها كانت هى الدوافع و الأسباب أنى أخوض تجربة كتابة الكتاب ده، اللى هو الأول ليا، علشان نتشارك مع بعض فى طرح بعض مشاكلنا الفعليه، و نشوف أيه منها أحنا قادرين نحله بنفسنا، و أيه منها نقدر نتجنبه.

****

نوصل لليه التانيه، الليه الخاصه بيك أنت كقارئ، ليه تقرأ كتاب زى ده؟ ليه ممكن تضيع وقتك فيك؟ هل حيكون لمجرد التسليه، و لا فيه حاجه ممكن تطلع بيها من قرايته؟

طبعاً أنا مش حاجاوبك على السؤال ده بشكل مباشر، لكن حسلمك مفاتيح توصل بيها لأجابه، و الأكيد أن كل واحد منكم ممكن يطلع بأجابه مختلفه تماماً عن الأخر، و فى حكمه أنجليزيه بتقول "One man's poison, is another man's gold"، بمعنى أن اللى حيكون مش كويس بالنسبالك ممكن يكون كنز بالنسبه لغيرك، و طبعاً العكس صحيح.

أول مفتاح حأسملهولك هو مفتاح الحقيقه، و هو الهدف المطلوب وصوله من الكتاب ده، و بمنتهى صدق حتكون أجابتى على السؤال ده. بدايةً، الكتاب ده مش هدفه خالص أنى أوصلك أن الحياه حلوه و أنك تشوف النص المليان من الكوبايه، بالعكس خالص، و هنا خلونى أقتبس فقره مكتوبه فى واحده من فصول الكتاب بتلخص فكرتى:

"فى الكتاب ده مش جاى أقولكم خالص أن الحياه حلوه، أو أنى أحاول أدى نظره متفائله ليها، بالعكس خالص أنا شخص مقتنع زى كتير منكم بعبثية الحياه اللى مكنش لنا حق الأختيار فى أننا نخوضها، بس أنا جاى في الكتاب ده بخبرات حياتى الكتيره اللى مريت بها، أشاركم فى فكرة أزاى نعدى من تجربة الحياه الصعبه دى بأقل خساير، أزاى نقدر نتغلب على بعض من المشاكل الكتيره اللى بتحاصرنا، لأن أحياناً الشخص لما بيكون واقع فى مشكله، مش بيكون دايماً مركز فى أفضل الطرق لحلها، بالرغم من أن الحلول ساعات ممكن تكون سهله جداً و قدام عنيه."

إذن فأحنا بنعيش فى حياه مكنش لنا الحق فى أختيار أننا نخوضها أو لأ، لكن فى نفس الوقت أحنا مضطرين نكمل فيها، و نكمل فيها بشكل منكنش واقعين فيه تحت ضغوط طول الوقت، سواء ضغوط نفسيه أو ماديه، أو أى نوع تانى من الضغوط. طيب أزاى نقدر نكمل بشكل شبه مريح، و بأقل الخساير، ده إذا مقدرناش نوصل لمكاسب؟ للأسف دايماً الشخص الواقع تحت ضغوط، أو اللى فى قلب المشكله، بيكون مجال نظره ضيق جداً، مش بيقدر يشوف كل الحلول المتاحه، لأن عقله بيكون زى عدسة الكاميرا الClose أو القريبه جداً، فالScope أو مجال الرؤيه بتاعه بيكون محدود، بينما لو فى شخص شايفه من بره، حيكون شايف بعدسه Wide أو واسعه، فمجال رؤيته أوسع و أشمل، و الأهم بيكون شايف حاجات الشخص نفسه مش بيكون شايفها، فخلينا نتفق أننا حنُرسى مع بعض فى الكتاب ده Guidelines أو خطوط تكون زى دليل لحل كتير جداً من المشاكل الحياتيه.

****

تانى مفتاح و هو مفتاح حساس جداً، لكن من المهم أنه يكون واضح، و هو خاص بنقطة التوجه الدينى للقارئ. أنا أثناء الكتابه مش بكون عارف ديانة الشخص اللى ممكن يقرا الكتاب ده أيه، أو عقيدته أيه، أو حتى لو كان بلا أى توجه دينى، علشان كده حرصت أن الكتاب يكون مفتوح، مش بيناقش أى مشاكل أو بيطرح أى حلول بأى شكل دينى، حتى لو كانت بعض المواضيع لها أجابات دينيه، بس وجهة النظر اللى تم تبنيها فى الكتاب ده، أن أكيد كل قارئ عارف الدين الخاص بيه بيقول أيه، و مش هو بس، ده أكيد أغلب الناس عارفه تعاليم دينها، لكن أحنا حنناقش و نقدم

حلول فى أطار من التفكير المنهجى و العقلى و الأنسانى، لكن بما أن أى دين أو عقيده أياً كانت، هدفها الأول الأرتقاء بالأنسان و وضع أطر و ضوابط للعلاقات بين الناس، فدايماً حتظل الأهداف الدينيه و الأنسانيه واحده.

تالت مفتاح و هو أن مواضيع الكتاب ده بتكمل بعضها، لكن فى نفس الوقت كل موضوع له أستقلاليته التامه، و دى كانت المنهجيه اللى قررت أتبعها فى كتابته، و ده حيتيح لك أنك تقرأ الكتاب من أى فصل، و بأى ترتيب، أو تكتفى بأنك تقرأ اللى أنت عايزه بس، أو الموضوع اللى ممكن تحس أنه يهمك أو لمس معاك و بس، و ده كان واحد من أهداف الكتاب.

****

نوصل لتالت ليه عندنا و قبل الأخيره، و هى ليه أنا كتبت الكتاب باللغه العاميه و مش بالفصحى، أو حتى اللغه الأدبيه الوسيطه؟

اللغه العربيه واحده من اللغات –إن مكنتش أكتر اللغات- اللى فيها فجوه كبيره جداً بينها و بين متحدثيها، و ده له سبب مهم جداً أحب أشرحه، و هى أن اللغه العربيه مكنتش اللغه الأصليه ل90% من متحدثيها، اللغه العربيه دخلت على دول هى بالفعل كان لها حضاراتها و ثقافتها، و بالتالى لها لغاتها الخاصه بيها. مكنش سهل على أهل الدول دى زى مصر و بلاد شمال أفريقيا أنها ترمى فجأة لغات كانت بتتكلم بيها، و تتكلم لغه جديده و غريبه عليهم تماماً، يعنى من ضمن المعلومات الأكيده أن فى قرى فى الصعيد فضلت تتكلم اللغه القبطيه –و هى لغة مصر لحد دخول الأسلام- لمدة 300 سنه بعد دخول الأسلام.

عايز أوضح نقطه أن اللهجه العاميه مش حديثه، يعنى مكناش بنتكلم فصحى و فجأة قلبنا للعاميه، لأ هى موجوده من يوم دخول اللغه العربيه، و بتتطور كلغه عاميه مع مستحدثات العصر، بالضبط زى عامية التوانسه و المغاربه و الجزائريين، و اللى أخدت من لغتهم الأمازيغيه الأصليه كلام كتير جداً، و فيما بعد أمتزجت مع اللغه الفرنسيه و طورت العاميه من نفسها مع كل مُستحدث. أنا من فتره بسيطه سمعت بعض الأزجال من فترة المماليك، لقيتها بالضبط نفس اللهجه اللى أحنا بنتكلم بيها حالياً، إذن فعاميتنا بتحمل صفات الشخصيه المصريه، بتحمل جذور من اللغه

القبطيه فى كتير جداً من المفردات اللى بنستخدمها فى حياتنا اليوميه، إذن و بما أن العاميه هى اللهجه اللى أنا و أنتم بنستخدمها فى كل تفاصيل حياتنا، فليه أكتب كتاب هدفهالتواصل معاك، و أول خطوه فيه –و هى لغة التواصل- تعمل بيننا نوع من الBlock أو القفله.

كان ليا تجربه فى بدايات شغلى كمخرج تسجيلى، و هى أنى قررت فى بداياتى أنى أكون واحد من المكاتب التابعه لأحد قنوات الأفلام التسجيليه الكبرى، و فعلاً قابلت مدير القناه و رحب بالفكره، بس بشرط أنى أبعت عينات من شغلى لكن بشروط محدده خاصه بالقناه، كان من بينها أن الحوار و التعليق الصوتى لازم يكونوا بالفصحى، و بالفعل حولت التعليق الصوتى لأتنين من أفلامى بالفصحى علشان أبعتهم، و أتقبل الفيلمين لكن أنا مكنتش حاسس أن الأفلام بالصياغه ده ممكن تنتمى ليا بأى بشكل. و الحمد لله أن التجربه مكملتش سنه، و إلا كنت حأتقولب فى شكل ألى جداً بالنسبالى. و مره تانيه الحمد لله أنى رجعت تانى للأصل اللى أنا أبتديت بيه. يمكن بعضكم ميعجبوش كلامى، يمكن البعض التانى يحس أن النقطه دى ممكن تكون ثغره و نقطة ضعف للكتاب، بس أتمنى أن محدش يستعجل فى الحكم لحد ما يقرأ من الكتاب ما يجعله قادر على الحكم بشكل كامل.

****

الليه الرابعه و الأخيره هى أسم الكتاب "اللمبه"، و الليه دى لها حكايه طريفه جداً، ده غير أنها جت بالصدفه البحته. فى البدايه كان أختيارى لأسم الكتاب هو نفس أسم البرنامج اللى كان نواه للكتاب، و كنت أستقريت عليه خلاص. لكن أثناء عملية ترتيب للمكتبة الخاصه بيا، وقعت عينى على كتاب كنت أخدته هديه و أنا فى زياره لمعبد بوذى، و ده كان أثناء زيارتى للهند من 10 سنين، و كان الكتاب لأهم أقوال و تعاليم بوذا، كنت قريته أول ما ما رجعت مصر و نسيته تماماً بعدها، و بالمناسبه البوذيه ليست ديانه بل تعاليم، و بوذا نفسه فى الكتاب ده بينفى أنه إله أو ملاك، المهم الكتاب كان أسمه "Be a lamp upon yourself" أو كون مصباح ينير لك، و بالمناسبه فكلمة بوذا أو بنطقها الصح المُفترض "بودا"، معناها "المتنور، و هى ده الفكرة الرئيسيه فى الديانه البوذيه، أكتشاف النور الداخلى داخل الأنسان .

الأسم شدنى جداً بشكل غريب، خصوصاً أنها نورت عندى أنا شخصياً نقطه مهمه جداً، أن فى كل الأديان و العقائد النور دايماً هو المرادف للعلم و المعرفه سواء كانت معارف حياتيه أو روحانيه، مرادف للوصول لمرحلة الفهم الكامل لكل شئ. مثال فى سورة البقرة، الأيه 257 **"الله ولى الذين آمنوا، يخرجهم من الظلمات إلى النور"**. أما فى المسيحيه و اليهوديه، ففى سفر أشعيا من العهد القديم المشترك بين الديانتين إصحاح 60 العدد 1: **"قومى أستيرى لأنه قد جاء نورك"**، أما فى العهد الجديد اللى هو خاص بس بالمسيحيين، ففى سفر متى إصحاح 5 العدد 14 **"أنتم نور العالم، لا يمكن أن تخفى مدينه موضوعه على جبل"**. أما الأغرب فحنلاقيه فى المحافل الماسونيه، أن الأشخاص اللى بيوصلوا للدرجه 33، و اللى بتمثل أعلى درجه من المعرفه فى الماسونيه، فأسمهم "المتنورين".

كل الأسباب دى، مع أسم الكتاب الأهم لبوذا، خلونى أقرر تغيير أسم الكتاب ل "اللمبه" لما تحمله الكلمه من مضامين فى كافة الأوساط و الأديان و المعتقدات و الأيدولوجيات، و من هنا كان أختيار أسم للكتاب ده، و اللى أتمنى فعلاً أنه ينور عندكم أى جزء ممكن يكون محتاج يتعمل عليه Spot و لو بسيط عليه، أتمنى أنه يساعد فى تحليل كتير من معاركنا اليوميه مع الحياه، و أخيراً و لتانى مره أتمنى أن أى وقت حتقضيه مع الكتاب ميمثلش بالنسبالك أى وقت ضايع، لأن الحياه فعلاً لا تحتمل أى لحظه تضيع فيها.

****

ملحوظتين مهمين أحب أختم بيهم الفصل ده أو المقدمه دى، الأولى خاصه بالعنوان التانى للكتاب، و هو العنوان الوصفى "يوميات الأنسان فى اللا زمكان" و اللى يهمنى توضيحه هنا هو كلمة "زمكان".

زمكان هو تعبير فيزيائى، و هو ترجمه للتعبير اللى أستخدمه العالم العظيم ألبرت أينشتاين، و أعتبر فيه أن الزمن هو البعد الرابع للمكان، و المصطلح الأنجليزى هو "Spacetime" لكن تُرجم بالعربى لكلمة زمكان بدلاً من الترجمه الحرفيه و اللى حتكون مكان الزمان، و معنى الكلمه هنا -و اللى قصدته فى العنوان- هو أنى ححاول

أناقش نوعيه من المشاكل أو الصفات الأنسانيه الموجوده فى كل زمان و مكان، فده بس توضيح حبيت أقوله لفهم معنى الكلمه.

تانى ملحوظه، و هى أعتذار، و فيها بعتذر لكل قارئه لهذا الكتاب، لكن الذنب فعلاً مش ذنبى، و أعتذارى عن أن اللغه العربيه -سواء عاميه أو فصحى- بتحدد الجنس فى ضمير المُخَاطب، و معاه بيتحدد جنس الأفعال، يعنى أنت فعلت أو أنتى فعلتى، عكس أغلب اللغات اللى أصلها لاتينى زى الأنجليزيه، فكلمة You و الفعل اللى بييجى وراها بيكون محايد، يعنى ممكن يكون المُخَاطب رجل أو أمرأه. و بما أن اللغه العربيه أكثر دقه، و بما أنى مش كل مره حافضل أقول أنت و أنتى، و بما أن أغلب اللغات - بما فيها اللغه العربيه- هى لغات ذكوريه، فللأسف حاكون مضطر أستخدم الصيغه المذكره، بما أنها المتعارف عليه لغوياً فى حالة عدم تحديد الجنس، و ده غصب عنى و الله، و أتمنى من كل القارئات يقبلوا أعتذارى عن هذه الغلطه الغير مقصوده.

13 فبراير 2023

"لماذا نبنى أختياراتنا على المتعارف عليه فقط؟
لماذا نصدر طول الوقت أحكاماً مسبقه؟ "

اللى منعرفوش

شر البلية ما يضحك، و دى مقوله واقعيه جداً، و اللى حأتكلم عنه فى الفصل ده مش بليه واحده، لكن بلاوى، و للأسف كلها غلطات -أحنا مش عارفين و مش مقتنعين خالص أنها ممكن تكون غلط-، و ده أسوأ ما فيها، الغلط اللى بنعمله، و أحنا مش مقتنعين أنه غلط، و على رأى المتنبى **"كَمْ ذَا بِمِصْرَ مِنَ المُضْحِكَاتِ وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كَالبُكَا"**.

حأبدأ معاك الفصل ده بمشكله كبيره جداً و لها أشكال و متحورات كتير، لكن مش هى المشكله الرئيسيه فى الفصل، لكنها حتكون المدخل اللى حأدخل من خلاله على المشكله الرئيسيه، لكن التسلسل ده مهم جداً علشان تفهم معايا طريقه التفكير اللى بتحكم حياتنا، و اللى بنبنى على أساسها أغلب قرارتنا فى الحياه. المشكله العامه اللى حأتفرع منها للمشكله الرئيسيه عندنا هى مشكلة التعميم.

التعميم هو المشكله اللى بتعانى منها أغلب -إن مكنش كل- الشعوب العربيه، لأن التعميم جزء من ثقافتنا، و التعميم معناه ببساطه تطبيق نفس الحكم أو الرأى أو وجهة النظر على كل الناس أو على كل الحالات، دون النظر لأختلاف كل حاله عن التانيه. التعميم له نماذج كتير جداً فى حياتنا، تقريباً هو داخل معانا فى كل تفاصيل حياتنا، لكن أنا أخترت منهم بعض النماذج، اللى من وجهة نظرى هى الأكتر تأثيراً على مسار حياتنا، و اللى مخليانا زى ما دايماً بقول بنمشى فى مكاننا، مبنقدرش نتقدم خطوه لأننا أسرى النمط ده من التفكير.

خلونى أبدأ بالنموذج الأخطر من وجهة نظرى على الأطلاق و هو الأحكام و الفتاوى الدينيه، و دى للأسف كارثة الكوارث، لأن ببساطه مفيش حكم أو فتوى يصلح لحالتين على الأطلاق، لأن طبعاً كل حاله أنسانيه فى الدنيا لها خصوصتيها، و تعالوا نفتكر موضوع طرحته الأعلاميه هاله سرحان، و أستخدمته وقتها علشان طبعاً تعمل فرقعه و تعلى نسبة مشاهدات البرنامج بتاعها، و قلبت الحلقه وقتها مسخره و تريقه، مع أن الحاله اللى صدرت فيها الفتوى كانت حاله خاصه جداً، و لم تتكرر،

ده طبعاً بعيداً عن أحتمالية صدق المرويه الأصليه أو لا، لكن أنا هنا بتكلم عن الحاله اللى أثارتها هاله سرحان، مش حالة الفتوى نفسها.

الموضوع وقت ما أثارته الأستاذه الأعلاميه سبب مشاكل كتير جداً، كانت قربت توصل لفتنه طائفيه بجد، و ده بسبب دخول قس مسيحى على الخط، و الخط هنا مش قصدى بيه أتصال تليفونى، لكن أقصد أستغلاله للموضوع فى برنامجه على أحد القنوات المسيحيه. وقتها قامت الدنيا و مقعدتش، و طالب مسلمين كتير بأغتيال القس ده، مع أن الموضوع فعلاً من الأساس ممكن ميكنش صح، أقصد الفتوى اللى تنبنتها هاله سرحان، و اللى مكنش لها لأى فايده و لا هدف غير الفرقعه الأعلاميه.

هاله سرحان بدأت تقترح أن كل الناس تعمل بالفتوى ده، و ده كان مسار السخريه فى الحلقه، لكن ده اللى يهمنى، و ده اللى أنا عايز أوصله، و هو هل الفتوى تصلح لكل زمان و مكان؟ لأ طبعاً، و ده ياخدنى لنقطه مهمه جداً، أن عاملى الزمان و المكان بيفرقوا جداً فى الفتوى. حيطلعلى شخص ما يقولى ده دين، يعنى أحكام ثابته و مفيهوش الكلام ده، أرد بكل بساطه و أقوله مكنش بقى فى مذاهب أربعه بتختلف فى كتير جداً من الأحكام فيما بينها، حتى من غير أختلاف العصر، يعنى المذاهب الأربعه ممكن تختلف فى رأيها فى نفس الحاله أصلاً، و على أرض الواقع ده بيحصل فى كتير جداً من الحالات طول الوقت، و ده شئ صحى جداً، و ضرورى جداً، أن الفتوى تطبق على حسب الحاله، و أن كمان نفس الحاله يكون لها أكتر من أختيار. موضوع الفتاوى الدينيه حيكون له جزء مهم جداً فى أخر الفصل ده، لما أوصل معاك لموضوع حلقتنا الرئيسى، علشان نشوف تأثير الفتاوى و خطورتها، و أيه المدى اللى ممكن توصلهولنا الفتاوى.

أدخل معاك فى النموذج التانى، و هو نموذج الفتاوى الصحيه، و اللى بلا أستثناء كلنا كعرب بنشترك فيها، و بالأخص الستات، و هنا التعيم بيبجى فى شكلين، الأول هو عملية تشخيص الحاله، و التانى هو طبعا أقتراح العلاج.

طبعاً محدش مننا ماسمعش الست الوالده بتكلم واحده صاحبتها فى التليفون و تقولها "أه.. يبقى بيسنن، أو أه لو عنده مغص يبقى أديله كذا" و أحياناً أقلبيه على بطنه، أو أعملى فيه كذا و كذا، أهم حاجه فى الفتاوى دى -من وجهة نظرى-، أنها

بتم بالتليفون، يعنى بدون ما الشخص اللى بيدعى الخبره و بيشخص حتى يشوف الحاله أيه، هو أو هى بيشخصوا بالسمع و بس، و بتكون غالباً الفتاوى العظيمه دى خاصه بأطفال رُضَّع لا حول لهم و لاقوه، و عادى بنجرب فيهم بدعوى الخبره.

أو الشكل التانى و هو نصايح الأدويه، و اللى دايماً بتبدأ بالجمله الشهيره جداً "خده على مسئوليتى، أنا مجربه"، و دى للأسف بنعتبرها كعرب خبره و شئ واجب أحترامه، و ممكن كمان الشخص اللى بيفتى يزعل لو اللى بينصحه مخدش بكلامه، و طبعاً و بالرغم من أننا لسه موصلناش لجزء الأمثال، لكن عندنا مثل فاشل بيقول "أسأل مجرب و لا تسأل طبيب" و ده بعتبره واحد من أكتر الأمثال ضرراً فى التاريخ.

مش حنسى مره رحت الصيدليه لصيدلى صديق أشتكيتله من مشكله فى القولون عندى، فأصر يدينى حاجه ملهاش أى علاقه بحالتى، و كل ما أحاول أفهمه أن دى مش حالتى، يضحك و يفتكرنى مكسوف من أنى أعترف بوجود بدايات كرش، و أنى بحاول أجمل الموضوع، و فضلت أحاول أقنعه أن مشكلتى ملهاش أى علاقه بالدوا اللى كان عايز يديهونى، لكن هو عقله كان رافض تماماً أنه ممكن يكون غلط. طيب بجد ده مش حأقول هو أتخرج من كلية صيدله أزاى، لأ حأسأل دخلها أزاى من الأساس. المهم بأختصار أحنا كتير بنضر بعضنا بنصايح طبيه كارثيه، و حقيقى الغلط مش على اللى بيفتى، الغلط الفعلى على اللى بيسمع لكلامه و بياخد بيه.

****

شكل تانى من أشكال التعميم، و هو تعيم السمعه، و المعروف باللغه الأنجليزيه ب "Stereotype"، فيعنى أيه Stereotype؟

ببساطه هى فكرة الأحكام المسبقه على الناس نتيجه كونهم من بلد معينه، أو بيشتغلوا شغلانه معينه، أو من دين معين، أو أى حاجه شبه كده، فمثلاً أحنا كمصريين دايماً بنقول أن الدمايطه بخله، أنا معرفش ده بناء على أيه، و هل اللى بيقول الكلام ده عمره قابل أصلاً دمياطى فى حياته، بس هو أتربى على أن الناس بتقول كده، فبقت دى الحقيقه المسلم بيها بالنسبه له. و زى مثلاً سمعه موظف الحكومه اللى بيتعامل مع الجمهور أنه كذا و كذا، مع أن الحالات الأيجابيه دايماً بتكون أكتر بكتير من السلبيه.

خلينى أفكرك بحاجه كانت منتشره فى السبعينيات و التمانينيات و نص التسعينيات، و هى فكرة النكت اللى بتبدأ دايماً بالجمله الشهيره "مره واحد صعيدى" و دى كانت البدايه اللى بتمهدلك أن الشخص بطل النكته شخص غبى، طبعاً دلوقتى بدأنا نفهم أن ده أسمه تنمر، بس وقتها الكلمه دى مكنش حد يعرفها، و كانت النكت دى بتمثل شكل من أشكال التمييز عنصرى فى غايه الخطوره. عايز أقولك أن سكان أغلب المحافظات بره القاهره، مش بيحبوا القاهريين بسبب النظره العنصريه للقاهريين على باقى المحافظات، و اللى دايماً فيها تمييز و تعالى ملهمش أى مبرر.

نموذج رابع من نماذج التعميم، و هو برضه من النماذج الكوميديه، لكن برضه نموذج كارثى، و هو بيكون أما عند فئة الفنيين اللى بتشتغل بأيدها، أو فئة أصحاب العلم و الشهادات، متستغربش لأنى حثبتلك أن الأتنين بيقعوا فى نفس الغلطه الخاصه بالتعميم. نبدأ بالفنى و الصراع الدائم من وجهة نظره بينه و بين الشخص صاحب الشهاده، سواء كانت العلاقه بين فنى و مهندس، أو الممرضه و الدكتور، أو أى نموذج شبيه. أحساس الفنى طول الوقت بأنه أكتر درايه من الشخص الدارس، لكن بما أننا -على رأى عادل أمام- "بلد شهادات صحيح"، فهو بيحس دايماً أنه مقهور مع أنه الأفضل، و يمكن كمان يحاول دايماً أنه يوقع صاحب الشهاده فى الغلط، و ده الصراع الأبدى الدائم بين الخبره و العلم، و اللى عمره ما حينتهى.

خلينى أضرب نموذج بالنوع ده من الفكر و أرجع معاك للتمانينات من القرن العشرين، وقتها كانت العربيات اللادا منتشره جداً فى مصر، و كانت بتيجى من الأتحاد السوفيتى، مكناش لسه بدأنا نجمعها محلياً، و طبعاً الجو هناك تلج، ففى حاجه فى العربيه أسمها الترموستات -و دى اللى بتحدد المروحه تشتغل على درجه حراره كام- مبتشتغلش فى الأجواء المصريه بشكل جيد، لأن الترموستات كان مصمم لدرجات حراره أكتر بروده، فما كان من الميكانيكى المصرى العبقرى إلا أنه شال الترموستات من العربيات اللادا و غيره، و نجحت الفكره بشكل أكتر من ممتاز.

نجاح الفكره دى خلى كل الميكانيكيه ينفذوها مع كل أنواع العربيات اللى فيها مشكله خاصه بحرارة الموتور، مع أن العربيات دى كانت جايه من دول درجة حرارتها مختلفه تماماً عن روسيا، زى أيطاليا و اليابان، و طبعاً كانت المشكله بتتفاقم، و صاحب العربيه دايماً هو اللى بيشيل المشكله، كل ده ليه، لأن فيه فكره نجحت مع

عربيه معينه، فنجربها مع كل الأنواع، بدون الأهتمام بالتفاصيل العلميه، اللى من أهمها بلد المنشأ، و طبيعة تصميم الموتور، بس أحنا كده، لو حد نجح فى حاجه، لازم نطبقها فى كل حاجه.

النوذج التانى اللى حأضربه هو نموذج الدكاتره الكبار فى مصر، و للأسف كل ما الدكتور أسمه بيكبر، كل ما بيتعالى على الأهتمام بالكشف الدقيق لكل حاله بشكل خاص، و أذكر حالتين كانوا قريبين منى جداً، و كنت بروح معاهم للدكاتره طول الوقت، و طريقة تعامل الدكتور مع الحاله، لدرجة أنى لحد النهارده محمل الدكتور المعالج لأحد الحالات فيهم سبب الوفاة، بسبب تعاليه و رفضه عمل كشف أدق للحاله، و ده أنا شفته بعنيه، فكتب للحاله دوا للجلطه زودت السيوله جداً، بدون ما يقدر أن الحاله متستحملش، و أن الدوا ده مش مناسب لباقى المشاكل اللى عندها، و كانت السيوله دى سبب وفاتها خلال ساعات، و يمكن أنا كنت لسه ذاكر المثل بتاع صديقى الصيدلى.

للأسف كلا الطرفين سواء الفنى أو صاحب الدرجه العلميه، بيعتمد طول الوقت على خبراته السابقه، من غير ما يُدرك أن لكل حاله خصوصيتها، كل واحد فيهم مش عايز يطلع من وهم أن خبراته كافيه جداً لتشخيص أى حاله، و أنه قادر على التشخيص بالنظر بس، و للأسف أكتر، محدش فيهم بيتغظ من أخطائه.

نموذج خامس بس مش حأطول فيه، و هو نموذج المشاريع الناجحه. فى أغلب الدول العربيه لو حد عمل فكره جديده و نجحت، حتلاقى على طول أغلب اللى بيشتغلوا فى نفس المجال قلدوه أو سرقوا الفكره، يعنى مثلاً لما ظهر الكريب فى مصر، فجأه أصبح كل محلات الأكل بتعمل كريب، كأن المصريين طول عمرهم مبيكلوش غيره، و اللطيف جداً أنك أحياناً بتلاقى المحلات التانيه سارقه كمان نفس الأسم، زى الكم الهائل من محلات الفول اللى أسمها الشبراوى، أو محلات الكبده اللى أسمها الشرقاوى، أو محلات إصلاح الشكمان اللى أسمها الزقازيقى.

المشكله الحقيقيه أن السوق بيحصله نوع من التشبع، فبتلاقى أن الضغط بدل ما كان على محل أو أتنين، أتقسم على عشرين، و ده معناه أن دخلك أصبح عُشر اللى كان مفروض يدخلك، فبالتالى أغلب المحلات دى مش بتغطى حتى مصاريفها، و

علشان كده أحنا طول الوقت فى أغلب المجالات التجاريه عندنا كساد، لأن اللى بيقلد بيبوظ تركيبة السوق على نفسه قبل ما بيبوظها على اللى بيبدع و بيعمل حاجه مختلفه، لأن أغلب الناس مبتعرفش تقدر أمتى السوق حيوصل لحالة التشبع دى، لأن للأسف فى دولنا العربيه محدش بيعمل أى نوع من الدراسه قبل ما يبدأ أى مشروع، و النتيجه دايماً بتكون زى ما أحنا شايفين.... كساد.

****

أوصل بيك لسادس و أخر نموذج من أشكال التعميم، و اللى أنا بعتبره أهمهم - حتى لو مكنش أخطرهم زى ما قلت على موضوع تعميم الفتاوى-، لأنه للأسف بيمثل الثقافه العامه لشعوبنا، و جزء كبير من المبادئ اللى بتشكل حياتنا، و هو الأمثال الشعبيه. النوذج السادس ده أو الأمثال، هو اللى حيدخلنى معاك فى موضوع الفصل الرئيسى، لكن فى البدايه خلينى أوضح أن الأمثال دى ما هى ألا أقوال أتقالت من شخص فى ظرف معين، و هى يا أما بتمُثل ملخص قصه أو موقف، أو رأى شخص ما فى أحداث حصلت، و طبعاً وارد جداً أن رأيه يكون غلط.

خلينى أضرب مثال بالشكل الأول، و هو الأمثال اللى بتُمثل ملخص قصه، و نبدأ بالمثل اللى بيقول "اللى أختشوا ماتوا". المثل ده عباره عن مقوله أتقالت لما حصلت حريقه فى حمام شعبى للستات، فالستات اللى أتكسفت تطلع و هى مش لابسه ماتت فى الحريقه، فهل الأستخدام الحالى للمثل يحمل نفس المعنى الأصلى و المهم جداً للمثل؟ طبعاً لأ، المثل أتحول لحاجه تانيه لا علاقة لها بالأصل، و تحول لمثل تعميمى خاطئ جداً، بيوصم الناس كلها بالفجر بدون أى أساس. للأسف و بعيداً كمان عن كون فكرة الأمثال و التدليل بيها، هى غلط فى حد ذاتها، فكمان أحنا فى حالات كتير مش بنكون فاهمين المعنى الأصلى للمثل.

خلينى أضرب مثال تانى لنفس الشكل، و هو المقوله اللى أتقالت نتيجه ظرف أو حدث ما، و خلينى أتكلم عن المثل اللى بيقول "اللى يعوزه البيت يحرم على الجامع" و اللى أغلب -إن مكنش كل- اللى بيستخدموا المثل ده، مش فاهمين معناه الأصلى، و يكفى أنى أعرفكم أن الجامع هنا مش مقصود بيه المسجد خالص، لكن مقصود بيه جامع الضرايب اللى كان بيلف على البيوت و ياخد من الناس الضرايب، و على

فكره، فى مثل تانى بيكمل المثل ده لما كان جامع الضرايب بيتأخر أو مبيروحش يلم الضرايب من الناس فى وقتها، و هو "بركه يا جامع".

نوصل للمثل الكارثى، و اللى أتعملت الحلقه دى كلها علشانه، المثل ده يتكتب فيه كتب، مش مجرد فصل فى كتاب، لأنه بيمثل أخطر مفهوم فى عقلية أغلب الشعوب العربيه، و الشعب المصرى بشكل خاص جداً، و هو "اللى نعرفه أحسن من اللى منعرفوش"، المثل اللى بيمثل كل مشاكلنا مع الأخر، مشاكلنا مع العلم أحياناً، صراع الأجيال بين الأهالى و الأبناء، لدرجة أنه بيمثل أحياناً أرهاب و قتل زى ما حأشرح و بأمثله حصلت من واقع الحياه، كل ده من ال 5 كلمات دول.

****

بدايةً، أنا عايز أسأل كل اللى بيتبع المثل ده سؤال، ما اللى أنت تعرفه فى كل نواحى الحياه، غير اللى غيرك يعرفه، و غيرك ده عايش معاك فى نفس البلد، و ممكن يكون جارك فى الشقه اللى قدامك، فليه أنت تفترض أن اللى أنت تعرفه أحسن من اللى هو اللى يعرفه؟ أو العكس برضه، ليه هو يفترض أن اللى هو عارفه أحسن، و مقياس أحسن ده معناه أيه؟ هل معناه أحسن بشكل عام، و لا أحسن لك أنت بس؟ و حتى لو كان أحسن لك أنت بس، هو مين اللى قال كده، و هل هو أحسن لمجرد أننا عارفينه فنبقى فى الأمان؟ و الأمان ده ممكن يخسرنا فرص فى حياتنا ممكن جداً نندم عليها بعد كده، و خصوصاً طبعاً فى مجال العمل؟

أنا عايز أى حد فيكم يجرب تجربه مع أصحابه فى خروجه، و يقولهم تعالوا ناكل فى مطعم صينى أو يابانى أو حتى هندى، و يكونوا مجربوش النوعيه دى من الأكل قبل كده، أنا ممكن أقولك من دلوقتى كل اللى حيتقال، حتسمع "دول بياكلوا كلاب" مع أن و الله المنيو مفيهوش شاورمه كلاب أو شيش كلاب، أو "دول بياكلوا سمك نى"، و أضعف الأيمان حتسمع الجمله الأشهر: "ده أكلهم بيوجع البطن"، مع أنه ممكن يكون بياكل كبده و سجق من عند واحد واقف بعربيه على ناصية الشارع، و مش عايز أكمل الباقى، بس طبعاً "اللى نعرفه أحسن من اللى منعرفوش" و أحسن هنا حتكون بمفهوم "أضمن لأننا مجربينه". نفس المنطق حتسمعه لو حاولت تقنع

واحد صاحبك مبيشوفش غير أفلام عربى، أنكم تشوفوا فيلم روسى مثلاً، حيصر على العربى حتى لو كان تافه، و حيحاول يقنعك أن الفيلم تانى ممل و .....إلخ.

أنا طبعاً بحاول أدخل فى الموضوع ببدايه خفيفه، لأن الموضوع بجد كارثى، و خلينى أبدأ معاك من واحده من النقط اللى أنا ذكرتها كأثار للمثل ده، و هى فكرة صراع الأجيال، و عقلية الأهالى المتحجره، و اللى واقفه على اللى هى عارفاه.... و بس.

حأبدأ بتجربه شخصيه جداً حصلتلى و أنا فى سن ال16، و كانت السبب الرئيسى فى تغيير مسار حياتى 180 درجه. وقتها كنت فى أولى ثانوى، و كان فى شهاده بريطانيه بتتاخد و معترف بيها فى الجامعات المصريه، لكن أغلب الأهالى مكنوش سمعوا عنها وقتها، و هى الGCE، و اللى أتطورت فيما بعد لIGCSE، و كانت الشهاده دى ممكن تتاخد بعد أولى ثانوى مباشرة، بمعنى أنك كمان ممكن توفر سنه من عمرك.

وقتها حاولت كتير جداً أقنع والدى بيها بس رفض تماماً...ليه؟ لأنه مسمعش عنها قبل كده. أضطريت أكمل ثانويه عامه، بس معظم أصدقائى اللى أهاليهم كانوا عارفينها دخلوها و نجحوا، و طبعاً دخلوا كليات، و كنت أنا لسه فى ثانويه عامه. لما جه أخويا الأصغر يطلب أنه يعملها، طبعاً والدى وافق على طول...ليه برضه؟ لأنها دخلت فى أطار اللى يعرفه، مع أنه كان ممكن يتأكد وقت ما أنا طلبتها، بس هو ده صراع الأجيال اللى طول الوقت بيسببه المثل الشيطانى ده. للأسف معظم الأهالى مش بتثق فى كلام أو رأى أولادها، و اللى هما بالتأكيد عارفين دنيتهم أكتر من الأهالى، لكن طبعاً "اللى تعرفه أحسن من اللى متعرفوش".

أكمل معاكم شويه فى موضوع التعليم، و مدى أرتباطه بما يمسى "أحتياجات السوق"، و أن الدراسه لازم ترتبط بأيه الوظايف اللى السوق عايزها، لكن الأهالى ما زالوا عايشيين فى أطار طب و هندسه، و مش عارفين أن الزمن أتغير، و أن فى تخصصات تانيه بقى لها أحتياج كبير جداً، زى الGraphic Design، و الGenetics، و الPsychology. و بمناسبه الPsychology، كنت سمعت حوار بين أم و بنتها اللى نفسها تدرسه، بس البنت كل ذنبها أنها جايبه مجموع كبير يدخلها أى كليه. حوار كان غريب جداً، لكنه بيدلل على عقلية "اللى نعرفه". طبعاً سمعت العبارات المتوقعه زى: أيه اللى أنتى بتفكرى تدرسيه ده، و عايزه تتعملى مع

مجانين و يجننوكى و أنتى مش ناقصه، و فى حد يجيله فرصه يدخل الطب و يرفض، و أنتى حتندمى بعد كده، بنفس المنطق اللى ممكن تشوفه فى فيلم من الأربعينات من القرن اللى فات، و طبعاً و بالتأكيد أنتصر رأى الأم بالقوه الجبريه، و كأن اللى جايب مجموع كبير لازم يتعاقب. محظوظون هم أصحاب المجاميع المتوسطه.

****

فى مسرحية شاهد مشافش حاجه، قال سرحان عبد البصير -أو عادل أمام اللى جسد دوره- كلمه واحده فى منتهى الخطوره و هى "قالولو"، الكلمه اللى كانت أفيه مهم جداً فى العرض، لكن هى حقيقه واقعه فى كل مجتمعاتنا العربيه، و خلينى أربطهالك بموضوع المثل، و بأخطر حادثتين حصلوا فى مصر بناء على مبدأ "قالولو".

بدايةً، يعنى أيه الكلمه دى، أقصد كلمه "قالولو". يعنى أن فى ناس أهل ثقه، من اللى أحنا عارفينهم قالولنا معلومه، و أحنا بدون تفكير -طالما أنهم أهل ثقه- حناخد كلامهم على أنه كلام مسلم بيه، و أحياناً و زى ما حاحكيلكم، بناخده أنه دستور أو منهج حياه أو شريعه لازم نمشى عليها.

أحياناً بتوصل ثقتنا فى "اللى نعرفه" -و المره دى "اللى نعرفه" بتكون لأشخاص، مش لمعلومه-، لدرجة التقديس، فبنعتبر كلامهم وحى، مينفعش نراجع وراه، و ده بيحصل فى كافة نواحى الحياه، لكن حاخص هنا طبعاً الجانب الدينى، لأن "قالولو" هنا بتكون كارثه بمعنى الكلمه، وخلينى أكلمك على أشهر حادثتين "قالولو" حصلوا فى مصر، الأولى محاولة أغتيال الكاتب الكبير نجيب محفوظ، و التانية أغتيال الكاتب و المفكر "فرج فوده"، و الاتنين تموا بكلمه"قالولو".

خلينى أبدأ بمحاولة أغتيال الكاتب الكبير نجيب محفوظ، و اللي تمت بالفعل، لكن هو مماتش. فى يوم 14 أكتوبر 1995، أتعرض نجيب محفوظ للطعن بسكينه في رقبته على أيد شابين، و السبب كان ببساطه أنهم أتقال لهم أنه كافر و خارج عن المله، بسبب رواية "أولاد حارتنا"، و طبعاً بسبب الثقه المتناهيه فى الناس اللى قالتلهم -"أهل الثقه" يعنى-، و اللى كلامهم واجب التصديق، و طبعاً عدم معرفة الشابين بالروايه من الأصل، و يمكن بنجيب محفوظ نفسه، حاولوا يغتالوا أنسان، حتى بغض النظر عن مكانته.

الغريب أن الروايه مكتوبه من سنه 1950، يعنى قبلها ب45 سنه، أتنشرت فى الأول كمقالات مسلسله فى الأهرام، لكن وقتها أتوقفت و أتمنعت، و بعد 8 سنين عرف ينشرها فى لبنان، و الموضوع مات من وقتها، لحد ما حصل نجيب محفوظ على نوبل سنة 1988، و رجع مره تانيه أسم الروايه و فكرتها يتردد. طبعاً الأتنين اللى قاموا بمحاولة الأغتيال هما من الشباب بسيط الثقافه، و اللى علاقته بالأدب علاقه منعدمه، فهنا كان اللى منعرفوش حرام، لأننا سمعنا أنه حرام. بأختصار قالولو.

نيجى بقى لمحاولة الأغتيال التانيه، و اللى تمت بالفعل، و هى أغتيال الكاتب فرج فوده، و كانت فى 8 يونيو 1992، و المره دى كان السبب مناظره نظمتها الهيئه العامه لقصور الثقافه ضمن فعاليات معرض الكتاب فى 8 يناير 1992، و كان عنوانها هو "الدوله الدينيه و الدوله العلمانيه"، و كانت بينه و بين الشيخ الغزالى و مأمون الهضيبى مرشد الأخوان فى الوقت ده، و دكتور محمد عماره. بعدها ب5 أشهر بالضبط، قام شابين من أحد الجماعات بأطلاق النار عليه، و برضه كانت بسبب كتبه، و اللى مقراهاش لا اللى أغتالوه و لا اللى حرضوهم، لكن كان للمناظره و أرائه اللى قالها من خلالها، الدور الأكبر فى التحريض ده، لأن يمكن قبل المناظره محدش منهم كان يعرفه، و برضه كانت كلمة السر قالولو.

بالمناسبه فشخصية فرج فوده و محاولة أغتياله، تم تجسيدها فى فيلم الأرهابى سنه 1994 لعادل أمام، و كان من تأليف لينين الرملى و إخراج نادر جلال، و جسد دور فرج فوده الممثل الكبير محمد الدفراوى، لكن كانت فى الفيلم بأسامي و تفاصيل مختلفه.

طبعاً و زى ما قلت فى بدايه كلامى عن هذا المثل الكارثى "اللى نعرفه أحسن من اللى منعرفوش" أن الموضوع ده يتكتب فيه كتب، لكن بيتهيألى أنى قدرت أوصلك الفكره. طيب فى النهايه أنا عايز أقول أيه؟ عايز أقول فى الفصل ده، و اللى قسمته لموضوعين، الأول هو فكرة التعميم و الأحكام المعلبه، و التانى هو فكرة أن الحاجه اللى منعرفاش دايماً غلط، لدرجة الوصول للتكفير و القتل، لأن حل المشكلتين فى جمله واحده بس و هى "متسيبش حد يفكرلك"، متثقش فى أى شخص، أياً كان، لدرجة التقديس، خلى دايماً رأيك من دماغك، متحرمش نفسك من حقها فى المعرفه و الأختيار، بس يكون مبنى على دراسه، متحكمش على شئ من غير ما تعرفه كويس،

و إذا كنت مش قادر أو مش عارف تدرسه، فخليك محايد، فرص المعرفه الأيام دى كتير جداً، و متاحه للجميع.

و ده يرجعنى لأيام ما كنت صغير، و مكنش فى أى وسايل للتحقق من معلومات كتير، فكان فى كاتب و عالم شهير جداً وقتها، كان أغلب جيلى مصدق كل المعلومات اللى كان بيقولها فى برامجه و كتبه. لكن للأسف فى عصر المعلومات الرهيب اللى أحنا فيه دلوقتى، أكتشفت مؤخراً قد أيه كان بيضحك علينا طول الوقت.

04 فبراير 2023

"لماذا يثير هذا المختبئ خلف النظاره، كل هذا الكم من الفضول ؟
ما سر النشوى فى حضرة تلك الحضره؟ "

حاله من الغموض

فى الفصل اللى فات كان عندنا موضوعين، موضوع شامل و كبير، و هو فكرة التعميم، و اللى دخّلنا على موضوع الفصل الرئيسى، و هو اللى نعرفه و اللى منعرفوش، و أزاى أن دايماً اللى نعرفه بيمثل الأمان -و ده بس لأننا نعرفه و أتربينا عليه-، أما اللى منعرفوش، فهو دايماً بيمثل الجانب المظلم، اللى لازم نبعد عنه أو نكفره، بدون حتى ما نحاول أننا نفهمه أو نناقشه، و ضربت مثالين فى أخر الفصل بمحاولتين أغتيال مشهورين جداً، واحده نجحت بالفعل، و هى أغتيال الكاتب المصرى الكبير فرج فوده سنة 1992، و التانيه منجحتش و كانت بعدها ب3 سنين، و هى محاولة أغتيال الأديب الكبير نجيب محفوظ سنة 1995، و الاتنين تموا بسبب أن المنفذين صدقوا الناس اللى يعرفوهم لما قالولهم أن الناس دى خارجه عن المله، و محاولوش أى محاوله أنهم يتأكدوا أو يعرفوا فكر الناس اللى رايحين يغتالوهم، لمجرد بس أنهم ميعرفهمش، و أنا تعمدت أقفل بيهم الفصل اللى فات، علشان تكون نفس النقطة النهايه دى، هى بداية الفصل ده.

****

الكاتب المصرى الساخر جداً أحمد رجب كتب فى كتابه "كلام فارغ"، و اللى كان عباره عن مجموعة قصص قصيره ساخره جداً، أقوى و أقصر مقدمة كتاب فى التاريخ، و كانت عباره عن جملتين بس، و بتقول المقدمه: " الكلام نوعان، كلام فارغ، و كلام مليان فارغ". الجمله أو المقدمه دى أستوقفتنى فتره كبيره جداً، و غيرت تفكيرى فى كتير من المواضيع اللى أنا جاى أناقشها معاك فى الفصل ده، و اللى حتكون عن النوع التانى من الكلام، و هو الكلام المليان كلام فارغ، أو الكلام اللى يبهرك فى ظاهره، لكن لو تمعنت فيه، و قررت أنك تحاول تفهمه أو تعرف الغرض منه، حتكتشف أنك كان كنت بتضحك على نفسك طول الوقت.

معنى فكرة أن فى كلام مليان كلام فارغ، أن أنت اللى شايفه كلام مهم، أن أنت اللى بتديلى القيمه، و اللى هو ميستحقهاش، أن الكلام فى الأساس كلام أجوف، فاضى، أو

على أحسن التقدير كلام بسيط، بس أنت اللى شفت فيه عمق، اللى كتبه نفسه مقصدهوش، و من هنا حتكون البدايه.

الغموض بشكل عام، كان هو المحرك الرئيسى للبشريه من البدايات، الغموض كان ورا أغلب الأختراعات اللى ساهمت فى التطور البشرى عبر كل العصور اللى مرت بيها البشريه، الغموض كان ورا فكرة الأديان الموجوده فى كل الحضارات القديمه، و خلينى أشرحلك البدايه كانت أزاى.

الموت كان شئ غريب جداً بالنسبه للأنسان فى البدايات، فكرة أن شخص كان عايش معاه، و فجأة أصبح فى حاله هو مش فاهمها، و أقصد بيها أن الجسد موجود، لكن مفيش حياه، دى شكلت بالنسباله لغز كبير جداً، بدايةً من السؤال الخاص بفكرة ليه الشخص اللى كان معايا من فتره صغيره، فجأة مبقاش بيتحرك أو بيتكلم؟ ليه فجأه مبقاش قادر على التواصل معايا؟

مع التطور بدأ الأنسان يفكر بشكل أعمق، أن فيه روح و فيه جسد، و أن الروح هى اللى سابت، لكن الجسد فضل موجود، و هنا جه تانى سؤال، السؤال اللى كان وراء ظهور فكرة الأديان فى كل الحضارات الأنسانيه، و هو: هى الروح دى بتروح فين بعد ما بتسيب الجسد؟ و هل المكان اللى بتروحله، بيتوقف على أعمالنا فى الحياه اللى كنا عايشين فيها قبل كده؟

تزامن كل ده مع مراقبة الأنسان للظواهر الطبيعيه، الطبيعه اللى كانت كويسه و حانيه عليه أحياناً، و قاسيه جداً معاه فى أغلب الأحيان، فبدأ كل ده يتربط معاه بفكرة وجود حالة غضب أو رضا من قوه أكبر من تصوراته، و مع كلا الظاهرتين، ظاهرة الموت و الظواهر الطبيعيه، بدأت فكرة الأديان الغير موحده -بمعنى فكرة وجود أكتر من أله- فى كل الحضارات القديمه بدون أى أستثناء، و أن كل ظاهره طبيعيه لها الإله الخاص بيها، و ده كان قبل مرحلة ظهور الأديان الموحده.

أما الغموض على المستوى العلمى، فكان هو الباعث الأساسى لكل الأختراعات أو الأكتشافات على مدار التاريخ البشرى، كانت فكرة الأشكال المضيئه الغريبه الموجوده فى السما هى الباعث الأول لعلوم الأسترولوجى كلها، كانت فكرة التواصل مع الأخر الموجود فى منطقه بعيده، هى الهاجس الدائم للبشريه، و بسببها وصلنا لما

وصلنا له من كل الأختراعات فى مجال الCommunications، كانت فكرة المرض و الألم، و ليه بنتألم، الباعث الرئيسى لكل علوم الطب و البيولوجى...إلخ.

****

نرجع لفكرة الغموض و تأثيراتها، و خلينى أبدأها من أبسط و أتفه مثال، و هو العلاقه الخاصه بين ولد و بنت، و أنا مرضيتش أديها مسمى واضح لأنها ممكن تتدرج من إعجاب لحب أو حتى لحب تملك، فخلينى أسيبها كده بشكل عام.

من وجهة نظر البنات، فالرجل الغامض طول الوقت بيكون له جاذبيه خاصه جداً، مجرد فكرة غموضه أو عدم معرفة البنت تفاصيل كتير عنه، أو قلة كلامه، فده بيكون واحد من أقوى و أهم عناصر جاذبية الرجل بالنسبة لأى بنت، للدرجه اللى خلت لفكرة النضاره السودا، كل هذا المقدار من الجاذبيه، لمجرد أنها مخبيه العيون ليس إلا، ففكرة حجب جزء مهم من الوجه، أضافت درجه عاليه من الغموض، و بالتالى الجاذبيه.

طبعاً نفس الفكره بتحصل مع الرجل، لكن نوعيه معينه من الرجال، و هنا بتظهر فى حالة البنت المنقبه بس تكون عامله كحل أو Eye liner حوالين عنيها، و خصوصاً فى بعض الدول العربيه الخليجيه، أو فكرة العبايه السودا فى مصر، و ده يفكرنى بصديقه مخرجه عملت من سنتين فيلم قصير عن فكرة العبايه السودا و تأثيرها، من واقع أحساسها هى كبنت، و أحساسها بالعنين اللى بتخترق أى بنت حلوه لابسه عبايه من النوع الضيق شويه، و اللى ممكن يثير نسبه كبيره جداً من الرجال.

فكرة الغموض و تأثيره لعب عليها الولاد و البنات من الناحيتين، و بحكم كونى رجل، فكنت بسمع كتير فى بعض القعدات القليله اللى كنت بأقعدها مع زمايل الدراسه أو المنطقه، خصوصاً طبعاً أثناء مرحلة الجامعه، فكرة تأثير قلة الكلام على البنات، و أستغلال ده لتحقيق المزيد من الجاذبيه، و للأسف لما كنت برصُد بعض الحالات فى الكليه، كنت فعلاً بلاقى أن ده كان بيتحقق، و للأسف الفكره دى مستمره ليومنا هذا، يعنى أنا مستغرب من أن البنات لسه بسهوله بيتضحك عليها بتفاصيل ساذجه زى كده لحد النهارده، بس حتفضل النقطه دى من النقاط اللى صعب جداً تتغير مهما الدنيا أتطورت.

حأدخل على مثال تانى و هو الفن، حتلاقى دايماً أن أكتر الفنانين نجاحاً و شعبيه، هما دايماً أقل الفنانين كلاماً، لأنه طول الوقت مش بيخليك تشوف منه غير جانب واحد بس، و هو فنه، و عامل حاله من الغموض على أى تفاصيل تانيه خاصه بيه، و ده بينجحه طول الوقت أكتر من غيره اللى على نفس المستوى الفنى، لكن بيتكلم كتير طول الوقت، فده بيقلل من رصيده عند متابعيه، لأن كترة الكلام طول الوقت بتوقع، و عندنا فى مصر المثال الشهير بين أتنين مطربين بدأوا مع بعض فى بداية التمانينات، و كان واحد فيهم أعلى من التانى بمراحل فى البدايه، لكن كترة كلامه فى الأعلام و كتره مشاكله وقعته، لأن الكلام الكتير دايماً بيوقع الناس من منزلة النجوم لدرجة أنهم أصبحوا بشر زينا، بالعكس فالكلام بيبين نقائص كتير، السكوت كان مخبيها.

المهم بدأ المطرب التانى يركز فى كل التفاصيل اللى تنجحه، و بعد تماماً عن الكلام، حتى التمثيل سابه بعد كام تجربة بسيطه، لأن برضه ده كان ممكن يوقعه، لأن التمثيل موهبة تانيه خالص غير الغنا، و مش لازم اللى بيعرف يغنى يعرف يمثل، و أهو فضل متربع على قمة النجوميه لحد النهارده، بالرغم من عدم أقتناعى بأغلب أغانيه، أو مناسبتها للمرحله العمريه الحاليه اللى هو وصلها، بينما التانى أنتهى تماماً، و مبنسنعش عنه حالياً غير لو عنده مشكله، أو فى حوار بيشتم فيه أو بيقول فيه أنه سبب نجاح زمايله، و دى بقت نوعية حواراته طول الوقت.

نفس الكلام بينطبق على كتير من الممثلين، و دايماً حتلاقى أن الممثلين نوعين، نوع بيمثل و بس، و نوع موجود على الSocial Media و بس، و للأسف النوع التانى مش فاهم أن ده طول الوقت بياخد من رصيده، مش بيديله، لأنه بيحوله لسلعه رخيصه موجوده طول الوقت. فالغموض أحياناً كتير بيكون من أهم عوامل النجاح فى بعض المجالات، و أهمها المجالات المؤثره على الناس، زى التمثيل، الغنا، الأعلام، لأنها بتضيف هاله حوالين النجم أو الفنان، بتزود من نجوميته و جاذبيته.

****

الناس -و أنا هنا بتكلم بشكل عام على كل الناس فى الدنيا- بتستسهل فكره أن مثلاً لو شخص أُعجب بكاتب أو شيخ أو محلل أو سياسى، و أنا هنا أخترت المهن الأربعه

دى تمثيلاً لكل المهن اللى فيها فكر، اللى بتحتاج أن صاحبها يكون له رؤيه أو منهج فكرى أو دينى أو سياسى واضح، يعنى كلامى حيكون عن "أصحاب الرؤى و وجهات النظر"، و أرجع معاك تانى أن لو الشخص أُعجب بواحد من الناس دى، بعد كده ببيدأ أعتبر أن كل كلامه لازم يكون حقيقى و مُسلم بيه، و محدش بيفكر يراجع ورا الكاتب أو الشيخ أو أياً كان، و يتأكد هل كلامه صح أو غلط، لدرجه بتوصل زى ما ذكرت فى الفصل اللى فات للقتل. بس برضه مش هو ده المقصود فى الفصل ده، المقصود هنا هو سؤال مهم جداً، تعمل أيه لو مقدرتش تفهم كلام الشخص اللى أنت معجب بيه و بتتبع أرائه أو وجهات نظره طول الوقت؟

خلينى أحكيلك حكايه شخصيه حصلت معايا، أقدر أشرحلك من خلالها الفكره و أبسطها. الحكايه حصلت معايا فى بدايات التسعينات، و فى الفتره دى كان كل عشاق السينما، و أنا واحد منهم، بيعملوا هاله أسطوريه للمخرجين الكبار، كنا بندور فى الجرايد وقتها على صفحة السينما، و نشوف نقد الأفلام الجديده، و رؤية الناقد -و اللى برضه كنا بنحطه فى منزله متقلش عن المخرج- لأفكار المخرج. أحنا نفسنا كنا لما بندخل فيلم، بنقعد نفترض أن المشهد ده المخرج كان قصده بيه معانى أعمق بكتير من الظاهر، و أن توزيعة الأضاءه و النور اللى قاطع وش البطل مقصود بيه أنكسار الشخصيه....إلخ. المهم المقصود أننا كنا بنقعد نتخيل حاجات كتير، من شدة أعجابنا بالمخرج، بالذات فى الأفلام اللى فيها حاجات كتير مش مفهومه -زى أفلام يوسف شاهين وقتها-، لحد ما حصلى الموقف اللى حاحكيه، و اللى كان صادم جداً لشخص حالم زيى فى الوقت ده، و اللى خلانى أوصل لنتايج أن مفيش شخصيه أسطوريه، أن كل الناس بشر زينا، ممكن شخص عنده موهبه أو علم أكتر شويه، لكن فى النهايه هو أنسان عنده نفس أخطاء البشر.

فى الفتره دى كنت أتعرفت بمخرج كان بالنسبه لى أهم مخرج مصرى وقتها، و هو بالفعل كان واحد من ال5 Top، و كانت علاقتى بيه بحكم شغلى معاه -بس كان فى مجال خارج أطار السينما- بتخلينى أشوفه كتير، فى الوقت ده كان لسه نازله فيلم، و الفيلم كمان كان مع أهم ممثله فى تاريخ السينما المصريه لحد النهارده.

طبعاً كالعاده كنت منبهر جداً بالفيلم، فلما قابلته بعد ما دخلت الفيلم فى السينما، سألته الأسئله اللى كانت فى دماغى كلها، يعنى كان قصدك أيه بالمشهد ده، و عملت

ده ليه....إلخ. فجاوبنى الأجابه اللى حطمت فى دماغى كل الأصنام اللى كان مصورهالى خيالى، لأنه قالى ببساطه متناهيه أنه عمل الفيلم ده علشان كان مزنوق فى قرشين، و أن الفيلم مفيهوش أى ما وراءيات، بالعكس هو نفسه كان عايز يقلب الفيلم بسرعه، لأنه مكنش مبسوط بالشغل مع النجمه الأهم فى تاريخ السينما المصريه، فكان عايز ينجز. بأختصار هو أيفلها فيلم، و أخد فيه قرشين، و ده كان كل هدفه من الفيلم، أما الأبعاد الفكريه و العمق اللى كنت متخيله، فكان كله أوهام صورها عقلى، نتيجة عدم قدرتى على فهم -قبل الحكايه دى-، أن المخرج ده أنسان عادى زينا، و أن أحياناً الأخراج بيكون بالنسباله مجرد أكل عيش و مصدر رزق و بس. و من اليوم ده بدأت مرحله جديده فى حياتى، بقيت أشوف فيها الناس بصوره واقعيه تماماً، بعيداً عن أى أشكال أسطوريه.

الحكايه دى حتدخلنى معاك لمثال تانى من أمثلة تأثير فكرة أو نظرية "حاله من الغموض"، و حافكرك بحاله حصلت من حوالى 9 سنين، و ممكن جداً تفتكر معايا الموضوع اللى أنا حاكلمك فيه دلوقتى. فى رمضان 2014 أتعرض مسلسل كان مميز جداً، و فعلاً كانت فكرته جديده تماماً على الدراما المصريه، المسلسل حقق نجاح غير متوقع، لكن الغريب أنى مش حاكلمك عن المسلسل، لكن حاكلمك عن التتر بتاعه، و اللى كان التتر الأول من نوعه فى تاريخ الدراما المصريه كلها.

التتر حقق وقتها نجاح يُماثل نجاح المسلسل، ده إن مكنش أكتر، و أسباب نجاحه كانت كتير جداً، و كلها تستاهل، لكن أنا حاخد منها دلوقتى سبب واحد بس، و هو المرتبط بموضوعنا النهارده، و هو أن محدش كان فاهم و لا كلمه من كلام التتر خالص. بدايةً، أنا طبعاً بكلمك عن تتر مسلسل السبع وصايا، و سبب عدم أستيعاب كل الناس لكلمات التتر، لأنها كانت من التراث الصوفى لمحيى الدين ابن عربى.

التتر عمل حاله غريبه، خصوصاً مع الموسيقى الروك اللى عملها المبدع دايماً هشام نزيه، فأنقسم الناس مجموعتين، المجموعه الأولى محاولتش تفهم الكلام، و أكتفت بحالة النشوى الروحيه اللى عملهالها التتر، ففهم الكلام مبقاش مهم. أما المجموعه التانيه و هى الأقل -و أنا منهم- فقررت تفهم معانى الكلام، و هنا بتظهر من وجهة نظرى مشكلة جزء كبير من الأشعار الصوفيه، أن قوتها تكمن فى عدم فهمها، لكن لو حاولت تفهمها، حتكتشف أنه مجموعه من العبارات قوية الألفاظ،

البسيطة المعانى لأبعد درجه، و علشان كده أغلب اللى بيحبوا الشعر الصوفى أو حتى اللى بيرددوه فى الحضرات، بيكونوا مبهورين بيه لأنهم مش فاهمينه. الغموض ده دايما بيعمل نوع من السحر، و هو المطلوب. أسمحى أشارك معاك كلمات التتر، اللى طبعاً مع الموسيقى اللى كانت أعلى من صوت الكورال، فصعبت أكتر عملية الفهم.

فـ للهِ قومٌ في الفراديسِ مذ أبتْ قلوبهم أن تسكن الجوَّ و السما

ففي العجلِ السرُّ الذي صدعتْ له رعودُ اللظىٰ في السفلِ من ظاهر العجىٰ

و أبرقَ برقٌ في نواحيهِ ساطعٌ يجلّلُهُ من باطنِ الرجلِ في الشوىٰ

فأولُ صوتٍ كان منه بأنفه فشمته فاستوجبَ الحمدَ و الثنا

و فاجأهُ وحيٌ من اللهِ آمرٌ و كان له ما كان في نفسه اكتمىٰ

فيا طاعتي لو كنتِ كنتُ مقرباً و معصيتي لولاكِ ماكنتُ مجتبىٰ

فما العلم إلا في الخلافِ وسرّه وما النورُ إلاَّ في مخالفةِ النهي

****

خلينى أحكيلك تانى تجربه شخصيه ليا فى الفصل ده، و حتكون عن موضوع الصوفيه، و أزاى ممكن تتحول بقدرة قادر لولى من أولياء الله الصالحين.

بدايةً، أنا طول عمرى عندى رأى خاص فى فكرة الطرق الصوفيه و طقوسها. أولاً الصوفيه بمعناها الفعلى، فهى ظاهره مش أسلاميه على الأطلاق، الصوفيه أصلها يهودى، و اللى بدورها واخداها من الحضارات الأقدم، و كمان موجوده في المسيحيه بشكلها المعروف لنا و هو الأباء السواح، و أن هنا مازلت بتكلم على المفهوم الفعلى و الروحانى للصوفيه.

إذن فالصوفيه لو هى من صلب الدين كانت ظهرت من بدايات الدين، أيام الرسول. ثانياً أغلب الطرق لها طقوسها اللى حددها مُنشأ الطريقه، معنى كده أنه زى ما بنقول بالعاميه بيعلى على الدين. ثالثاً بنلاقى كل طريقة بتنقض باقى الطرق. رابعاً فكرة العهد اللى بتاخده، و اللى بيكون لطريقه واحده بس، طيب ليه؟ و أشمعنى دى

بس هى اللى لازم تكون صح؟ خامساً و ده اللى يمكن أغلب الناس مبتعرفهوش، أن فى طرق كتير بترفع التكليف عن متبعيها، يعنى أيه بقى رفع التكليف؟ يعنى بيخففوا عنك أعباء الدين، يعنى ممكن يقولولك أنك وصلت لمرحلة خلاص مش محتاج تصلى، أو تعمل كتير من العبادات. على فكره نفس المبدأ كان موجود فى القرون الوسطى فى المسيحيه، و كان أسمه صكوك الغفران، و دى ليها قصة طويله، لكن صكوك الغفران و مبدأ رفع لهم نفس النسق، بأختصار أدفع علشان تحجز مكان فى الجنه. مبدأ رفع التكليف ده من أكتر الحاجات اللى بتدخل ناس كتير في كتير من الطرق الصوفيه، و أنا أعرف طريقه بتتبعها عدد كبير جداً من الفنانات، و طبعاً ده للسبب اللى أنا لسه قايله. طيب أيه دخل الصوفيه بموضوعنا؟

الصوفيه لها دخل بموضوعنا من خلال نقطتين، النقطه الأولى هى طقوس العباده نفسها، و اللى أبسطها بتكون الحضره اللى بنشوف فيها الناس بتتمايل بشكل أنا بسميه هيستيرى، على كلام هما مش فاهمين منه حاجه، و على رتم و أيقاع عالى أحياناً، وصلواً لمرحلة تعذيب الجسد بطرق مختلفه، فى كتير من الطرق الصوفيه القديمه، و كل ما كانت درجة عدم الفهم أعلى، كل ما الناس بتدى نوع من التقديس للطريقه بشكل أكبر.

خلينى أحكيلك عن تجربتى الشخصيه، فى أن حضرت مولد طريقه صوفيه من حوالى 17 سنه، حضرتها و هى لسه فى البدايات، أسسها رجل كان في وظيفه مرموقه في بلد عربى، عمل هناك فلوس كتير، و لما رجع مصر أعلن أن جده "رسول الله" جاله في رؤيا، و بلغه أنه حيكون الرجل اللى حيجدد الدين، لأن في مقوله بتقول أن على رأس كل 100 سنه بييجى شخص يجدد الدين. الرجل ده كان مقتدر مالياً جداً - زى ما سبق و ذكرت-، فقدر عن طريق الموائد و الحضرات أنه يقنع عدد كبير من الناس بدخول طريقته، و الغريب أن عدد كبير منهم مكنش من البسطاء أو قليلى الثقافه، لكن خلينى أقولك هو أزاى قدر يقنعهم.

البدايه كانت عن طريق دواوين أشعار صوفيه كان بيكتبها، عباره عن كلام غامض، ملوش معنى واضح، بس هي عبارات رنانه، بس بالفعل هى ملهاش أى معنى على الأطلاق، لأنى قرأت الكتير منها، و أتأكدت أن هى عباره عن رص كلام منمق و بس، خصوصاً أنى كنت قريب منه فى فترة البدايات.

بعد كده دخل على Level 2، و هى مرحلة فلسفة الدين، و المستويات اللى لازم تعديها من المعرفه علشان تفهم كتبه و أشعاره، و الله الكلام اللى بقوله أنا عشته بنفسى، فكان بيحدد لهم خطوات و مراحل لازم يعدوها، علشان يقدروا يفهموا أشعاره و كتاباته، و الغريب أن أتباعه فضلوا فى أزدياد بشكل كبير جداً، لحد ما توفى هذا الشخص، و هنا بدأت المرحله الأخطر أو الجزء الأكثر كارثيه من الموضوع.

الأتباع المقربين بقوا هما اللى بيقودوا المسيره، فكان لازم يزودوا جرعة الغموض شويه، عن طريق إضافة جرعة قدسيه، و تأليف كرامات و معجزات لهذا الرجل اللى خلاص مات، علشان تكون درجة قدسيته أعلى ممن سبقوه من مشايخ الصوفيه، و اللى معجزاتهم عدت معجزات الأنبياء. الطريقه ما زالت موجوده و أتباعها و مريديها عددهم فى أزدياد طول الوقت، و كرامات هذا الرجل بتزيد مع مرور الأيام.

كل طريقه صوفيه بتحاول تاخدك في سكة دين جديده، مفيهاش من أصل الدين غير القرآن الكريم، اللى بيتحول شويه شويه للمرتبه التانيه فى الأهميه، بعد طبعاً أشعار و أوراد القطب أو الولى أو شيخ الطريقه.

كل اللى فات ده، فهو الجزء الأبسط من كوارث الطرق الصوفيه، لكن ما زال فيه كارثه أكبر، و هى النقطه التانيه اللى عايز أتكلم فيها، و هى ما يسموه "الفهم الباطنى للنصوص". المبدأ ده بدء مع ظهور الفرق الأسلاميه، سواء سنه أو شيعه، وببساطه علشان مدخلكش أكتر فى التاريخ، أن خلال التاريخ الأسلامى ظهرت فرق من الجانبين أسمها الفرق الباطنيه، و الفرق الباطنيه أتسمت بالأسم ده، لأنها أدعت أن القرآن فيه معانى باطنيه ميفهمهاش حد تانى غيرهم، و بقت كل فرقه توفق بعض معانى القرآن، بما يتوافق مع مصالحها و توجهاتها.

بكده أصبح القرآن بفكرة المعانى الباطنيه، و سيله بتتلاعب بيها الفرق دى علشان تحقق أهدافها، و طبعاً و للأسف أتبع الفرق دى ناس كتير جداً، و أنا عايز أدى نصيحه مخلصه لكل شخص حابب يفهم القرآن، و حاديله من تجربتى الشخصيه، و هي ببساطه أن فى علم رائع من علوم القرآن أسمه أسباب النزول، و ده موجود في كتير من أمهات الكتب، العلم ده حيساعدك بنسبة متقلش عن 70% في فهم أى سوره أو حتى أيه عايز تفهمهما، و الأزهر كمان ساعد فى الموضوع لما قدر يرتب

السور القرآنيه بترتيب نزولها، و ده بالتأكيد حيساعد على الفهم بشكل أكبر، تبعاً للتسلسل التاريخى للأحداث، و أرتباطها زمنياً مع الأيات، فأنت قادر و ببساطة تفهم حاجات كتير فيما يخص القرآن و بشكل واضح و مباشر، من غير ما أى حد يفتيلك.

****

أدخل معاك على شكل تانى بيلعب فيه الغموض الدور الرئيسى، و هو شديد الشبه بالشكل اللى فات، و ميقلش خطوره عنه، و هو الشكل الخاص بحضرات الزار. ليه بعض الناس بتلجأ للزار لحل مشاكلها؟ و يا ترى الزار ده أصله أصله أيه؟

بدايةً، أنا أخرجت من أكتر من 12 سنه فيلم تسجيلى عن الزار، وقتها طبعاً جمعت كل المعلومات التى تخص الزار من كل الجوانب، لكنى حاحاول أختصرهالك سريعاً، علشان تعرف معايا الزار ده دخل مصر أزاى، و ليه الناس بتصدق فيه.

الزار في مصر 3 أنواع، كلهم بيتقالوا في نفس الحضره، لكن لكل واحد فيهم جذر مختلف تماماً عن الأتنين التانيين. الأول جالنا من أثيوبيا، بس أحنا بنسميه الزار السودانى، لأنه جالنا عن طريق السودان، و ده كان تقريباً فى 1870، و النوع ده وصلنا من خلال ألاف السودانيين و الأثيوبيين اللى جم مصر مع غزوات محمد على و من بعده للدول دى.

الزار السودانى عباره عن بعض الطقوس و التمائم الأفريقيه اللى طبعاً محدش فاهمها، لكن زى ما بنقول دايماً، الشيخ البعيد سره باتع، و بتُمارس بنفس الطقس الأصلى بتاعها، مع طبعاً بعض البهارات المصريه الخاصه بينا، و من أهم طقوسها هو طقس التضحيه، اللى بيكون عباره عن دبح بعض الحيوانات، و ناخد بالنا دايماً أن طقس الدبح فى طقوس جميع الأديان الأبراهيميه أو غير الأبراهيميه، بيُمثل عملية الفداء أو التضحيه، فهنا بقى أتقابلت الطقوس الأفريقيه بالمعتقد الدينى و حصل التزواج، و من هنا جه النوع التانى من الزار و هو زار أبو الغيط.

زار أبو الغيط أتسمى بالأسم ده نسبةً لقرية أبو الغيط في القليوبيه، و اللى بدأ منها النوع ده من الزار، و النوع ده من الزار هو مزيج من الصوفيه و الطقوس الأفريقيه،

لأنه عباره عن مزيج من الأنشاد الدينى و الطقوس الأفريقيه، و بيغلب عليه الطابع الدينى أكتر، و بتكون أغلب كلماته هى مديح للرسول.

أما النوع التالت فأسمه زار الحريم، و ده جت فكرته من تعديد السيدات في الصعيد على الأموات، و غناهم أغانى مش مفهومه بتتسمى "عدوده" نسبة إلى التعديد، و طبعاً النوع ده فى الأصل له جذوره الضاربه فى التاريخ وصولاً للحضاره المصريه القديمه..

لما نتابع الأنواع التلاته من الزار، و خصوصاً طبعاً السودانى اللى هو الأصل، حنلاقى أن الغموض و الكلام الغريب، و فكرة أسامى الجن اللى بتتقال، هى اللى شدت الناس له، و بالتالى للتصديق بيه، و بنفس منطق أغانى الHeavy Metal، أن الموسيقى ذات الأيقاع العالى، مع الجو اللى كله دخان سواء من البخور أو أى أنواع من المخدرات، بتخلى الشخص فى حالة لا وعى، و عقله بيكون مؤهل لتصديق أى حاجه ممكن تحصل فى الوقت ده، ده غير أنه أصلاً بيكون دافع علشان تتعمله الحضره، فهو من الأساس بيكون جاى مهيئ، و زى كل الأمثله اللى ذكرتها قبل كده، كلما أزددت غموضاً، كلنا أزددت جاذبيه و أقناع.

****

أنقلك بسرعه لأخر نموذج حأتكلم فيها، و هي فكرة الأدب، و الكتب اللى ممكن تعدى ال300 صفحه، و متطلعش منه بأكتر من 3 صفحات، و حاركز معاك على مرحلة ما بعد ظهور الطباعه، بعد ما بقت الكتب سلعه بتتباع، مش زى مرحلة ما قبل الطباعه، لما كان أى كتاب ممكن عدد نسخه متتعداش عدد صوابع اليد، و هنا حأتكلم فى نقطتين، الأولى نقطة شخصيه، و دى نقطه خاصه بالكاتب، و التانيه نقطه تجاريه بحته.

النقطة الشخصيه الخاصه بالكاتب هى مجرد وجهة نظر ليا، فتحتمل الصح أو الخطأ، و نبدأ بوقت ما بدأت الكتب و أخص بالذكر الروايات تُطبع، فى الوقت ده كان الناس نوعين مفيش وسط بينهم، فئة قليله جداً متعلمه، بس كان تعليمها و ثقافتها عاليه جداً، و باقى العامه جهلاء حتى بالقراءه و الكتابه. فى الزمن ده كان الوقت طويل جداً لعدم وجود أي وسائل ترفيه، فكانت القراءه مصدر من مصادر المتعه

القليله جداً، فده خلى الكتاب يهتموا بالتفاصيل و الأسهاب و العمليه الوصفيه، لأن ده كان بيُمثل نوع من المتعه للقارئ، و كانت لغة الكتابه متناسبه مع مستوى ثقافة الناس اللى كانت بتعرف تقرا وقتها، و كان الكُتّاب بيعلوا على بعض فى الأسهاب و الأطناب و الجمل الوصفيه.

لكن مع أيقاع العصر الحديث، و ضيق الوقت، و تفاوت ثقافات الناس اللى بتقرا، أصبح التطويل، و اللغه الغامضه المش مفهومه، و الوصف المسهب، ملوش محل من الأعراب، غير أن الكاتب بيحاول يضيف حوالين نفسه هالة غموض بالأسلوب ده، و بقت قوة الكاتب بتتمثل في عدم فهمك لكتبه، و خصوصاً لما تداخلت معاها النقطة التانيه و هى النقطه التجاريه، لأن الكتب فى العالم كله سعرها بيزيد مع كبر حجمها، لأن المفهوم أصبح أن الكتاب الكبير هو دايماً الكتاب القيم، فتحولت الكتابه لتجاره بتتقاس بالحجم، و عدم فهم القارئ للكتاب أصبح نقطة قوه للكتاب، مش نقطة ضعف، فأصبح الكتاب بيحاولوا يزودوا جرعة الغموض، أولاً لأضافة هالة الجاذبيه دى، و ثانياً، لتطويل الكتاب قدر الأمكان.

في النهايه أحب أقول أن المفروض أن قوة أى كاتب أو سياسى أو رجل دين، فى تمكنه من توصيل أفكاره لأتباعه، فيكون أتّباعهم له منبعه فهم كلامه و الموافقه عليه، فأتمنى أنك كشخص قادر يقرا و يسمع و يختار، أن أختياراتك يكون أساسها دايماً الفهم الكامل، و على فكره متصدقش فكرة أنك محتاج شخص يفهمك دينك، لأن الدين المفروض أنه لكل الناس، و للجاهل و الأمى قبل المثقف، بدليل أن الأسلام و المسيحيه و من قبلهم اليهوديه، ظهروا في مجتمعات نسبة الأميه فيها كانت بتعدى ال90%، و كان الأتباع بالأقتناع الكامل، بدليل تحمل الأتباع كل أنواع الأذى بمنتهى الأقتناع.

حأختم الفصل بأنى أفكرك أن فى الستينات من القرن الماضى ظهر فى مصر مجموعه كبيره جداً من الشعرا الأقويا جداً، لكن عامة الناس متفاعلتش -و لحد النهارده- مع أغلبهم، بسبب لغتهم الصعبه جداً، و المعانى الغامضه اللى محدش كان قادر يوصلها. لكن 3 منهم قدروا يعيشوا معانا لحد النهارده، و هما الأبنودى و

نجم و جاهين، لأنهم كتبوا زى الناس ما بتتكلم، فالناس حست بيهم و فهمت كلامهم، أما الباقيين فموجودين، بس في أوساط المثقفين و بس.

09 فبراير 2023

No Signal

"لماذا أصبح التواصل بيننا شبه منعدم؟
لماذا أصبحنا لا ننصت سوى لأصواتنا فقط؟

No Signal

على القناه بتاعتنا على الYoutube، كان عندنا برنامج عباره عن أسكتشات ساخره نقديه للمجتمع، و البرنامج ده فعلياً كان أعلى البرامج مشاهدةً على القناه، أولاً، لأن جمهور الشباب بيفضل النوع ده من البرنامج على البرامج المعلوماتيه، ثانياً لأن البرنامج كان بيناقش نوعيه من المشاكل الحياتيه أو الأحداث اللى بتحصل، و ده بيخلى الناس أكثر تفاعلاً، لأننا شعب بيعشق فكرة السخرية من مشاكله للتنفيث عن نفسه.

المهم أن البرنامج -و بالرغم من نسبة مشاهداته العاليه-، إلا أن داخلياً فريق العمل الخاص بيه كان عنده كتير من المشاكل فى إدارة العمل، و اللى وصلت البرنامج أنه يبدأ تدريجياً فى عدم النزول بأنتظام بشكل أسبوعى زى ما كانت بدايته. طبعاً عملنا أجتماع و أتنين و تلاته لمناقشة المشكله دى، و كل مره بالتأكيد مكناش بنوصل لأى نتيجه مرضيه، لكن الأجتماع الأخير -و الكارثى-، كان سبب فى أنى أكتب الفصل ده من الكتاب، و لأهمية المشكله اللى طلعت بيها من الأجتماع، قررت أنها تكون من المشاكل الأولى اللى حناقشها فى الكتاب، لأنها -بالنسبالى- هى المشكله الأهم فى التعاملات بين الناس و بعضها -مش بس فى مصر أو الوطن العربى، لكن بالنسبه للناس بشكل عام فى العالم كله.

طبعاً أغلبنا -ده إن مكنش كلنا- مرت عليه تجربة العمل الجماعى فى Team، سواء كان فى الشغل، فى الجامعه، فى فريق رياضى أو فنى، فى نشاط أجتماعى، أو حتى فى المدرسه. فكرة العمل الجماعى هى من أساسيات أى نشاط أنسانى، سواء كان مهنى، ترفيهى، أو دراسى. و طبعاً علشان نشتغل فى Team، فلازم يكون فى أكتر من شكل من أشكال الأجتماعات الدوريه، و اللى أهمها نوعين: الأول و اللى بيتم غالباً فى البدايات بس، بيكون أجتماعات مخصصه لتحديد المهام الوظيفيه لكل فرد فى الTeam، و التانى بيكون أجتماعات دوريه بتتم كل فتره لتقييم سير العمل و مشاكله، زى بالضبط الأجتماعات اللى كنا بنعملها لحل المشاكل الداخليه الخاصه بالبرنامج بتاعنا.

و الحقيقه أن فكرة النوع ده من الأجتماعات على المستوى الأدارى بتكون فى غاية الأهميه، خصوصاً أنها بترسخ لنظام إدارى مهم جداً أسمه Modules، و كلمة Modules معناها وحدات، و مفهومها ببساطه أن كل واحد فينا بيكون عارف تماماً مهامه الوظيفيه، عارف أيه هى حدود واجباته، و أيه هى مسئولياته، فبالتالى فى حالة وقوع أى غلطه -خصوصاً أننا بنشتغل مع بعض كTeam-، بنقدر نحدد ببساطه مين السبب فيها، و ده بيسهل عملية المحاسبه و تصحيح الغلط، و ده المفروض هو الهدف الرئيسى من سياسة الModules.

أحياناً كتير جداً فى مجتمعاتنا العربيه، النوع ده من الأجتماعات بينتهى بنتايج عكسيه تماماً، و أنا هنا طبعاً بأتكلم على الأجتماعات الدوريه الخاصه بتقييم سير العمل، على الرغم من أن كل الخطوات المطلوبه لأنجاح هذا النوع من الأجتماعات، بتكون مُتخذه بشكل صحيح جداً، طيب فكر معايا أيه سبب عدم نجاح النوع ده من الأجتماعات أحياناً؟

عدم النجاح بيرجع لأتنين من أهم الصفات السيئه المنتشره فى مجتماعتنا، الأولى هى رفض أى شخص لفكرة أنه يكون غلطان، أو حتى أن الغلط ممكن يكون من ناحيته، و ده مش حيكون موضوعنا فى الفصل ده. أما الصفه التانيه، و اللى مبنى عليها الفصل ده كله، هى أننا مش بنعرف نسمع لبعض، و دى الصفه أو العيب اللى أنا بسميها إنقطاع التواصل أو ال No Signal.

مشكلة الNo Signal، أو عدم قدرتنا على سماع الأخر و فهم كلامه، مشكله كارثيه بكل المقاييس فى مجتمعاتنا، بالرغم من أن فى حكمه شهيره جداً بتقول أننا عندنا لسان واحد و ودنين، علشان نحاول دايماً نسمع أكتر ما نتكلم، لكن الحقيقه أننا بنحب نتكلم أضعاف أضعاف ما بنسمع، بتوصل أحياناً أننا من كتر رغبتنا فى الكلام، أن ممكن جداً تركيزنا فى السمع بيكون شبه منعدم، و ده بيكون واحد من أسباب فكرة إنقطاع التواصل بين مجموعه من الناس بتحاول تتحاور أو تتواصل مع بعض.

فى الفصل ده حناقش معاك فكرة عدم القدره على التواصل بكل أشكالها، و حنحاول نقسمها لمجموعة من الحالات المختلفه، تبعاً لأختلاف مجالات الحوار بين الناس، لكن للأسف هى موجوده فى كل مجالات و أشكال الحوار، و أسمحولى

أبدأ بأول نوع من أنواع إنقطاع التواصل، و هو الNo Signal أو عدم القدره على التواصل مع الأخر فى مجال العمل، و اللى بدأت بيه كمقدمه سريعه للفصل ده.

طبعاً حأتكلم عن اللى بيحصل فى الأجتماعات الدوريه الخاصه بتقييم سير العمل، و اللى بعتبر نفسى من أكتر الناس اللى عانت من هذا النوع من الأجتماعات، و ده على مدار حياتى كلها، و فى كافة أنواع العمل اللى مارستها، و حاحاول معاك أننا نقوم مع بعض بعملية تحليل للى بيحصل فى النوع ده من الأجتماعات.

****

بتبدأ الحكايه دايماً أن أثناء الأجتماع شخص ما بيقوم بعملية تحليل و تقييم للأخرين، و حيبدأ يحدد بعض الغلطات اللى وقع فيها بعض أفراد الTeam من وجهة نظره، سواء الشخص المتحدث ده كان رئيس الTeam أو حتى فرد منه، فمثلاً لو قال أن فلان ده عنده مُش... -و أقصد هنا طبعاً كلمة مشكله-، فبنلاقى على طول أن فلان ده أول ما بيلمح أن فى كلمة مشكله حتتقال، فعلى طول بنلاقيه حيبدأ فى عملية دفاع تلقائى، طيب هو أنت حتدافع عن أيه؟ هو أنت لسه عرفت المشكله فين؟

عملية الدفاع دى بتتبنى على أنه غالباً عارف الأخر حينقده من أى زاويه، لأن زى ما قلنا نظام الModules بيحدد لكل فرد فى الTeam مهام وظيفيه واضحه و محدده جداً، فبالتالى فلان ده بيكون عارف الغلطه أو المشكله فين بالضبط -حتى لو هو نفسه مكنش معترف بيها-، لكن فى نفس الوقت بيكون رافض تماماً الأعتراف أن هو السبب فى الغلط ده، لأن فى مجتماعتنا العربيه مفيش حد بيغلط طبعاً -زى ما سبق و قلنا-، فبتتطلع منه أى مبررات واهيه تبرر أن المشكله أو الغلط مش بسببه أو من ناحيته، و ده عادة بيتم حتى قبل ما المُتحدث الرئيسى يكون خلص كل كلامه اللى عايز يقوله فى تحليل و تقييم المشكله دى.

و بسرعه بتتحول عملية الدفاع -اللى مش مبنيه على أى أساس- لشئ أخر تماماً، و ده بُناءً على قاعده مهمه جداً فى كرة القدم بتقول: "خير وسيله للدفاع هى الهجوم"، فبنلاقيه بينتقل لتانى مرحله -و دى هى الأهم بالنسبه لموضوع فصلنا-، و هى تحوله من شخص بيدافع عن نفسه، لشخص بيهاجم، و علشان يهاجم، لازم

يلاقى أى نوع من الغلطات عند اللى بيتكلم -ده لو كان العلاقه الوظيفيه بينه و بين الشخص اللى بيتكلم تسمح بكده-، أو يتحول لأى شخص تانى من اللى موجودين، لو كانت العلاقه مع الشخص اللى بيتكلم متسمحشلوش بنقده. أضعف الأيمان لو الحالتين دول مكانوش ينفعوا، بيتحول للهجوم على أى شخص تانى ميكونش موجود فى الأجتماع.

عمليه الدفاع -اللى بتتم كمرحله أولى-، و الهجوم الخاطف اللى بيحصل أحياناً -لو أتيحت الظروف- كمرحله تانيه، بتتبنى على الخطه التاليه:

المرحله الأولى هى مرحلة تشتيت مسئولية المشكله أو الغلطه، و توجيهها لمسار تانى، بعيد تماماً عن حدود مسئوليات الشخص ده، و اللى هو -زى ما قلنا- بيكون عارفها كويس، لكن رافض الأعتراف بغلطه فيها، و عملية الدفاع دى فعلاً بتحصل بشكل غريزى جداً، بتكون نوع من الميكانيزم الذاتى لدفع مسئولية الغلط بعيداً تماماً عن حدود مسئولياته، بالرغم من أننا زى ما قلنا أن المفروض أن نظام الModules مش بيسيب أى فرصه لده، لكن حتى مع هذا التحديد الدقيق جداً للمسئوليات، الناس دايماً بتدور على أى شماعه لغلطاتها، و دى دايماً بتكون الخطه الأولى أو Plan A.

المرحله التانيه، علشان لو Plan A منجحتش، بتيجى الخطه البديله أو Plan B، و ده بيكون عن طريق الهجوم الخاطف السريع، و تحويل مسار الحوار لمشكله تانيه خالص، بس الذكاء بيفرض عليه أن المشكله دى يكون لها رابط بالمشكله الأساسيه، بس طبعاً لازم تكون المشكله التانيه بعيده تمام البعد عن حدود مسئوليته، و هنا بقى التشتيت بيكون مش بس تشتيت للمسئوليه، لكن بيكون تشتيت للمسئوليه و مسار الحوار مع بعض، و طبعاً أحنا أساتذه فى تشتيت مسار الحوار، علشان فى النهائيه يتوه الموضوع الرئيسى.

طيب فين الNo Signal فى كل اللى قلته ده؟ عملية أنقطاع التواصل أو الNo Signal، بتتم أثناء أنشغال عقل الشخص اللى بيتم تقييمه بالتجهيز للرد، فطبعاً مش بيركز خالص فى الكلام اللى بيقوله المتحدث الأصلى تماماً، فبيقع منه أكتر من نص الكلام، و اللى هو المفروض أنه تقييم و توجيه له، هو عقله بس بيستوعب رأس

الموضوع، و بعد كده ذهنه بيتشتت تماماً فى التحضير السريع جداً للرد، و عايزك تجرب معاياً تجربه و تراقب أى أتنين بيتناقشوا أو بيلوموا بعض، حتلاقوا دايماً أن الكلام فى أتجاه، و الرد فى أتجاه تانى تماماً.

فى خطه بديله تالته أو Plan C، و هى بتكون الأضعف جداً، بس الأكتر شيوعاً، و غالباً بتكون أكتر حاجه بتحصل فى مناقشات العمل الجماعى، و اللى حأرجع و أأكد أن المفروض أن كل واحد فينا بيكون له دور محدد، و هى كلمة "طيب ما فلان برضه بيعمل كده"، الجمله دى دايماً بتمثل أسرع رد لأى مناقشه فيها توجيه مسئوليه أو لوم أو أشاره لغلط ما، مع أن دايماً الرد ده بيكون فيه نقطه ضعف مهمه جداً، و هى أختلاف نوعية مسئوليتنا فى كل مرحله من مراحل العمل.

حأضرب مثال بسيط جداً بفكرة العاملين فى Location تصوير، و اللى بيعتبر واحد من أهم نماذج فكرة العمل الجماعى أو الTeamwork، و هنا بتظهر جداً أهمية فكرة الModules. فى شخص ممكن يتأخر و ميأثرش قوى، أو حتى ممكن يكون له بديل، و شخص ملوش أى بديل و مينفعش يتأخر.

لو مثلاً شخص ما العمل كله بيتوقف عليه أتأخر، زى الممثلين -حتى لو أدوار ثانويه- أو المذيعيين، فالشخص ده فى اللحظه دى ملوش أى بديل، فحجم مسئولية الشخص ده و تأثيره بيكون أكبر بكتير من غيره، و أنا هنا مش بقارن الفرق بين نجوميه ممثل أو مذيع بشخص تانى فى فريق العمل، لكن بقيم دور و حجم مسئولية كل واحد منهم فى اللحظه دى تحديداً، فممكن جداً شخص تانى ورا الكاميرا لو أتأخر، زميل له يشيله مؤقتاً، و على فكره، أحياناً كتير مساعد المخرج بيدير الLocation لو حصل أى ظرف ما و المخرج مقدرش يتواجد، و دى بتحصل عندنا دايماً فى أواخر حلقات مسلسلات رمضان، لأننا ناس طول الوقت مبنعرفش نشتغل غير على أخر لحظه، أن بيتم عمليتين تصوير بفريقين عمل فى نفس التوقيت فى 2 Locations مختلفين لسرعة الأنجاز، لأن رمضان كل سنه بييجى فجأه.

نرجع تانى لموضوعنا، هو صحيح أن التأخير هو التأخير، و الغلط هو الغلط، لكن نوعية المسئوليه هنا هى اللى بتفرق، و ده تبعاً للModule بتاعك، و خصوصاً أن

أحياناً العمل بيكون مرتبط بزمن معين لازم يتنفذ فيه، فالتأخير هنا بيضر بالعمل كله، سواء كعمل أو كأفراد أو كخساره ماديه.

المثال ده بينطبق على كتير من أشكال العمل الجماعى، و اللى دورك فيها بيحدد حجم مسئوليتك، ففكرة "طيب ما فلان برضه بيعمل كده" بتكون هنا فكره كارثيه، لأن ممكن دور فلان فى المرحله دى يكون تأثيره أقل من دورك، أو أن نوع الغلط أو المشكله اللى ممكن أنت تسببه بحجم مسئولياتك، يكون تأثيره أضعاف الخطأ اللى ممكن يسببه فلان ده، لكن للأسف هو ده بيكون نوع من أنواع الميكانيزمات الدفاعيه و الهجوميه، اللى بتحصل فى تقييم أى نوع من العمل الجماعى، و اللى بتُفقد الأجتماع هدفه الأساسى، و هو عملية التقييم بهدف تطوير العمل، و غالباً كل الناس اللى بيتم تقيمها، بتخرج من الأجتماع كأنها مدخلتوش، بمعنى أنها مطلعتش منه بأى فايده.

يعنى ببساطه و علشان نلخص كل اللى قلناه فى الحاله الأولى من حالات ال No Signal، و هى حالة تقييم سير العمل و تحديد المسئوليات، بيتمثل السبب الرئيسى للمشكله، فى رفضنا سماع أخطاءنا، فبيبدأ العقل فى الأنشغال بخطط دفاعيه لأبعاد الغلطات أو المشاكل دى بعيد عننا، سواء بتحميل المسئوليه لشخص تانى، أو تحويل مسار الحوار لمشكله تانيه، أو الكلمه الأشهر: "طيب ما فلان برضه بيعمل كده"، و بالتالى بيفقد المتلقى فى كل الحالات التلاته التركيز فى الكلام الموجه له، و بيبدأ التواصل بين الأطراف ينعدم، لأن طبعاً مسار الحوار مبقاش ماشى فى الخط المرسوم له، و بينتهى الأجتماع غالباً بنتايج صفريه، و أن محدش فينا سمع التانى.

طيب، أيه المطلوب من كل واحد فينا؟ المطلوب أولاً عدم الشخصنه، أنت طالماً قبلت تشتغل فى عمل جماعى، فلازم تكون مهيئ لده، أحنا للأسف عندنا فكرة الخوف من تحمل المسئولية موروث فى عاداتنا، و حأفتكر كلمه قالهالى زميل ليا فى الدراسه، و كنا وقتها فى تانيه أعدادى، بس بصراحه هو كان سابق سنه بكتير، قالى أن الناس نوعين، نوع قائد و نوع مُنقاد، و بلغتنا الدارجه موسيقار و ألاتيه، فالنوع المنقاد ده، هو دايماً اللى بيكون عنده فكرة الهروب من المسئوليه، فكرة تحميل غلطاته و مشاكله لأى حد تانى، و ده اللى بيوصلنا لفكرة عدم قدراتنا على سماع بعض تماماً، لأننا ببساطه متناهيه، بننشغل بالرد على كلام، أحنا لسه مسمعناهوش.

****

قبل ما أخوض فى باقى الحالات الخاصه بفكرة الNo Signal، عايزك معايا تفتكر مقوله شهيره و فى غاية الأهميه للأمام الشافعى بتقول: "رأيِى صَوابٌ يَحتَمِلُ الخَطأ، ورأيُ غَيرى خَطأ يَحتَمِلُ الصَّوابَ"، و دى حكمه مهمه قوى، بتلخص لنا نظام حياه كامل، و هى فكرة أن أى رأى فى الدنيا قابل للنقاش، أننا مش لازم نكون صح طول الوقت، لأن حتى النظريات العلميه بتتناقش و قابله للتغيير مع كل تجربه أو إكتشاف جديد. أضرب مثل أن خلال فترة الستينات قدر شاب أيرلندى فى التلاتينات من عمره أسمه جون بل، أثبات خطأ فرضيه ألبرت أينشتين عن الQuantum Physics، و الأغرب كمان أن اللى ساعده فى أثبات نظرياته كانوا 3 شباب من الهيبيز، و اللى ميعرفش مين هما الهيبيز يدور فى جوجل عنهم. خلاصة الكلام أننا لازم نسمع دايماً، علشان أحنا مش لازم نكون صح طول الوقت، و أن تقييم الأخر لأخطائك شئ مفيد ليك، و لا يُنقص منك أى شئ، بالعكس ده بيضيفلك دايماً.

ندخل على الحاله التانيه من أشكال الNo Signal، و هى بالنسبالى الحاله الأخطر بكل المقاييس، أولاً لأنها سبب كل أنواع العنصريه الموجوده على كوكب الأرض، و أحياناً بتوصل دول لحالة الحروب الأهليه، ثانياً هى سبب فى كتير من مظاهر الأرهاب -و أنا هنا مش قصدى أرهاب جماعات بعينها-، لكن أرهاب أى مجموعه ضد مجموعه مخالفاها فى الرأى، و نفتكر من فتره مش بعيده اللى حصل فى أقليم الأيجور الصينى، و الأرهاب وقتها جه من أتباع عقيده، هى المفروض الأكتر مناداه بالسلام بين كل الشعوب و العقائد فى العالم كله.

فكرة الأرهاب مش مرتبطه بعقيده بعينها أو جنس محدد، لكنها مرتبطه بأسلوب تفكير خاطئ، أغلب شعوب و أعراق الكره الأرضيه أتربوا عليه، و هى فكرة أحنا الأفضل. أحنا بنسمع دايماً تعبيرات "شعب الله المختاره، خير خلق الله، و أبناء الله" و ده من الناحيه الدينيه. أو أفضلية العرق أو لون البشره من الناحيه العرقيه، و بيتهيألى نظرية هتلر المبنيه على عظمة الجنس الأرى، و رفضه للعرب و اليهود، كانت أكبر دليل على أن الفكره دى مش مرتبطه بمجتمع دينى معين، أو خاصه بدول عالم تالت أو عالم أول، لكن الفكره و المبدأ مرتبطين بالفكر الأنسانى ككل، و ده على مدار التاريخ البشرى كله، و حتلاقى أفلام سينمائيه أو وثائقيه كتير، بتتكلم عن

العنصريه فى الولايات المتحده الأمريكيه لحد تقريباً منتصف الستينات من القرن العشرين، و حتكتشف أن دول العالم الأول كانت هى أكتر الدول تحريضاً و ممارسةً للعنصريه، و ده كان بيتم لحد فتره زمنيه قريبه جداً، و حتكتشف كمان أن الرق و العبوديه كانت موجوده عندنا فى العالم الأسلامى و بشكل بشع جداً، لحد أوائل القرن العشرين، بمعنى أنك مش حتلاقى مكان فى العالم كله لم يوصم بالتفرقه العنصريه و أزدراء الأخر، أياً كان شكل الأزدراء أو التفرقه.

الفكره المهمه و الخطيره جداً اللى عايز أناقشها بشكل سريع جداً فى الفصل ده، هى فكرة الأخر، اللى بعتبرها أهم مشكله فى التاريخ الأنسانى، لكن دلوقتى حنناقشها سريعاً من زاويه واحده بس، و هى زاوية الحوار بينك و بين الأخر، أو أى شكل مناقشه بين أتنين من فكرين مختلفين، ممكن مسار الحوار يكون دينى، سياسى، فكرى، أو حتى كوره، و أنا هنا دايماً بسميه "الحوار الأطرش"، و الأطرش للى مش فاهم المصطلح، هو التعبير الشعبى للشخص فاقد حاسة السمع.

بدايةً، ففكرة مناقشة شخص من وجهة نظر مختلفه عنك، هى فكره كارثيه فى مجتماعتنا العربيه بكل المقاييس، القاعده الأساسيه فى أى حوار من هذا النوع، أنك دايماً بتدخل الحوار مش علشان تسمع و بعدين ترد، لكن علشان تهاجم، و كل شخص من الأتنين المتحاورين بيدخل الحوار و هو بيكيل بمكيالين، مكيال و هو بيتكلم، و مكيال تانى خالص و هو بيسمع، لأن الأنتماء لأى شئ دايماً بيخلى الشخص مش واخد باله من عيوب الشئ اللى هو منتميله، فمش بيكون موضوعى لما بيرد، مع أنه بيكون فى قمة الموضوعيه لما بيناقش أو بيهاجم الأخر فيما يخصه، و بيكون دارس كل التفاصيل الخاصه بوجهات النظر فى الجانب الأخر، سواء كانت المناقشات دى دينيه، سياسيه، أو أى أتجاه نقاشى أخر، و ده بيكون بس علشان يطلع فى الجانب الأخر أى ثغرات.

طبعاً واحد من أكبر الأمثله على كده، هى قنوات الYoutube الدينيه، و اللى كل طرف فيها بيدخل المناظره علشان يهاجم الطرف التانى بس، و طبعاً بنشوف مناظرات فى قمة اللا موضوعيه، لأنك و أنت بتابع من بره، بتشوف كل واحد منهم قارى كويس جداً فيما يخص الدين الأخر، و مطلع على أدق التفاصيل اللى ممكن تكون نقط ضعف و بالتالى نقط هجوم عليه، لكن و للأسف الشديد مش بتكون

عنده الفكره الكافيه عن دينه، و اللى المفروض أنه جاى علشان يدافع عنه، و اللى تأهله للرد على هجوم الطرف التانى، و هنا بتحضُرنى مقولة چورج برنارد شو ، الكاتب الأيرلندى الساخر، أنه بيصدق كل الأديان لما بس بتتكلم عن الأديان الأخرى، فبنشوف حوار شكله غريب جداً، أتنين بيهاجموا بعض طول الوقت، و مفيش حد من الأتنين بيرد على أسئلة الطرف التانى، طيب أمال هى أسمها مناظره أو حوار ليه؟

طبعاً و بعيداً عن الدخول فى تفاصيل، لأن ده مش موضوعنا، لكن نقطه مهم جداً أنى أوضحها بسرعه، و هى أن مشكلة أغلب الأديان حالياً هى التدخلات البشريه فيها على مر العصور، و كل تدخل بيتم، بيتحول بعدها لجزء صميم من الدين. حأضرب بسرعه بعض الأمثله، زى مثلاً أن فى الأسلام الناس بتتجوز على مذهب فلان، مش على شريعة الله، يعنى أزاى فى صيغة الزواج بيطلب من الشخص تلاوة صيغه بتقول أن الزواج ده على مذهب الأمام الفلانى و مش على شرع الله؟ و برضه مثل تانى مهم جداً و هو قانون الخلع اللى طلع فجأة علينا سنة 2000، و هل الناس كانت ناسياه و لا مش واخده بالها منه طول ال1400 سنه اللى قبلها؟ كمان فى المسيحيه السماح بالطلاق و أسباب الطلاق أتغيرت أكتر من مره فى مصر على مدار القرن الماضى، برضه بدون تبرير لفكرة ليه كان مسموح ببعض الأسباب للطلاق، و بعد كده الأسباب دى أُلغيت ليه فى عهد البابا شنوده. فكل النقط دى بتفتح ثغرات لدخول عشرات من النقط للهجوم فى هذا النوع من الحوارات.

نفتكر برضه شكل البرامج اللى كانت بتعتمد على وجود شخصين من أتجاهات أيدلوجيه مختلفه بيهاجموا بعض، و اللى بدأته عربياً قناة الجزيره فى برنامج الأتجاه المعاكس، و قلدته بعدها كل القنوات العربيه، و ممكن منكم اللى يفتكر حلقه فى أحد البرنامج على واحده من القنوات المصريه، و بالرغم من أن أتجاه الحلقه كان رياضى، إلا أنها أنتهت بالشتيمه و الضرب بين ضيفى الحلقه، و كانوا أحمد شوبير و المعلق أحمد الطيب.

الفكره ببساطه أن مفيش شخص عنده مبدأ الرد بعد ما يكون أستمع للطرف الأخر، هى الفكره أن كل واحد بيدخل الحلقه و هدفه الهجوم، مع أن الهدف الرئيسى للحوار بيكون الدفاع، لكن بما أن أغلب الناس مش بيكون عندهم حُجه قوية فيما ينتمون إليه، فطبعاً و بالتأكيد بيكون الهجوم أسهل، طبعاً بالأضافه إلى المبدأ الأشهر

و هو أننا دايماً على حق، و أن ما أنتمى إليه هو الصح و الباقى على باطل. فى النهايه بيكون المستفيد الأكبر من هذا النوع ده من البرامج طبعاً القناه، لأنها بتعلى نسبة المشاهدات بهذا النوع من الحوارات العقيمه، لكن المطعمه دايماً ببهارات الشتيمه و الضرب.

و هنا بنوصل للمره التانيه لمقولة الأمام الشافعى: "رأيِي صَوابٌ يَحتَمِلُ الخَطأ، ورأيُ غَيري خَطأ يَحتَمِلُ الصَّوابَ"، و أنا هنا بطلب من كل واحد فينا أنه يضع المقوله دى قدام عنيه طول الوقت، يا جماعه لازم نسمع لبعض، لازم نشوف تقييم الأخريين لوجهة نظرنا، لأن دايماً اللى بره، و اللى غير منتمى، بتكون رؤيته أشمل و أوسع، بالعكس ممكن يكون قارى و عارف أكتر منك، فى الشئ اللى أنت المفترض أنك منتمى له، فالمطلوب مننا هنا 3 نقاط أهم من بعض:

أولاً، أننا نبقى دارسين و فاهمين بشكل تام المذهب، أو الأتجاه الفكرى، أو أياً كان الشئ اللى أحنا بننتميله، سواء كان دينى، سياسى، أقتصادى، أو حتى فنى، لأن المفترض أن مفيش أنسان بينتمى لشئ بالتبعيه، لكن لازم قناعاته تكون كامله بما ينتميله، و ده مش بيتحقق غير بالدراسه الكامله له، علشان قناعته تكون كامله تماماً.

ثانياً، نكون دايماً على أستعداد للسمع و التحليل، يمكن تكون مقولة الأمام الشافعى صح، يا جماعه دى النظريات العلمية نفسها بيُكتشف خطئها زى ما سبق و ذكرت من شويه، مش لازم نقفل على اللى أحنا عارفينه و بس، و غالباً و للأسف بتكون مصادر معرفتنا دايماً سمعيه و بدون دراسه.

ثالثاً، لازم نكون على قناعه أن أختلاف الناس فى كل شئ على كوكب الأرض -بدايةً من اللون، للفكر، للدين-، شئ مش موجود بالصدفه، لازم نكون متأكدين أن ده شئ له حكمه و هدف، حتى لو مكناش قادرين نوصل للحكمه دى، و أن أحنا لازم نتقبلها، علشان نعرف نتعامل و نتعايش معاها.

****

أوصل معاك لشكل كوميدى جداً من أشكال إنقطاع التواصل أو الNo Signal، و ده أنا بسميه الحوار الشكاى البكاى، و أنا أخترتله الأسم ده لأنه هو فعلاً بيكون

مضمونه كده، و الحوار الشكاى البكاى بيكون له شكلين ثابتين و معروفين، و أعتقد أنك عمرك ما حتشوفهم خارج حدود دولنا العربيه، لأن الحاله دى مبنيه على موروث ثقافى، أعتقد أنه أصبح جزء من التكوين الجينى بتاعنا، و تعال معايا نتعرف على الشكلين دول:

الشكل الأول، و هو اللى بيميل للشكى أكتر من البكى، بيبدأ عادة بأن شخصين أو أكتر بيكونوا متواجدين مع بعض، فيبدأ واحد منهم يحكى حكايه بيكون جزء منها الشكوى من شخص معين -مش موجود طبعاً فى الجلسه-، و عايزك تتوقع معايا أيه اللى ممكن يحصل بعدها.

بالضبط زى ما توقعت، كل اللى موجودين بيتحولوا لحوار غوغائى غير منظم للشكوى من نفس الشخص، كأنها عدوى، و ممكن تتحول كل محاسن الشخص ده فجأه لسيئات، و للأسف ده مش موضوعنا، لكن موضوعنا أزاى حتتحول الجلسه دى لمجموعة حوارات محدش فيها سامع التانى خالص -ده لو مكانوش كمان بيتكلموا فى نفس الوقت-، لأن كل شخص فيهم مشغول باللى بيقوله و بس، مش شاغله أى حاجه تانيه بتتقال، و حأوضح لكم السبب بعد ما أتكلم عن الشكل التانى.

الشكل التانى، و هو اللى البكائيات فيه بتكون أكبر من الشكى، و هو مبيختلفش عن النوع الأول فى أسبابه غير بس فى تفصيله واحده، و هى أن الحكايه اللى بيحكيها الشخص المتحدث بتكون نوع من البكائيه، مش شكوى من شخص، و فيها بيشتكى ظروفه و سلوكيات الناس و غلاء المعيشه...إلخ. و زى ما شرحنا فى الشكل الأول، بيحصل نفس الشئ فى هذا الشكل، بس يمكن قوة تداخل الحوارات فى الشكل ده بتكون أقوى بكتير، و ده برضه له أسبابه اللى حنكتشفها مع بعض، و تعال معايا نحلل أسباب النوع ده من أشكال إنقطاع التواصل أو الNo Signal.

السبب الرئيسى فى الشكل أو الحاله دى بيكون مصدره الرئيسى المره دى هو المتحدث نفسه، مش المتلقى، بمعنى أن الخطأ الفعلى بيبدأ من عنده. واحده من أكبر المشاكل اللى رصدتها فى التواصل بين الناس، هى فكرة أن أحيانا لما شخص ما بيتكلم مع شخص تانى، مش بيكون مقدر درجة أهمية حواره عند المتلقى، بمعنى أوضح أنه ممكن يتكلم و يرغى فى مواضيع، ليس لها نفس الأهميه عند المتلقى، بل

و أحياناً ميكنش لها أهميه من الأساس عنده، و دى نقطه أغلبنا مش بيدركها و هو بيتكلم، لأننا لما بنتكلم، بنتكلم دايماً فى اللى يهمنا و بس، و كأننا بنفرضه فرض على المتلقى.

المتلقى لو كان على درجه عاليه من الذوق، فحيحاول يركز مع المتحدث فى البدايه على قد ما يقدر، لكن تأكد أنه حيوصل لمرحله -غصب عنه- حيفقد فيها التركيز ده، فحتبدأ مرحلة هز الراس كل شويه كعلامه على تركيز و تفاعل مش موجودين على الأطلاق، بس حيعمل كده علشان ميحرجش المتحدث.

أما لو كان المتلقى مش على نفس الدرجه من الذوق -و ده برضه غصب عنه-، فحينصرف بذهنه عن الحوار بعد أول جملتين بشكل تلقائى، و ممكن ينشغل بأى حاجه تانيه، و ممكن تلاقيه يتحول لمسك الموبايل علشان يقلب فيه، بس حنأجل قصة الموبايل دلوقتى لحد الشكل الأخير عندنا، المهم أننا بنوصل فى النهايه أن الحوار بيصبح بلا جدوى.

لكن نرجع تانى لشكل الحوار اللى ذكرناه، و اللى مبنى فى الأساس على فكرة الشكوى، و ده نوع خاص جداً من الحوار، و اللى غالباً مبيهمش المتلقى بأى شكل من الأشكال، لكن فى نفس الوقت هو بيحفز عنده حاله خاصه جداً بيه هو شخصياً، بيلمس نقط مشتركه بتتلاقى فى بعض الجزئيات، و سواء الشكوى دى كانت من شخص الأتنين عارفينه، أو بكائيه عامه، فالمتلقى بيحصل له نوع من الأشعال الذاتى، لأننا كلنا فى مجتمعاتنا العربيه بلا أستثناء عندنا مشاكل، و فى كل مجتمع المشاكل بتتشابه، فالمتحدث أول ما يبدأ فى الشكوى أو البكائيه، و اللى بتكون عامله زى شرارة الأشعال الذاتى فى البوتاجاز، بيبدأ المتلقى هو كمان يحذو نفس حذو المتحدث، و ممكن هنا المتلقيين يكونوا أكتر من شخص، فبنوصل لحاله فريده من الحوار الغوغائى اللى كل شخص فيه بيتكلم، و مفيش و لا واحد بيسمع.

طيب أيه المطلوب منك علشان توقف هذا النوع من الحوارات العديم الجدوى، و المضيعه للوقت؟ أنك تحاول لما تتكلم فى أى موضوع تكون مركز فى أهمية موضوع الحوار ده عند المتلقى، لأنك لو أستمريت طول الوقت فى النوع ده من الحوارات، بتخسر Credit أو رصيد عند المتلقى، فبيبدأ يمل، و شويه شويه حيبدأ ينصرف

عنك غصب عنه، و أنت مش بتكون فاهم سبب أنصرافه عنك أيه، لكن لازم أعترف معاك أن النوع ده من الحوارات المنفث للغضب كلنا بنحتاجه، لأننا ببساطه كلنا بنحتاج نفضفض لأى شخص قريب مننا، لكن لازم تكون من الكياسه أنك متطولش، و أنك تحاول تلمس طول الوقت على نقط تهم المتلقى. أما النقطه الأخيره اللى لازم تيجى قبل كل النقاط اللى فاتت، و للأسف برضه أغلب الناس مش بتراعيها، و هى أختيار الوقت المناسب للشخص المتلقى قبل ما تبدأ حوار الفضفضه الخاص بيك، لازم تتأكد أن المتلقى عنده قدره و على إستعداد للسمع، علشان متبقاش كل حواراتنا دايماً No Signal.

****

أوصل معاك لأخر شكل من أشكال الNo Signal، هو حيكون الأخير فى الفصل ده و فى أختياراتنا، بس بالتأكيد فيه غيره كتير، لكن أنا حاولت معاك أختار أكتر النماذج المنتشره فى مجتماعتنا العربيه. الشكل الأخير اللى حأتكلم عنه هو جديد على مجتماعتنا، مكملش 15 سنه، لكن بالرغم من بساطته، إلا أن وراه فكر و تخطيط منظم جداً، التخطيط ده متعمد يوصلنا عن طريق الشكل الجديد ده، لمرحله أكبر من كده بكتير، حتمس حياتنا كلها بشكل عام.

الشكل اللى بتكلم عنه، و بالطبع كلنا لامسينه، و هو أنك تلاقى شخص ما بيتكلم مع شخص أخر، و ممكن يكون الكلام فى غاية الأهميه، و تلاقى الشخص اللى قدامه ماسك الموبايل بيقلب فى شوية Posts، أو بيكتب رساله غير ضروريه على الWhatsapp، و أحب بس أوضح أن كلمة غير ضروريه هنا مش قصدى بيها تدخل منى فى خصوصيات الأخر، لكن قصدى أنها ممكن تتأجل على الأقل الكام دقيقه بتوع الحوار.

على مدار أكتر من 10 سنين، عانيت بشده من الموضوع ده، خصوصاً أثناء حواراتى مع الأجيال الأصغر منى سناً، و للأسف ده شئ بيحصل طول الوقت. المشكله الأكبر بتيجى لما تحاول تتناقش معاهم أو تشتكى، بتُفاجئ برفض عنيف جداً لفكرة أنك تنتقد الموضوع ده. أفتكر مره كانت فى رمضان، أيام حظر الكورونا، و كان الوقت المتاح معانا للتصوير هو يا دوب الساعه اللى بعد الفطار، فكنا كلنا بنفطر مع

بعض و بعد كده بنصور، المهم أن مقدمه البرنامج وصلت متأخره، تقريباً قبل ميعاد الفطار بأقل من ساعه، و للأسف مكنتش أهتمت أنها تقرأ الحلقه قبل ما تيجى، فبعد ما سبتها ترتاح شويه، بدأت أتناقش معاها فى الحلقه، وكانت ماسكه الموبايل، طلبت منها تسيب الموبايل و تركز معايا أكتر من مره، فما كان منها إلا أنها أتعصبت و أتخانقت، و فى الأخر نزلت و سابتنا و سابت البرنامج كله، بدعوى أنى بتدخل فى أمورها الشخصيه، و قبلها طبعاً قالت الجمله الأشهر اللى بسمعها دايماً من كل الناس اللى كانت بتشتغل معايا "متقلقش، أنا مش حاغلط وقت التصوير"، مع أن عمر ما ده حصل لا معاها، و لا أى شخص أخر، خصوصاً كمان لو مش محضر كويس.

التعبير التانى الأشهر، و اللى ممكن تسمعه أكتر، فى كافة أنواع هذا النوع من الحوار العابث، هو تعبير: "متقلقش أنا أصلى بعرف أركز فى أكتر من حاجه فى وقت واحد"، و طبعاً و بالمناسبه دى، فالجمله دى علميه غلط جداً، و بالصدفه لسه شايف من حوالى أسبوعين فيلم وثائقى من أنتاج قناة DW الأمانيه الشهيره، بتأكد على كذب أدعاء التركيز العقلى فى موضوعين فى وقت واحد، يعنى عقلك أستحاله يركز فى قراية حاجه على الموبايل، و فى كلام شخص قدامك فى نفس الوقت.

بعد كده وقت الجد بنسمع التعبير التالت، و اللى لا يقل أهميه عن التعبير الأول و التانى وهو : "معلش أصلى سقطت منك"، و ده طبعاً بيتقال لما يكون الطرفين أتفقوا على حاجه -ميعاد مثلاً-، و بسبب أنشغال الطرف التانى باللعب فى الموبيل، المعلومه بتكون وقعت أو أتنست.

أنا عايز أسأل سؤال لكل اللى بيعمل كده، هل فعلاً الPost أو الMessage اللى بتقرأها و كمان بترد عليها أثناء كلام الأخر معاك، متحتملش أنها تستنى الدقيقه أو حتى الخمس دقايق اللى الشخص اللى قدامك بيكلمك فيهم؟ طيب أنت من الأساس قابل تتكلم معاه ليه، لو أنت بتعتبر كلامه مش مهم؟ اللى بيحصل ده من وجهى نظرى مؤشر خطير جداً، و مُستهدف لخطه بعيدة الأمد بدأت تتنفذ بالتدريج، لعزل الناس أجتماعياً عن بعض، و ده لأهداف حأتكلم عنها فى الكتاب الجاى، لكن بس أحب ألقى الضوء على نقطه صغيره لكارثه بدأت تتنفذ بالفعل، و هى كارثة الMetaverse، اللى بعتبرها نهاية المطاف و الخطوه الأخيره فى خطة عزل الناس تماماً عن بعضهم.

أتمنى بجد أننا نراجع نفسنا، و يا ريت دايماً تخلى نفسك مكان الطرف الأخر، و أسأل نفسك السؤال الأهم: هل حتقبل تتعامل بنفس الأسلوب؟ التواصل هو أهم سبب لتقدم البشريه، من أيام عصر الكهوف لحد النهارده، خد بالك أن أغلب أختراعات البشريه كانت دايماً فى أتجاه المزيد من التواصل بين الناس و بعضها، يعنى التواصل المثمر دايماً معناه المزيد من التقدم، و الحياه مشيت على كده، من يوم ما بدأت على كوكب الأرض، ليومنا هذا، لكن اللى بيحصل دلوقتى له أهداف، مش مجالنا أننا نتكلم عنها فى الكتاب ده.

فى النهايه حأرجع مره تانيه للحكمتين اللى قلناهم على مدار الحلقه، أنك عندك ودنين و لسان واحد، علشان تسمع أكتر ما تتكلم، و مقولة الأمام الشافعى: "رأيي صَوابٌ يَحتَمِلُ الخَطأ، ورأيُ غَيري خَطأ يَحتَمِلُ الصَّوابَ"، و إذا كان الكلام من فضه فالسكوت و الأنصات لغيرك من دهب.

02 أبريل 2023

**"لماذا نختلف دائماً بعد النجاح؟
لماذا لا تتحد أبداً أهدافنا؟"**

مسار كايروكى الإجبارى

فى مقدمة الكتاب، و اللى أتفقت معاك أننا نعتبرها الفصل الأول له، حكيت لك عن القصه وراء الوصول لفكرة جمع مواضيع كانت حتكون حلقات فى برنامج، و إعادة صياغتها -مع إضافة مواضيع جديده طبعاً-، علشان تبقى الكتاب اللى بين أيديك دلوقت.

لكن اللى يهمنى فى الفصل ده أنى أشرحه، هو سبب ليه أنا مكملتش البرنامج و بعض برامجى التانيه -بالرغم من تحقيقهم لنجاح معقول جداً-، و ليه كتير من المشاريع الناجحه ممكن تتوقف لأسباب غير أقتصاديه، أو أى نوع من الأسباب الخارجه عن أرادة أصحابها.

بدايةً، أنا قلت تعبير مهم جداً خاص بيا فى الفصل الأول و هو : **"أختلاف الأهداف هى بداية الخلاف"**، التعبير ده يُمثل مربط الفرس فى الفصل ده، و خلينى أحكيلك عن قصه و تجربة جميله حضرتها بنفسى، لكن للأسف و كالعاده هى قصه لم تكتمل، مشروع توقف و هو فى بدايات نجاح مبهر، و تعال أرجع معاك 12 سنه للخلف.

سنة 2011 كانت أهم سنه فى مسار حياتى فى مجال الأفلام التسجيليه، فى السنه دى لوحدها عملت 4 أفلام، زائد فيلم كنت بدأته من 2010، و الغريب أنى كنت خلصته قبل حادثة كنيسة القديسيين بأيام، لكن حادثة كنيسة القديسيين خلتنى أضيف نهاية تانيه للفيلم، و دى كانت من التجارب النادره و الغريبه فى حياتى. و طبعاً أنا كنت برضه لسه مهندس فى أحدى الهيئات الحكوميه، فكانت السنه دى ثريه جداً بالنسبالى، بكل ما تحمله الكلمه من معنى.

أحد أسباب الغزاره فى أنتاجى أثناء 2011، هى أن مكنش وقتها فى أى عراقيل أنك تصور فى أى مكان فى مصر، كان فى حاله حلوه قوى، الناس كانت بتشجعنا لأن الناس نفسها كانت عايزه تتكلم -أياً كان الموضوع-، فكانت الحاله العامه رائعه، الأمور سهله فى كل خطوه بنعملها، محدش بيسألك أنت بتعمل أيه، أنا طبعاً مش عايز أقولكم

قبل 2011 كم المعاناه كانت قد أيه علشان نقدر نصور، و طبعاً نفس الكلام بعدها، لحد ما بدأت عملية التوقف التدريجى لمشروع الأفلام التسجيليه بتاعى، يمكن فيلم كل سنه و أحياناً أكتر.

أثناء السنه دى، و خلال الكام الشهر التاليين لثورة يناير، كانت بتحصل فعاليات كتير جداً فى مصر، فعاليات أغلبها كان بيحصل فى الشارع، فكنت أنا و المصور اللى معايا شايلين كاميرتنا على كتفنا، و أحياناً بيكونوا كاميرتين، و موجودين فى كل حدث أو فعاليه بتحصل، فى القاهره أو خارجها. من بين أهم الأحداث دى، كانت الحفلات الغنائيه اللى كانت بتم فى الشارع بالمجان، للفرق اللى كانت بتتسمى وقتها فرق "Underground" أو فرق تحت الأرض، و خلونى فى البدايه قبل ما أستفيض، أشرحلكم معنى التعبير ده و أيه المقصود بيه، و أرجع بيكم بالزمن شويه تانيين للخلف.

****

مع بداية الألفيه، يعنى بعد سنة 2000، كان الغنا وقتها قاصر على الشكل التجارى بس، بمعنى أن المطربين أو الفرق -و اللى كانت قليله جداً فى الوقت ده- بتتعاقد مع شركة إنتاج، و بيكون الأنتاج فى شكل ألبومات، سواء كانت شرايط كاسيت أو CD's، و تفاعلها مع الجمهور بيكون بشكل ضعيف جداً، و ده بيكون من خلال حفلات بسيطه و ساذجه جداً، زى ليالى التليفزيون، و كمان تذاكرها بتكون غاليه جداً. يمكن التفاعل الوحيد الحقيقى بين المطرب و الجمهور، كان بيتمثل في حفلات الجامعات.

لكن زى ما أنا لسه قايل أن بداية الألفيه شهدت ظهور موجه جديده، تقريباً كلها فرق مش مطربين، الفرق دى مش بتعمل ألبومات تتباع، لكن بتعمل طول الوقت حفلات بأسعار منخفضه جداً، من خلال مكانين أو تلاته فى مصر كانت بستضيف الفرق دى، زى الساقيه في الزمالك.

أهم ما كان بيميز الفرق دى، أولاً نوعية الكلمات اللى خرجت عن الأطار التقليدى لفكرة الحب و الهجر...إلخ. ثانياً المزيكا الغير التجاريه، لأن المزيكا وقتها كانت نمطيه جداً بدايةً من نصف التمانينات، من بعد ظهور حميد الشاعرى. ثالثاً التفاعل المباشر مع الجمهور. رابعاً أن أغلب أفراد الفرق دى كانوا مش واخدنها تجاره،

بالعكس، أغلبهم كان له وظايف كويسه جداً خارج إطار الموسيقى، فهم كانوا عشاق بجد للفن، مش ألاتيه و خلاص.

الفرق دى أطلقت على نفسها مصطلح كان موجود فى أوربا على نفس النوعيه من الفرق و الغنا ده، و هو مصطلح "Underground"، لأنهم مكنوش ظاهرين للناس العاديه، هما كانوا معروفين بس لنوعيه من الشباب المثقف اللى بيتابعهم و بيحضر حفلاتهم، بالرغم من مطاردة نقابة الموسيقيين لهم بأعتبارهم دخلاء على الموسيقى، لأنهم مش أعضاء فيها.

نرجع تانى ل2011، و اللى كانت أكتر سنه منوره للفرق دى، لأن المناخ كان محتاج النوع ده من الغنا، و زى ما قلت قبل ما أستطرد أن كان فى حفلات مجانيه بتتنظم طول الوقت فى الشوارع للنوع ده من الفرق، و أنا كنت تقريباً باحضر أغلبها و بصورها كنوع من التوثيق الكامل للمرحله دى.

****

بدأت حكايتى مع عالم ال Underground من خلال حفله كانت فى ميدان الكوربه بمصر الجديده، و بالرغم من أنى كنت حضرت عشرات الحفلات قبلها، لكن الحفله دى كانت مختلفه فى كل شئ، بدايةً من نوعية الفرق، التنظيم، تفاعل جمهور مصر الجديده -اللى أنا واحد منهم-، المهم، فى اليوم ده قررت أنى لازم أعمل فيلم تسجيلى عن عالم موسيقى الUnderground، من خلال أنى أصور فيلم أتتبع فيه رحلة واحده من الفرق دى.

من خلال الحفله وقع أختيارى على فرقة مكونه من 8 شباب، الفرقه مكنتش فى الوقت ده من الأسامى المشهوره على الساحه خالص، لكن الأكيد أنها كانت فرقه مميزه بكل معنى الكلمه، بدايةً من التنوع الرهيب فى أعضاء الفرقه، اللى كل واحد فيهم جاى من بيئه و ثقافه و مجتمع و مستوى مادى مختلف تماماً، لنوعية المزيكا اللى بيقدموها ، و اللى بتحتوى كل أنواع المزيكا، لأسم الفرقه اللى بيوصل المعنى ده. الفرقه كان أسمها "عشره غربى"، و المقصود بيه المزيج بين الموسيقى المصريه "عشره بلدى" و الموسيقى الغربيه بكل ألوانها.

بعد الحفله قدرت أتواصل مع أحمد ياسين -مطرب الفرقه-، و طلبت منه بشكل سريع مقابله، لأنى عايز أعمل فيلم تسجيلى عن الفرقه. أحمد رحب جداً و أتفقنا على ميعاد للقاء مع باقى أعضاء الفرقه.

و أتفقنا، و بدأت تصوير الفيلم، و عشت معاهم شهور ما بين بروفات، تسجيل، حفلات داخل و خارج القاهره، دخلت معاهم العالم السحرى من جوه، و أتعرفت على كتير من الفرق التانيه، بقيت معاهم على الstage و وراه، عايش معاهم تفاصيلهم الحياتيه، و كل طقوس ما قبل الحفلات.

توج رحلتى معاهم فى الأخر حفله هما سموها "مش عشره غربى"، كان أميز ما فيها، هو أميز ما فى غنا الUnderground فى الوقت ده، و هو أن كل أغنيه غنوها فى الحفله، كان معاهم ضيف شرف من فرقه من الفرق الكبيره وقتها، يعنى هانى عادل نجم وسط البلد و الممثل حالياً، أمير عيد من كايروكى، أحمد بحر من Black Thema، و غيرهم كتير جداً، و دى كانت واحده من أجمل التفاصيل فى هذا النوع من الموسيقى فى الوقت ده، و هى العلاقه بين الفرق و بعضها.

للأسف و لظروف كتير أنقطعت علاقتى بيهم بعد الفيلم، و اللى بعتبره واحد من أفضل الأفلام اللى عملتها فى حياتى، لكن طبعاً كنت مهتم جداً بعدها بمتابعة أخبارهم، و اللى بدأت تقل بالتدريج، لحد ما عرفت أن الفرقه أنفصلت و أنتهى نشاطها تماماً. مش بس فرقة عشره غربى، لكن عشرات الفرق التانيه وقفت أو أنفصل أعضاءها فى الوقت ده، و كتير من أعضاءها سابوا المجال الفنى تماماً، و الغريب أن ده يحصل، و أغلب الفرق دى فى قمة نجاحها.

طبعاً اللى حصل ده زعلنى جداً على المستوى الشخصى جداً، و خلانى أسأل نفسى سؤال بيراودنى دايماً، ليه فى ناس كتير فى عز نجاحها مش بتكمل؟ و أنا هنا بعمم السؤال على كل مجالات الحياه، لكن قررت أخد المجال الفنى هو محور حديثى فى الفصل ده، بالرغم من أن السؤال عام جداً، لكن دايماً ضرب الأمثال بيقرب الفكره بشكل كبير جداً للمتلقى.

بالتأكيد أن فيه أسباب كتير لفكرة أنفصال أى مجموعه من الناس حققت نجاح مع بعض، سواء النجاح ده كان فى المجال الفنى أو أى مجال تانى، يمكن يكون من

بينها أسباب أقتصاديه، يمكن تكون الأسباب سياسيه أو لها علاقه بالمناخ العام في البلد، ممكن تكون الأسباب لها علاقه بأن المُنتَج اللى بتقدمه مبقاش له سوق، و ممكن أسباب تانيه كتير.

لكن فى سبب مختلف هو اللى بيهمنى و بيمثل موضوع الفصل ده من الكتاب، و هو أن مجموعة الأفراد دى وصلت لمرحلة أختلاف الأهداف، و أرجع تانى لكلمتى اللى دايماً بقولها: **"أختلاف الأهداف هى بداية الخلاف".**

****

عنوان الفصل ده بيتضمن معنين، الأول أسم أشهر فرقتين تمكنوا من الأستمرار زى ما بدأوا خلال العشرين سنه اللى فاتوا، و هما كايروكى و مسار إجبارى، أما المعنى التانى فهو من أسم فرقة مسار إجبارى، و معنى مسار إجبارى أن فى طريق تم الأتفاق على عدم الحياد عنه، الطريق اللى لازم نمشيه مع بعض، خط أتفقنا عليه و كلنا ملتزمين بيه، و ده بيُمثل واحد من أهم عناصر النجاح لأى مجموعه قررت أنها تحقق حلم مشترك مع بعض.

خلينى بسرعه أتكلم عن أهم تجربتين فنيتين ظهروا من رحم مرحلة فرق الUnderground، علشان يتحولوا لنجوم صف أول فى مصر، و حابدأ أحكى بسرعه أولاً عن الفرقه السكندريه "مسار إجبارى" و اللى أنا شخصياً بأعتبرها أهم و أنضج تجربه موسيقيه جماعيه فى تاريخ مصر كلها.

خلونى أناقش فى البداية الأسم الرائع -و الغريب جداً فى نفس الوقت- اللى أختاره أعضاء الفرقه الأربعه المؤسسين، الأسم الفلسفى العميق جداً، و اللى كان مقصود و مُستهدف من أعضاء الفرقه. "مسار أجبارى" كأسم أختارته الفرقه لنفسها كان مقصود بيه المسار اللى بيفرضه المجتمع على الناس، أن الناس فى مصر عايشه حياه مفروضه عليهم، و فى نفس الوقت زى ما بيقول أعضاء الفرقه، أنهم كلهم عاشوا فكرة المسار الإجبارى مع أهلهم، لأن كل أعضاء الفرقه كانوا من الصغر بيحلموا أنهم يكونوا موسيقيين، لكن الأهالى أجبروهم فى البدايه على مسار أخر، لأن مفهوم النجاح فى مصر فى الوقت ده، يا أما أنك تكون دكتور أو مهندس. يعنى ببساطه أسم

الفرقه كان بيُمثل معنى القهر اللى عايشه المجتمع، و اللى برضه عاشه أعضاء الفرقه قبل بداية مشوارهم الفنى.

بدأت الخطوه الأولى للنجاح لما قرر أتنين من أعضاء الفرقه الأربعه أنهم يسيبوا عملهم و يتفرغوا للمزيكا، الخطوه دى معناها تحديد الهدف و الكفاح من أجله مهما كان التمن أو النتايج، بمعنى أن أعضاء الفرقه فعلاً وضعوا أول قدم على طريق مسارهم الإجبارى، لكن اللى هما أختاروه بنفسهم.

الفرقة بدأت سنة 2004 بأربع أعضاء، و فى سنة 2008 أنضم لهم العضو الخامس، و من وقتها و الفرقة بنفس الLine up أو الأعضاء، و 19 سنه عدت و الفرقه ماشيه بنفس المنهجيه فى كل تفاصيلها، لكن بيُضاف لها الخبره فى كل خطوه الفرقه بتخطوها، و فى الكتاب ده بأحيى أعظم فرقه موسيقيه ظهرت فى تاريخ الفن فى مصر حتى اللحظه دى -على الأقل من وجهة نظرى-.

من النقط المثيره فى تجربة مسار إجبارى، أنهم بعد 3 سنوات بس من بدايتهم، يعنى بدءاً من 2007، كانت الفرقه بتعمل حفلات كتير خارج مصر، و بدأت فى 2007 بحفلتين فى مالطا و تركيا، و 2008 فى أيطاليا، و ده بالتأكيد كان قبل ما يتعرفوا فى مصر بالصوره الكافيه.

فيلم "ميكروفون" للمخرج المبدع أحمد عبد الله السيد و اللى تم تصويره سنة 2010، لكن عرض بالتزامن مع ثورة يناير، و اللى تنبأ فعلاً بالثوره قبلها بشهور، هو أحد العوامل الرئيسيه لشهرة الفرقه السكندريه، لأن الفيلم كان ينتمى لما يسمى ب الDocudrama، يعنى كان ببساطه فيلم تسجيلى بيتكلم عن الفرق المستقله فى الأسكندريه، و المتغير اللى حصل للشباب فى الأسكندريه فى مرحلة 2010، من خلال قصه درراميه بسيطه لأتنين شباب بيعملوا تجربة فيلم مستقل، فالفيلم ده حكى جزء كبير و مهم من مشوار مسار إجبارى، بشكل كان جديد جداً على السينما المصريه.

الفرقه التانيه اللى حنتكلم عنها هى الفرقه الأشهر فى مصر حالياً و هى طبعاً "كايروكى"، و فرقة كايروكى على عكس أسم واحد من ألبوماتهم و هو "أبناء البطه السوداء"، بالعكس ففرقة "كايروكى" أعضاءها ممن يطلق عليهم "ولاد ناس قوى"، كلهم من منطقه المعادى، و 4 منهم كانوا أصدقاء طفوله و زملاء فى المدرسه.

الفرقه بدأت بأتنين بس من الأعضاء و بأسم "Black Star"، و كانوا بيغنوا أغانى معروفه باللغه الأنجليزيه، يعنى "Cover versions" لأغانى مشهوره، ما عدا أغنيه واحده لهم كانت باللغه العربيه أسمها "غريبه"، و الغريب أنها كانت أكتر أغنيه بتتطلب منهم فى الحفلات.

فى 2003 أتكونت الفرقه فعلياً ب4 أعضاء -زى ما قلنا كلهم كانوا زملاء مدرسه- فى المعادى، و الأسم كان عباره عن مزيج من كلمتين، "كاريوكى" و هى فكرة غناء الجمهور فى بعض الأماكن الخاصه على موسيقى أغانى بتتسمى "minus 1"، و الكلمه التانيه و هى "Cairo" أو القاهره باللغه الأنجليزيه. فى سنة 2008 أنضم لهم العضو الخامس لأن الفرقه كانت محتاجه عازف keyboard شاطر، و من 2008 للنهارده و الفرقه بنفس الLineup أو الأعضاء.

فى المرحله الأولى، و هى مرحلة ما قبل 2011، كانت الأماكن المتاحه فى القاهره لهذا النوع من الغناء قليله جداً، و كانت يا أما مكان زى ساقية الصاوى، أو Pubs زى Cairo Jazz Club، و دى كانت الفرص المتاحه للفرق المستقله الUnderground وقتها، و طبعاً شتان الفرق بين جمهور ساقة الصاوى، و مرتادى Cairo Jazz Club.

لحد يناير 2011، مكنتش فرقة كايروكى من الأسامى المشهوره وقتها، زى فرقة وسط البلد، و اللى خدمها برضه أنها ظهرت فى أكتر من فيلم سينيمائى زى "ملاكى أسكندريه" و "عودة الندله"، لكن كايروكى كانت أكتر فرقه أستفادت من الثوره، بدايةً من الأغنيه اللى أُعتبرت أيقونة الثوره، و اللى عملوها مع مطرب فرقة وسط البلد هانى عادل و هى أغنية "صوت الحريه"، و اللى من خلالها عرف الناس العاديه فرقة كايروكى للمره الأولى.

فى خلال الفتره من 2011 ل2013 أصبحت فرقة كايروكى الفرقه الأولى فى مصر، من خلال مجموعه من الأغانى المُلهمه فعلاً، زى "يا الميدان"، "أثبت مكانك"، "مطلوب زعيم"، ال3 أغانى دول كانوا كافيين مع أغنية "صوت الحريه"بوضع كايروكى على قمة الفرق الغنائيه فى مصر.

بدأ أنحدار تدريجى فى مستوى أغانى الفرقه بدايةً من 2014، سواء ككلمات أو موسيقى، لدرجة أن كان لهم أغنيه سنة 2015 أسمها "الباكابورت" و الباكابورت للى مش عارف هى بلاعة المجارى، و طبعاً جزء من الأنحدار و البعد عن نوعيه معينه من الأغانى اللى كانوا بيغنوها سابقاً مفهوم سببه، لكن النقله كانت قويه و غريبه جداً، بس الأغرب أن النقله النوعيه دى لم تُأثر فى أستمرار نجاح الفرقه و شعبيتها على الأطلاق، و ما زال الفريق مستمر ليومنا هذا للسنه العشرين، و أصبحت فرقة كايروكى من سنين، هى الفرقه رقم 1 فى مصر، و الفرقه الأكثر ظهوراً فى الأعلام و الأعلانات.

****

بعد ما أستعرضنا بسرعه حكاية أهم فرقتين موسيقيتين موجودين على الساحه الغنائيه المصريه، و أكتشفنا أن عمر مسار إجبارى 19 سنه، بينما فرقة كايروكى السنه دى حتكمل 20 سنه، طبعاً عمر كبير جداً، بينما أختفت فى نص الطريق فرق كانت فى وقت ما أشهر منهم زى وسط البلد، طيب أيه سبب قدرة الفرقتين على الأستمرار طول السنين دى -من وجهة نظرى- مع أختلاف منهجية كل فرقه فيهم؟ و ليه مظهرش بين أفراد الفرقتين الخلافات الشخصيه اللى بتظهر فى كل الفرق فى العالم، و بتكون سبب لتفكك فرق و هى فى عز مجدها؟

قبل ما حابدأ أحلل خلونى أرجع لفقره كامله قلتها فى الفصل الأول و المُسمى "ليه" و كانت السبب الرئيسى فى أنى قررت أكتب الكتاب ده، و قلت فيها: **"بس أنا كانت صدمتى كبيره جداً أن البرنامج نجح، لكن أنا اللى سقطت، لأن البرنامج محققش أى تغيير فى فريق العمل اللى معايا، بما فيهم من قدمه بصوته و كان بينصح الناس بيه، و دى كانت أهم نقطه خلاف بينى و بينهم، و هو أحنا بنقدم سواء البرنامج ده أو كل برامجنا اللى قبل كده ليه؟ و أنا ليا مقوله دايماً بقولها فى طبيعة العلاقة بين أى ناس، و دى برضه حتكون موضوع واحد من فصولنا و هى: "أختلاف الأهداف هى بداية الخلاف". من هنا وقفت البرنامج و أكتفيت بس بال3 حلقات اللى نزلوا،".**

يعنى أنا و عن تجربه شخصيه، مقدرتش أكمل بعض البرامج الكتير على القناه على الخاصه بى الYoutube، بسبب فكرة أختلاف الأهداف و الرؤى ما بينى و بين فريق العمل اللى كان معايا، و هنا حنوصل للسؤال المهم، هل لما بندخل عمل جماعى دايماً كلنا بتكون لينا نفس الأهداف؟

أنا فى البدايه عايز أأكد مره تانيه أن الفصل ده مقصود بيه فكرة العمل الجماعى بكافة صوره، بس أنا أخترت نموذج براق و هو الغنا، لأنه بيحقق للشخص اللى بيمارسه أكتر من هدف و أكتر من شكل للنجاح، الشهره، الماده و تحقيق الذات. عادة اللى بيمارسوا الغناء بعيداً عن الشكل التجارى، بيكونوا طبعاً بيمارسوه عن حب، مش زى بعض الأخرين و اللى بيتسموا "ألاتيه"، و اللى بياخدوه بمبدأ "النحتايه" و السبوبه"، فالفرق كبير جداً بين الأتنين، أن فى شخص واخد الفن هدف و رساله، و شخص واخد الفن أكل عيش و سبوبه.

حأبدأ أحلل و أناقش تجربتى كايروكى و مسار إجبارى، و بأكد تانى أنا حاحلل التجارب من وجهة نظرى أنا، و حابدأ بفرقة كايروكى، الفرقه اللى بأعتبرها ماشيه على منهج النادى الأهلى و عمرو دياب و محمد صلاح، لأنها حولت مشروعها لعمل مؤسسى، بمعنى أن كايروكى أصبحت شركه لها إداره، و فى فريق عمل خلف الكواليس، و ده مش لأنهم أصبحوا نجوم، لكن لأنهم زى كل النماذج اللى أنا ذكرتها، قرروا يديروا مشروعهم بفكر إدارى، و ده اللى مخلى عمرو دياب على القمه -حتى لو مش هو صاحب أفضل أغانى-، و ده اللى عمله رامى عباس مدير أعمال محمد صلاح، و ده اللى مخلى فيه فرق كبير جداً بين الأهلى و الزمالك -بالرغم من أنى زملكاوى-، فالفكر المؤسسى ده كان واحد من أهم أسباب أستمرار كايروكى طول السنين دى.

أعضاء فرقة كايروكى وحدوا أهدافهم على مبدأ النجاح و الأستمراريه، و ده فى حد ذاته هدف مهم بالنسبه لناس كتير، و علشان كده تعاملوا بقدر كبير من البرجماتيه، و تعريف البرجماتيه للى ميعرفهاش هو: **"هى فلسفة تشجع الناس على أن يبحثوا عن الطرق، و أن يفعلوا الأشياء التي تحقق اهدافهم بشكل أفضل، لمساعدتهم على تحقيق غاياتهم المرغوبة".** علشان كده الفرقه غيرت من شكلها الفنى و نوعية أغانيها أكتر من مره على مدار مشوارها، و ده كان مبنى على فكرة "أيه متطلبات المرحله"، و طبعاً أنا مش بأعتبر أن ده صح على المستوى الفنى، لكن على المستوى

الأدارى فده صح جداً، و بما أن الهدف كان الأستمرار، فكده نقدر نقول أن أعضاء الفرقه حققوا نجاح تام.

أعضاء الفرقه قدروا دايماً يحافظوا على Image أو شكل عام للفرقه بعيد عن أى مشاكل، التجارب الفرديه لأمير عيد مأثرتش على الفرقه، و ده عكس اللى حصل مع فرقة وسط البلد، فتانى أرجع و أقول أن من وجهة نظرى أن نجاح كايروكى، كان هو التوافق على أستمرار كايروكى تحت أى ظروف، لدرجة أنهم سموا حفلاتهم "جمهورية كايروكى"، و بدأوا يعملوا Merchandise لهم، بمعنى سلع، زى تى شيرتات و خلافه عليها أسمهم، بمعنى أن كايروكى كمان أصبحوا زى فرق كرة القدم بره، و الأهلى فى مصر، لهم علامه تجاريه بتتباع، و كمان صدر كتاب من 600 صفحه عن مشوارهم، بأختصار فتجربة كايروكى ما بعد 2011، أصبحت تجربة مشروع - جزء كبير منه تجارى-، و ده أهم عوامل أستمرار الفريق طوال ال20 سنه.

نيجى للتجربه التانيه و هى تجربة مسار إجبارى، و اللى هى بشكل ما غامضه جداً بالنسبالى مقارنة بتجربة كايروكى، لكن أنا شايفها تجربه فنيه توافقيه جداً بين أعضاء الفريق، و أحب أفكرك مره تانيه، أنا فى الفصل ده مش بسأل هى الفرق دى نجحت ليه، لكن بسأل هى أستمرت أزاى طول السنين دى.

أنا من خلال تجربتى مع فرقة عشرة غربى، فهمت أزاى الأغنيه فى هذا النوع من الفرق الموسيقيه بتكون عمل جماعى، و الجماعيه هنا بتيجى فى مرحلة التوزيع، اللى بيتم من خلال مجموعة جلسات كتيره فى الأستوديو لكل أعضاء الفريق، كل فرد فيهم بيضيف للأغنيه تفصيله من خلال الأله اللى بيعزفها، و ده بيتم بمفهوم الBrain storming أو العصف الذهنى، و من خلال أكتر من فيديو شفتهم لفرقة مسار إجبارى، حسيت أن الفرقه بتشتغل على نفس النهج ده، خصوصاً أن أعضاء الفرقه الخمسه من الموسيقيين المبدعين بجد.

تجربة مسار إجبارى هى تجربه فنيه جداً، لو سمعت أول أغنيه ليهم و أخر أغنيه عملوها، حتحس أنهم على نفس النهج، لكن أُضيفت الخبره فى كل تجربه جديده بيعملوها، أنا بشوفهم مجموعه متجانسه جداً من الفنانين، اللى توافقوا على نوع من الموسيقى المتمرده ما بين الRock و الJazz و الBlues مع الروح الشرقيه اللى

عامله زى التوابل، هما دايماً مسار إجبارى فى كل أغنيه بيعملوها، السن بيُصقلهم و بيِّكسبهم خبره، لكن روح الموسيقى الهاوى حتفضل موجوده فيهم للأبد. هما مقلين جداً فى ظهورهم الأعلامى، محافظين على Image للفرقه فيه وقار و غموض طول الوقت.

****

بعد مناقشة التجربتين المهمين جداً دول، نقدر نلخص أن تجربة كايروكى هى تجربة كان هدفها إن أسم كايروكى يكون Brand، هى تجربه إداريه ناجحه جداً، حتى لو وقعت أكتر من مره فنياً خلال السنين الأخيره، أما تجربة مسار إجبارى، فهى تجربه فنيه توافقيه بين مجموعة أعضاء الفريق، بتزداد صقلاً مع السنين.

طيب حنستفيد أيه بعد محاولة تحليل تجربة أستمرار الفرقتين لما يقرب من 20 سنه؟ حنستفيد أننا نحاول نشرح ليه التجارب الجماعيه فى العالم كله أحياناً كتير بتنتهى و هى فى قمة النجاح؟

ببساطه لأن أى عمل جماعى له شرطين مهمين جداً.

أولاً: توافق الأهداف بشكل تام. يعنى مينفعش أن أنا و أنت ندخل مشروع صناعى مثلاً، خلينا نفترض مصنع ملابس، و يكون أنا هدفى الجوده و أنت هدفك الربح المادى بأى شكل. كده الأهداف حتتعارض، و التجربه حتفشل. فى ناس بتُؤمن أن الأسم بيجيب فلوس، و ناس تانيه بتُؤمن أن الفلوس هى اللى بتجيب الأسم، و الأتنين صح، بس كل مبدأ فيهم له طريقه إداره مختلفه تماماً.

فى الفن برضه، مينفعش يكون فى أختلاف أهداف فى أى تفصيله، حتى لو كانت فى طريقه صياغة العمل، و إذا ده حصل، فلازم يكون فى قائد بيدير الدفه فى النهايه، و لازم الكل يكونوا مرتضيين رأيه، لأنى شفت بنفسى أن الفن بيكون دايماً من أكتر المجالات اللى بيحصل فيها خلافات فى وجهات النظر، سواء فنيه أو أداريه أو ماديه، علشان كده أى مجموعه قررت تعمل مشروع مع بعض -أى مشروع-، لازم تحدد أهدافها من الأول بشكل توافقى كامل، متسيبش نقطه بدون ما تتناقش، لأن الأختلاف فى الأول أسهل كتير جداً من الأختلاف أثناء العمل.

تانى نقطه، و دى سبق و ناقشتها فى فصل "No Signal"، و هى فكرة العمل من خلال Modules، بمعنى أن كل واحده بيتحددله Job description أو مهام وظيفته، و اللى من المفترض أنها لا تتعارض أو تتداخل مع أى مهام وظيفيه لشخص تانى، بمعنى أن العلاقه بين أفراد العمل تكون تكامليه و ليست تنافسيه، أحنا بنكمل بعض مش بننافس بعض، أى واحد فينا لو وقع، فالمشروع كله حيقع، فياريت قائد أى عمل يحاول دايماً يسَكْن الشخص المناسب فى المكان المناسب، و يبعد دايماً عن الأختيارات اللى ممكن تسبب "نفسنه"، و ما أدراكم ما هى النفسنه.

كلمه أخيره، يا ريت لو أنت داخل أى مشروع -أياً كان نوعه- حتى لو كان مشروع زواج، تدى لنفسك الفرصه أنك تدرس الأخر و هو يدرسك، و تتأكدوا أن أهدافكم فى المشروع ده واحده، و تكون مطمن تماماً أن الشخص ده مكمل معاك للنهايه، و أن هو أو هى بيشاركك دايماً نفس الرؤيه.

14 مارس 2023

"لماذا نسقط كثيراً فى فخ الأختيار الأول في حياتنا؟
لماذا يؤدى هذا السقوط أحياناً للإكتئاب؟"

نقطة بدايه_1
الأختيار الأول

تقرير ظهر فى 13 سبتمبر 2021، على الصفحة الرسمية لمنظمة الWHO، و لو كنت متعرفش أيه هي منظمة الWHO، فهى المنظمه الرسميه التابعه للأمم المتحده، الخاصه بالصحه، و أسمها بالكامل "World Health Organization" أو منظمة الصحة العالميه، يعنى نقدر نقول أنها وزارة صحة العالم كله، طيب أيه بقى موضوع التقرير، و علاقته بالفصل ده؟

التقرير بيتكلم عن مرضى الأكتئاب، و بيقول أن في العالم 280 مليون أنسان مصاب بالأكتئاب، بنسبه تُقدر بحوالى 3.8% من أجمالى سكان العالم، نسبه كبيره فعلاً، و بالتأكيد أن النسبه الحقيقيه أكبر من كده بكتير جداً، لأن طبعاً فى ناس كتير -و خصوصاً فى دول العالم التالت-، مش بتتسجل فى الأحصائيات دى، لأن مش كل الناس عندها القدره أنها تروح لدكتور نفسى، فأكيد فيه ملايين الناس مكتئبه بينها و بين نفسها، محدش يعرف عنها أي حاجه، فبالتالى مش متسجله فى أى نوع من الأحصائيات الرسميه.

من بين أحصائيات التقرير أن نسبة الأصابه بالأكتئاب بتزيد عند البالغين بشكل أكبر، و ده شئ طبيعى جداً و منطقى، لأنك كل ما بتكبر أو بتعدى مرحله، بتظهر لك أنواع مختلفه من المسئوليات و المشاكل، و اللى حجمها و نوعيتها بتكون أكبر بكتير من المرحله اللى قبلها، فطبيعى أن أسباب تعرض الشخص البالغ للأكتئاب ممكن تزيد جداً كل ما عمره بيكبر.

و مع كل مشكله بتواجه أى أنسان، و مش بيلاقى عنده القدره أو الوسايل لحلها، فكتير جداً من الناس لما بتصادفها مشكله من النوع ده مش بتواجه، مش بتحاول تدور على حلول بديله، لكن بتلجأ للأكتئاب، و اللى طبعاً نسبه مش صغيره من اللى بيوصلوا للأكتئاب، بيوصلوا للمرحله الأعلى و هى الأنتحار، و دى نقطه مهمه جداً حتكون موضوع الفصل الأخير من الكتاب.

بند من التقرير أسمه "العوامل المساهمة في الاكتئاب" و مكتوب فى بدايته " **ينجم الاكتئاب عن تفاعل معقد بين عوامل اجتماعية ونفسية وبيولوجية. والأشخاص الذين عاشوا تجارب سلبية (البطالة، أو فقدان شخص عزيز، أو الأحداث الصادمة)**، و من النقطه دى حنبدأ موضوع فصلنا، و هي أول سبب ذكرته منظمة الصحه العالميه في تقريرها و هو البطاله، و خلينى أسميه باسم تانى أصعب شويه و هو الفشل في مجال العمل، فهل فعلاً فيه شخص ناجح و شخص فاشل؟

من وجهة نظرى مفيش حاجه في الدنيا خالص أسمها شخص فاشل، أمال الفشل ده بييجى منين؟ الفشل بيحصل نتيجة سبب من أتنين: الأول هو عدم قدرة الأنسان على التحديد الدقيق لقدراته، و اللى بيخليه مش بيختار العمل المناسب اللى يقدر عليه و يناسبه، سواء بدنياً أو ذهنيا، أو أي نوع تانى من القدرات، و دى أول نقطه حأتكلم عنها في الفصل ده، بس خلينا نقول السبب التانى و اللى حأتكلم عنه في الفصل اللى جاى و هو الحالمين و الواهمين. طبعاً فى فشل لأسباب تانيه، لكن أنا بعتبرها أسباب ثانويه وقتيه، لكن الفشل الأساسى جذوره بتكون لسبب من الأتنين اللى أنا لسه شرحهم.

نبدأ بالسبب الأول، و أنا بعتبره هو الأهم، و أسباب أهميته كتيره جداً، من بينها أن كتير من الناس فعلاً مبتبقاش قادره أنها تقيم أمكانياتها، مبتبقاش عارفه أن كل أنسان فينا زى الموبايلات و الكمبيوترات، قدراته لها حدود، و زى ما أنت لما بتنزل تشترى موبايل، يُفترض أنك بتفاضل في أمكنياته، و تختار أيه اللى حيناسبك منها، بناء طبعاً على أحتياجاتك، فنفس الفكره معانا أحنا كبشر، كل واحد فينا له أمكانياته، اللى لازم يكون كل واحد فينا قادر على تحديدها بنفسه، طيب أزاى يقدر يحددها؟

في الفصل ده حأتكلم عن تفصيله واحده فى حياة أي أنسان، و اللى بيكون فيها معرفة الأنسان لقدراته الشخصيه، هى النقطه الفاصله فى باقى مسار حياته كلها، حأتكلم عن أول لحظة أختيار حقيقية في حياتنا، و للأسف فبالرغم من كونها لحظة الأختيار و الأختبار الأولى الحقيقيه فى حياتنا، إلا أنها تعتبر من أصعب الأختبارات على مدار الحياه كلها، و من مساوئها أنها بتيجى في توقيت، مش بيكون الشخص ناضج بالقدر الكافى، و اللى يسحمله بالأختيار الصح.

الأختيار اللى بتكلم عليه، هو لحظة تحديد أزاى حنكمل مسارنا التعليمى، و هو أختيار ندخل علمى و لا أدبى، و ده بالنسبه للطلبه اللى فى أنظمة تعليم محليه، أو أختيار المواد المؤهله لنوعيه معينه من الكليات، بالنسبه للطلبه اللى في أنظمة تعليم دوليه، و من بعده أختيار نوعية الدراسه الجامعيه.

****

على مدار حياتى شفت طلبه كتير جداً بتختار القسم الأدبى، أما بأعتبار أنه أسهل، أو أنها بكده بتكون هربت من المواد العلميه. الأختيار ده بيتم بدون ما الطالب أو الطالبه يكونوا عاملين دراسه لقدرتهم أو حتى تحديد ميولهم، و لا حتى دراسه للمجال اللى هو أو هى عايزين يكملوا فيه باقى حياتهم، طبعاً ده بأفتراض أن في بلادنا الإنسان بيشتغل بشهادته، و دى نقطه تانيه ليا فيها كلام كتير جداً.

أنا شفت عقليات عظيمه جداً، و ممكن تنجح جداً في بعض المجالات العلميه، بس كان سبب أختيارها للقسم الأدبى هو الكسل و الأستسهال، تخيل أنك تغير مسار حياتك كله علشان كسل و أستسهال، و بالمناسبه علشان متفهمنيش غلط، فمفيش حاجه أسمها علمى أحسن من أدبى على الأطلاق، لأن لكل دراسه أهميتها و دورها في منظومة الحياه، بس فى حاجه أسمها أيه المجال اللى ممكن قدراتى الخاصه تنجحنى فيه.

خلينى أضرب مثالين بكليتين ممكن تدخلهم من القسم الأدبى، و مدى أهمية دورهم في الحياه، و مدى أهمية أن مؤهلاتك الشخصيه تكون متناسبه مع النوع ده من الدراسه، و من بعده بالتأكيد العمل، و هما كليتى تربيه و حقوق، هل دول كليات مش محتاجين مؤهلات خاصه للشخص اللى يفترض أنه يدرس فيهم؟

بما أن من بين خبراتى الحياتيه كانت مهنة التدريس، و مارستها على أكتر من مستوى، بدايةً من تدريس مناهج مدرسيه، لتدريس كورسات خاصه فى بعض الجامعات، لتدريس مهنى لتطوير كفاءة المهندسين في الهيئه اللى أشتغلت فيها فتره كبيره من حياتى، لتدريس ورش خاصه بعمل الأفلام التسجيليه، فخبراتى دى تخلينى أُأكد أن التدريس مهنه لا يصلح لها إلا الشخص المؤهل لها، و بالمناسبه، فكل ما سن اللى أنت بتدرسلهم صغر، كل ما صعوبة عملية التدريس كانت أكبر.

و للأسف فكليات التربيه و رياض الأطفال في بلادنا، لا يدخلها إلا الأشخاص اللى مجموعهم مسمحش أنهم يدخلو كليه تانيه، و لا تتم لهم أي نوع من أختبارات القدرات، و تخيل أن الناس دى هى اللى بتربى الأجيال بعد كده، و ده يوضحلك ليه التعليم عندنا مش ناجح، ليه الطلبه كلها بلا أستثناء بتاخد دروس خصوصيه، ليه الطلبه مش بتحب العلم، و كل هدفها هو النجاح و المرور من مرحلة المدرسه بأى شكل أو طريقه، بدون إدراك أهمية اللى يفترض أنهم بيتعلموه في مستقبلهم كله، علشان كده حتى اللى ذاكر منهم بجد، إستحاله يفتكر حاجه من اللى ذاكره تانى يوم بعد الأمتحان.

****

طيب الكلام اللى قلته ده، بيِّمثل أول أختبار حقيقى فى حياة أى إنسان، و هما مرحلة أختيار القسم العلمى أو الأدبى بعد أولى ثانوى، أو أختيار المواد المؤهله، و مرحلة أختيار الكليه أو نوع الدراسه، و المشكله -و خصوصاً في المرحلة التانيه الخاصه بأختيار الكليه- أن فى عوامل كتير جداً بتتدخل في أختياراتنا، لكن المهم هو أنت أزاى تقدر تكون إيجابى و تشارك في تغيير سوء الأختيار، اللى بيكون واحد من أهم الأسباب اللى بتدمرلنا باقى حياتنا، سواء بأختيار نوع دراسه أحنا مش مؤهلين لسوق العمل فيها، أو دراسه مش قادرين عليها، أو أخيراً دراسة ملهاش سوق عمل، و السبب الأخير ده، و اللى كنت ذكرت من شويه أنى حنتكلم فيه بإستفاضه، أكتر سبب بيؤدى لكل الحالات اللى بنشوفها من أن الغالبيه العظمى من الخريجين، بيشتغلوا في مجالات، أبعد ما تكون عن دراستهم.

أول نقطتين قولتهم نقدر نجمعهم بسرعه مع بعض، و هما أختيار دراسه أحنا مش مؤهلين ليها، أو دراسه مش قادرين عليها، يعنى أيه؟ يعنى فيه طلبه كتير بعد ثانوية عامه أو أى دراسه موازيه، مجموعها الكبير بيخليها تدخل طب أو هندسه أو سياسه و أقتصاد، لمجرد بس أن مجموعها كبير، أو العكس، ناس بتدخل حقوق أو تربيه، لمجرد أن مجموعهم قليل، طيب أنت كطالب المطلوب منك تعمل أيه؟

طبعاً أنا منكرش أن في مسئوليه كبيره على وزارة التربية و التعليم، لأن فى أوروبا و الدول المتقده، بيوجد شخص في كل المدارس العليا، و أقصد بكلمة العليا High Schools أو مرحلة ما قبل الجامعة مباشرة، أسمه Student Coordinator.

الشحص ده كل دوره فى المدرسه هو أنه يساعد الطالب على أختيار المرحله اللى جايه في حياته، يعنى بيقيم الطالب و يقوله أنت تصلح لكلية أيه، أو أمكانياتك تؤهلك لدراسة أيه و متأهلكش لدراسة أيه. طيب للأسف الشخصيه الهامه جداً دى، و المحوريه فى حياة طلاب الHigh Scools، مش موجوده فى مدارسنا، فهل ممكن أنت كطالب تقوم بيها بنفسك؟

الأفضل أن أولياء الأمور هما اللى يقوموا بيها، وده لسببين، الأول أن غالباً الشخص اللى بيكون محتار بين أكتر من أختيار -و خاصة في المرحله العمريه دى-، لو هو اللى أختار بنفسه، مش حتكون أختياراته فى الأغلب مبنيه على دراسه، لكن حتكون مبنيه على العواطف و الأهواء بنسبه كبيره جداً. ثانياً أن دايماً اللى شايف من بره بيكون شايف أفضل، أضف إلى ذلك إن لو الشخص اللى شايف من بره شخص عنده خبره، و كمان أمر الطالب ده يهمه، فحيكون أقدر على مساعدة الطالب على الأختيار من الطالب نفسه.

هنا حاوجه كلامى لأولياء الأمور، فيه عشرات الأختبارات اللى تقدر تقيم بيها قدرات أبنك من صغره، بدايةً من مستوى ذكائه، لنوعية مشاكله التعليميه، و دى ليها أختبارات كتير لمعرفة إذا الطفل أو الطالب بيعانى من أى نوع من صعوبات التعلم زى Dyslexia, Dyscalculia وDysgraphia، و اللى بتُمثل 3 أنواع مختلفه من صعوبات التعلم عند بعض الأطفال أو الطلبه.

كمان فيه نوعيه تانيه من الأختبارات لتحديد تفاصيل شخصيته و قدراته الأبداعيه، يعنى فى عشرات من الطلبه بيغمى عليها فى أول حصة تشريح في كلية طب، و أحياناً نش بيكون عندهم القدره على التأقلم مع فكرة المشرحه، أو طلبه أيدها بتترعش أو بتعرق بغزاره، فمينفعش أنها تشتغل فى بعض المجالات اللى محتاجه تعاملات يدويه. كمان فيه طلبه كتير بتفشل في الأقسام الفنيه اللى محتاجه أبداع و قدره على التخيل زى قسم عماره فى كليات الهندسه أو فنون جميله.

****

هنا حيكون دور أولياء الأمور مهم جداً جداً في مساعدة الأبن أو البنت على تقييم قدراته، بعيداً طبعاً عن الأهواء الشخصية اللى ممكن تكون عند الأب أو الأم نفسهم،

زى أنا أبنى لازم يدخل طب أو هندسه، أو عايز أبنى يدخل صيدله علشان يدير الصيدليه، إلخ من أمثلة تحكمات أولياء الأمور في مصير أبنائهم.

ندخل على النقطة التالته و هي دراسة ملهاش سوق عمل، أيه برضه معنى الكلام ده؟ الكلام ده معناه أنك ممكن تختار كليه ممتازه، و متناسبه جداً مع قدراتك، لكن للأسف أن نوعية الدراسه فيها، سوق العمل مش طالبها، بيكون يا أما مشبع و مش محتاج أى أعداد تانيه، أو أنها كمهنه بدأت تتراجع بسبب أما التغيرات الأقتصاديه اللى بتحصل كل فتره، أو التطور التكنولوجى الرهيب اللى بيغير في أغلب تفاصيل حياتنا طول الوقت، و النقطه دى حنتكلم عنها في الفصل اللى جاى بأستفاضه، طيب دى أحنا كطلبه، أو أولياء أمور نقدر نعرفها أزاى؟

مره تانيه و للأسف حأرجع لأوروبا و الدول المتقدمه، و خصوصاً الدول اللى الدراسه الجامعيه فيها بتكون أقصر من عندنا، زى أنجلترا مثلاً، لأن أغلب الكليات هناك 3 سنين بس، ليه 3 سنين؟ لأن الدول دى بتعتبر أخر سنتين من المرحله الثانويه، هى مرحله تأهيليه للكليه، زى سنة إعدادى فى كليات الهندسه عندنا، طيب الدول دى بتعمل أيه زياده عننا؟

الدول دى بتعمل حاجتين في منتهى الأهميه. أولاً، أعداد القبول في الكليات لازم تكون مربوطه بسوق العمل الفعلى و أحتياجاته. ثانياً، و ده بييجى أثناء مرحلة الجامعه، أن الشركات الكبيره بتبدأ تاخد بعض الطلبه علشان يتدربوا عندها من بعد أول سنه فى الكليه، تمهيداً أنها تشغل الأكفأ منهم بعد التخرج على طول، فبتخلى الطالب طول الوقت عنده الولاء لشركتها، علشان تقدر توظف عندها الأميز و الأكفأ منهم بعد التخرج، و بتكون أعلانات التوظيف جوه الجامعه نفسها، بتتقدم لها و أنت فى سنه التخرج، يعنى بتتعين أحياناً، و أنت لسه في أخر سنه.

أناعايز كمان أتكلم عن مجال التعليم الفنى، و أزاى أن فى الدول دى بتكون أغلب المدارس الفنيه Sponsored أو برعاية أو اللى بتصرف عليها شركات من نفس مجال

التعليم، بل أحياناً بتكون المدرسه تابعه بشكل مباشر أو اللى مؤسسها هى الشركه نفسها، فهنا كمان بيكون التدريب أو الجزء العملى فى مصانع الشركه دى، كجزء من الدراسه، و بيكون الطالب المتفوق أو على الأقل المهتم دراسياً، ضامن أنه حيشتغل من لحظة دخوله المدرسه، ففى الحاله دى بيُصبح سوق العمل و الدراسه هما الأتنين حاجه واحده، و ده المطلوب.

طيب أحنا في دولنا العربيه معندناش الكلام ده خالص، طيب تعمل أيه كطالب أو كولى أمر؟ حتتعب نفسك شويه و تشوف أيه نوعيات الشغل المطلوبه. أضرب مثل أن لو الفتره دى مجال الأتصالات فى دولة ما له الأولويه، يبقى نقدر نقول أن الفرصه أكبر في المجال ده عن غيره كسوق عمل، فيكون أختيارك سواء كليه أو معهد أو تعليم فنى فى المجال ده.

مثال تانى، مجال زى الOverseas call centers، مجال من المجالات المهمة جداً، و اللى حتفضل مطلوبه لسنين، و طبعاً فلوسها كويسه جداً، بس هو مجال محتاج لغه، فممكن يكون مجال كويس جداً لكتير من الطلبه أو الخريجيين اللى معاهم لغه، أو عندهم القدره على تعلم اللغات.

و من النقطة الأخيره حأنهى الفصل ده بضرورة تعلم اللغات أياً كان توجهك أو نوع دراستك، لأنها من أهم النقط اللى حتديك دايماً تميز فى أى أختبار شغل حتدخله، و من النقط اللى حتُتيحلك دايماً فرصة الشغل أو السفر خارج البلد، وكمان فيه كتير من الدول بتعمل منح دراسيه، بيكون من أهم عوامل الأختيار و التفضيل فيها هو اللغه، زى ألمانيا. فيا ريت تركز قوى على تقوية اللغات اللى أنت عارفها، و لو تقدر تدرس معاهم لغه تانيه يبقى شيء رائع، يعنى يُفّضل يكون معاك لغتين، لأن دى من أكتر الحاجات اللى حتخلى عندك فرص حياتيه أكتر، فتقدر تبعد عن واحد من أهم أسباب الأكتئاب اللى ذكرهم تقرير منظمة الصحه العالميه، و هو البطاله.

06 يناير 2023

"متى يمكن أن تتخذ القرار ببدايه جديده؟
لماذا نخاف دائماً من التغيير؟
و على أى أسس سيكون الأختيار الثانى؟"

نقطة بدايه_2
نقطه، و من أول السطر

في الفصل اللى فات أتكلمت معاك عن أول -و يمكن أهم- أختيار في حياتك، الأختيار اللى فى الغالب بيكون سبب فى تحديد مسار باقى حياتك العمليه لأخر العمر، و أنا هنا بقول في الغالب لأعتبارات كتير خاصه بأوضاع بلادنا الأقتصاديه و الأجتماعيه و التعليميه، و هو أختيار نوع دراستك، سواء كانت جامعه، معهد، أو تعليم فنى.

الأختيار ده أنا بعتبره أصعب أختيار فى الحياه لأسباب كتير، منها أن الشخص فى الفتره دى بيكون فى مرحله عمريه غير ناضجه بالشكل الكافى، لسه أهداف حياته محددهاش بشكل واضح. و منها برضه أن خبراته في المجالات اللى حيختار ما بينها مش بتكون كبيره، علشان يقدر يعمل عمليه تقييم لهل حينجح فى مجال معين و لا لأ. و منها أحياناً أنه بيكون بالفعل محتار بين أكتر من أختيار.

نرجع تانى للتعليم في أوروبا و الدول المتقدمه، و فى بعض الجامعات الأجنبيه في مصر، الطالب بيبقى عنده المساحه أنه يغيير الدراسة بتاعته، أو ما يسمى بالMajor حتى بعد مرور سنتين من الدراسه، و مش بس كده، ده كمان مش كل السنتين اللى قضاهم في البدايه بيروحوا عليه، لأ ده بيتم أختيار المواد المشتركه بين الأتنين Majors، و بيتحسبوله فى أختياره الجديد، و ده لأن أغلب الجامعات في العالم شغاله بنظام الCredit hours أو الساعات المعتمده، مش نظام السنه الدراسيه. طبعاً أحنا لحد اللحظه دى، كليات حكوميه قليله جداً عندنا، هى اللى شغاله بالنظام ده. طيب أيه اللى حيحصل لو أنت فعلاً دخلت دراسه أكتشفت بعد فتره أنك محبتهاش، أو أن ميولك أو أمكانياتك مش متناسبه معاها؟

الحل الأول حيكون في المقوله الشهيره: إذا لم تفعل ما تحب، فحب ما تفعل، و دى فعلا ناس كتير بيكون عندها الإراده للخطوه دى. كان ليا جار و صديق عزيز من أيام الطفوله، كان حلم حياته أنه يكون دكتور، أقصد طبعاً طبيب، و كان متفوق جداً

طول سنين المدرسه، لكن متعرفش أيه اللى حصل له فى ثانويه عامه، ممكن توتر، ممكن ثقه زياده، المهم أنه جاب مجموع ميدخلوش كلية الطب.

فى البدايه كانت الحاله فى البيت عنده أقرب لحالة الحداد، كأن حد مات لهم، و كان التفكير بين أنه يحاول يعيد الثانويه مرة تانيه، و دى للأسف مغامره مش مضمونه على الأطلاق، و بين أنه يكمل فى الكليه اللى التنسيق حيخترهاله. أختار صديقى الأختيار التانى، و قرر أنه حيكمل زى التنسيق ما يختارله، و بالفعل دخل كلية التجاره. هنا ظهرت عنده إرادة التحدى، اللى خلته يدرس و يتفوق، لحد ما أصبح معيد فى الكليه، ثم دكتور، و تخيل معايا أنه أصبح أحد مستشارى الدوله الأقتصاديين فى مرحلة ما، و كان وقتها سنه صغير جداً، و ده لأنه أختار الحل الأول و هو، إذا لم تفعل ما تحب، فحب ما تفعل.

الحل التانى بيكون محتاج منك قرارا جرئ، بمعنى أوعى تتردد للحظه لو حسيت أنك بالتأكيد مش حتقدر تكمل فى دراستك، أحياناً ضياع سنه أو سنتين من حياتك، بيكون أفضل من ضياع عمر كامل، حتى لو كانت عليك ضغوط من كل الناس اللى حواليك، بما فيهم طبعاً أسرتك.

أختيارك في المرحله دى بيتبنى عليه جزء كبير جداً من مسار حياتك، ده إن مكنش حياتك كلها، ممكن جداً تغلط بدون قصد في أختيارك أول مره، لكن أوعى تسيب الغلط ده يجرك لطريق أنت مش عارف حتكمل فيه أزاى، خليك دايماً أنت اللى بتتحكم في مسار حياتك، مش الظروف هى اللى بتتحكم فيك، النقطه دى هي موضوع الفصل ده، خليك دايماً أنت اللى بتُدير مسار حياتك.

الفصل مش بس حأتكلم فيه على مرحلة الجامعه بس، لكن الأهم عندى هو باقى المراحل اللى حتمر بيها على مدار حياتك كلها.

****

تعمل أيه لو لقيت نفسك و أنت في سن ممكن يعدى ال40 و أحياناً ال50، و مضطر تعمل Shift career أو تغيير جذرى في مسار حياتك الوظيفيه. ممكن جداً تلاقى نفسك مضطر تدور على شغل جديد، ممكن تكون عمره ما أشتغلته أو تعرف

حاجه عنه. طيب ممكن يكون عندك سؤال بيدور في راسك، أيه اللى ممكن يجبرنى أسيب شغلى اللى طول عمرى بشتغله و أنا فى السن ده؟ خلينى أبدأ بأجابه السؤال ده، لأن أجاباته كتير جداً، و حاجيبهالك بأمثله من واقع حياتنا اللى بنعشها، و من كتير من مشاهداتى اللى عاصرتها بنفسى على مدار حياتى.

أول سبب حأذكره، محتاج أرجع بيك لورا، لحوالى 30 سنه فاتت، علشان أدى أقوى مثال عشته بيدلل على السبب ده. في بدايات التسعينات بدأ الكمبيوتر يغزو مصر، أنا هنا بتكلم على الكمبيوتر بشكله و أنظمة تشغيله اللى أحنا لسه عارفينها لحد اللحظه دى، لأن كان فيه كمبيوتر بأنظمه مختلفه تماماً خلال فترة بدايات التمانينات و ما قبلها.

الكمبيوتر لما ظهر و بدأ أستخدامه يزيد بشكل موسع على أرض الواقع، قضى على عشرات المهن اللى كانت موجوده في مصر، و طبعاً أكيد كان له نفس التأثير فى كتير من الدول التانيه. يعنى مثلاً في مجالى الأساسى و هو الهندسه، و تحديداً العماره، كان في مهنه أسمها الرسام، و هو الشخص اللى بيرسم اللوح الهندسيه. و كمان كان فيه مهنه تانيه تخص العماره تحديداً، و هو الشخص اللى بيعمل مناظير للمبانى قبل مرحلة بناءها. المهنتين دول أنقرضوا تماماً بعض ظهور برامج الرسم بالكمبيوتر، زى الAutocad.

من بين اللى كانوا بيشتغلوا المهنتين دول، و مقدروش وقتها يتعلموا تطبيقات الكمبيوتر، خصوصاً أنه كان صعب جداً وقتها شراء كمبيوتر شخصى في البيت، لأن مش أى حد كان يقدر يتحمل تمنه، زائد أنه كان صعب جداً، و مش كل شخص ممكن يكون عنده القدره أن يتعلم التطبيقات دى، خصوصاً أيام مرحلة الDOS، قبل ظهور الWidows operating system، فالأشخاص دول، و اللى كانوا قبل ظهور الكمبيوتر يعتبروا عمله نادره و مطلوبه، أصبحوا للأسف عمله بلا قيمه، لأن أغلب المكاتب وقتها تحولت تماماً لتطبيقات الكمبيوتر.

تانى مهنه كان لها وزن جداً وقتها، و ناس كتير كانت بتحتاجلها، و خصوصاً برضه فى كليات الهندسه بشكل عام، و المحلات التجاريه، و البرامج و المسلسلات التليفزيونيه، و قضى الكمبيوتر عليها تماماً، هى مهنة الخطاط، و زيها زى المهن اللى

أنا لسه ذاكرها، أنتهت تماماً مع أنتشار الكمبيوتر، و غيرها عشرات المهن اللى راحت مع بدايات ظهور الكمبيوتر.

تانى سبب لأنك تغير مهنتك فى سن كبيره هى العوامل البيئيه و المناخيه، و حأضرب فى السبب ده مثالين، من قلب الحياه اللى أحنا عايشينها. الأول هو سبب مناخى، و حضرب فيه مثل بمهنه صيد الأسماك. كتير من بحيراتنا جفت بشكل كبير جداً من الأسماك، زى بحيرة المنزله، و الصيد كان المهنه اللى عايش عليها كل سكان المدن المحيطه بالبحيره، فمع أختفاء الأسماك أنتهت مهنة الصيد بالنسبه لأغلب السكان فى المدن دى. أنا كنت عملت من حوالى 13 سنه فيلمين هناك عن البحيره و سكان الجزر اللى فى قلب البحيره، و كانت وقتها لسه البحيره بخيرها، و كان أغلب رجال مدينة المطريه -اللى على شاطئ البحيره مباشرة- بيشتغلوا فى مهنة صيد الأسماك و توابعها، زى صناعة القوارب، الشبك، أسواق السمك...إلخ.

بعدها بحوالى 5 سنين رحت هناك، لكن بحكم عملى فى أحدى الهيئات الحكوميه، و كانت البحيره خلاص... جفت بشكل شبه تام من الأسماك، فلقيت أغلب الناس اللى كنت صورت معاهم الفيلمين، أصبحوا عاطلين عن العمل، و الحالة الأقتصاديه بتاعتهم أصبحت فى منتهى السوء، و أتدمر حال المدينه بشكل كبير جداً، لأن الناس هناك متعرفش تشتغل مهنه غير الصيد و توابعها، و قليل جداً -ده إن مكنش منعدم- اللى معاه فلوس، يقدر يفتح بيها سوبر ماركت أو أى مشروع تجارى صغير.

أوصل معاك للمثال التانى و هو السبب البيئى، اللى منع مهن كتير من المهن من الأستمرار لأنها مهن مضرة بالبيئه، و قليل جداً منها تم نقله لخارج حدود المدينه، بس ده برضه مأنقذش عمال و تجار المهن دى، زى مهنة دباغة الجلود، اللى أتنقلت كل ورشها من حوالى 6 سنين من منطقة مصر القديمه، لمنطقة أسمها الروبيكى على طريق الأسماعيليه، فكتير من العمال مقدروش ينقلوا للمكان الجديد، لبعده التام عن أماكن سكنهم، و اللى كانت قريبه من أماكن الورش القديمه، و صعوبة المواصلات، و طبعاً تكلفتها العاليه، فكتير جداً من العمال و التجار، أضطروا يسيبوا تماماً المهنه دى.

في أسباب تانيه كتير ممكن تجبر أى أنسان أنه يسيب عمله أو مهنته اللى أتعود عليها طول عمره، و هو في مرحله عمريه مش صغيره، بس مش كتير منهم للأسف، بيقدر يتأقلم على فكرة أنه يدور على مجال تانى، أنه يحاول يبدأ من جديد، كتير منهم بيستسلم للأحباط، و مش بيحاول يدور على أى حلول بديله، و للأسف هنا بيظهر الجانب السلبى من التجربه.

****

طيب السؤال هنا تعمل أيه لو ظروفك أضطريتك تسيب شغلك و أنت فى سن كبيره؟ أو أن المهنه اللى كنت طول عمرك بتشتغل فيها، أصبحت مهنه مش مطلوبه في السوق.

الأجابه بمنتهى البساطه فى الكلام، لكن منتهى الصعوبه فى التنفيذ، أنك تعمل زى أسم الفصل ما بيقول، نقطه، و من أول السطر، بمعنى أنك تعيد التفكير فى حياتك بشكل عملى، لكن المهم و الضرورى أولاً، هو إعادة ترتيب أفكارك، لأن هو ده اللى بيقودك للأختيار الجديد السليم.

طبعاً أكيد أن أياً كان البلد اللى أنت عايش فيها، ركبت أوبر أو كريم أو أى Application مشابه، و أكيد برضه أنه دار بينك و بين الكابتن حوار، و أكتشفت أنه ممكن يكون مهندس أو دكتور أو محامى أو عشرات المهن تانيه، و اللى كتير من أصحاب المهن دى، أضطريتهم الظروف لتغيير شغلهم، أو على الأقل أنه يكون فيه عمل إضافى بجانب عملهم الرئيسى، و الشغل مش عيب، أنما العيب أنك تستسلم للظروف أياً كانت.

أول خطوه لازم تفكر فيها، هى قدراتك فى المرحله العمريه دى حتسمحلك بأيه، يعنى مثلاً متحاولش تجرب تشتغل شغل أنت حقيقى قادر تعمله، لكن المطلوب دايماً فيه مرحله عمريه أصغر، لأن دايماً في كتير من الشركات، بيكون التفضيل فى بعض الوظايف للسن الصغيره، علشان المرتب أحياناً، و علشان سهولة إدارته أحياناً، و علشان قدرته على الحركه الأسرع أحياناً تالته، و ده علشان ميجيلكش حالة إحباط. دور دايماً على أيه اللى ممكن تعمله في المرحله العمريه دى، و عامل السن مش فارق فيه، بالعكس ده فيه مهن كتير بتحتاج للسن الكبير.

تانى حاجه متستعيبش أى نوع من العمل، لكن فى نفس الوقت متخترش نوعيه من العمل، أنت حتكون حاسس أنك مكسوف منها، و ده طبعاً غلط في الأساس، لكن وارد جداً أنه يحصل، لعشرات الأسباب الشخصيه الخاصه بكل إنسان و ظروفه فى الحياه.

أنا بحيى كل اللى متكسفش و جاب عربيه بالقسط و أشتغل أوبر، أو حتى أشتغل على عربية حد تانى، بحيى كل واحد عمل عربيه قهوة أو أكل صغيره و وقف بيها في الشارع، بحيى كل ست عملت مشروع أكل من بيتها، و عملت تسويق لنفسها، سواء بين المعارف، أو على صفحات التواصل، بحيى كل اللى جاب ماكينه طباعة تى شيرتات بكام ألاف جنيه، حتى لو بالتقسيط، و أشتغل بيها، و كمان كل اللى عمل لنفسه صفحة على وسائل الSocial media، و باع فيها أى نوع من النتجات.

أنا عايز أقولك أن كل النماذج اللى أنا ذكرتها دى و أكتر، أنا بمر عليها كل يوم في شارع بيتى، نماذج النجاح من كل الأعمار كتير جداً، بس المهم تكون أيجابى، و تعرف تختار أيه المشروع اللى ممكن تبدأه في المرحله دى، و إن لم يتح لك أنك تعمل مشروع، شوف أيه الشغل اللى يناسب خبراتك و إمكانياتك.

****

كان عندى عم توفى من كام سنه عن عمر 84 سنه، عمى ده قرر و هو معدى السبعين أنه يشتغل مدرس رياضيات خاص، لأنه في الأساس كان محاسب، و بالفعل بدء ببعض أبناء الجيران من غير فلوس. فى خلال فتره صغيره، قدر يثبت نفسه كمدرس شاطر، و بدأ أسمه يتعرف، و الطلبه بدأوا يجيبوا بعض، و طبعاً أصبحت الدروس بفلوس، و حقق منها عائد منى، ده بجانب العامل النفسى و هو عملية تحقيق الذات، و قتل وقت الفراغ، و أنه قدر يشغل نفسه بشئ مفيد و نافع للمجتمع، و هو فى السن الكبير ده.

لو درسنا الحاله دى، فحنلاقى عمى قدر يختار مهنه هو فاهم فيها، قدراته تسمح بيها، سنه و قدراته الجسمانيه تسمح بيها و مش حتُمثل أي عائق بالنسباله، و فى نفس الوقت سنه الكبير ممكن يكون عامل ثقه أكبر للأهالى و للطلبه، و هنا ييجى

الأختيار السليم للمهنه اللى ممكن تقدر تعمل لها Shift career، حتى لو كان سنك كبير.

فيه نوع تانى من القدرات اللى عندنا، و اللى نقدر نشتغل بيها في أي سن، و هو المهارات الشخصية و مهارات الكمبيوتر. أنا عايز أكلمك عن بعض نماذج الApplications اللى تقدر تشغل نفسك من خلالها و أنت قاعد فى بيتك ك Free lancer، و تجيلك فلوسك لحد عندك، بس الأول دور جواك على المميزات اللى حتؤهلك للنوع ده من الشغل.

مثلاً هل صوتك حلو -مقصدش للغنا- لكن أقصد أنك تعمل تعليق صوتى أو أعلانات، حتى لو كان سنك كبير، و السن الكبير بيكون مطلوب بشكل كبير جداً في النوع ده من الشغل، خصوصاً الأعلانات الصناعيه، و أكيد كلنا حفظنا صوت الممثل القدير أحمد فؤاد سليم، و اللى محتكر بصوته أغلب الأعلانات الكبيره الخاصه بالدوله.

هل أنت شاطر في اللغات و بتعرف تترجم؟ هل أنت شاطر فى الPhoto editing أو برامج المونتاج؟ كل المهارات دى و غيرها كتير، تقدر تستغلها فى أى سن من خلال بعض الApplications زى Fiverr، و غيره كتير، لأن العميل هنا بيدور على الأفضل، بيدور وسط مئات الموهبين على مستوى العالم على اللى حيديله شغل أفضل، مش بيدور على الأسم.

نقطة أخيره و مهمه جداً، و هي أنك دايماً تدور على أيه الجديد في المهنه اللى أنت بتشتغلها، متعتمدش على أنك عارف بس اللى بيشغلك. خلينى أدى مثال عاصرته فى مجال السينما فى مصر. كان فيه جيل مهم جدا من المخرجين ظهر فى نهايه التمانينات و بدايه التسعينات، و أنا أخترت المرحله دى تحديداً، لأنها بتُمثل النقله الحقيقية فى التكنولوجيا. الجيل المميز ده بعد أقل من عشر سنين أنقسم نصين، نص قعد في بيتهم لأنهم فضلوا على عقليه بداية التسعينات، و متعاملوش مع معطيات السوق، اللى بدورها غيرت تماماً فى ذوق الناس سينمائياً. أما النص التانى فكمل و أستمر لأنه طور من نفسه، عرف أيه الجديد فى تكنولوجيا صناعة السينما، و كمان فى ذوق الناس، و قدر يتواكب مع كل ده، فأستمر بعضهم لحد النهارده.

في النهايه عايز أقول أنك قادر تبدأ حياتك من جديد فى أى مرحله، و خلينى قبل ما أنهى الفصل أفاجئك ببعض النماذج البشريه المبهره، اللى بدأت مشوار نجاحها بعد الخمسين، و قدرت بصوره مبهره فى تحقيق نجاح على مستوى العالم كله.

أولهم كولونيل ساندرز، اللى أسس سلسة مطاعم كنتاكى، و اللى صورته أكيد أنت شفتها على العلبه أو على واجهة المطعم. تانى شخص هو راى كروك، اللى في سن 63 قدر يحول محل الأخوين ماك دونالدز، من مجرد محل صغير جداً، لأكبر سلسله فى الولايات المتحده، و من بعده العالم. هو بدأ معاهم كمجرد Salesman، بيبعلهم ماكينات الMilk shake. راى كروك حقق النجاح ده بفكرة كانت جديدة على العالم وقتها و هى الFranchise أو حق الأمتياز.

تالت نموذج، و هو نموذج غريب جداً، و هى أنا مارى موزيز، اللى أكتشفت في نفسها موهبة الرسم في سن ال77، و بدأت تبيع و تتكسب منها، و ماتت سنه 1962 و هى عندها 101 سنه، و كانت لسه بترسم. و بعد وفاتها في ب44 سنه، فى 2006، أتباعت واحده من لوحاتها ب1.36 مليون دولار.

و بمناسبة أنا مارى موزيز، عايز أذكر نموذج مصرى عاصرته بنفسى، وقتها كنت عامل ورشه لصناعة الأفلام التسجيليه فى مركز التحرير لاونج، التابع لمعهد جوته الألمانى، و النموذج اللى حأذكره لسيده مصريه عظيمه -حأكتفى بذكر أسمها الأول و هو نهله-، مدام نهله كانت على وشك -لما قابلتها أول مره- تحتفل بعيد ميلادها الستين. هى طول عمرها كانت ست بيت، عمرها ما أشتغلت، زوجها توفى، و كل بناتها ما عدا الصغيره، كانوا متزوجين.

مدام نهله طول عمرها بترسم، لكن لنفسها بس، لكنها قررت و هى بتحتفل بعيد ميلادها الستين، أنها تعمل معرض لشغلها، كهديه منها لنفسها فى عيد ميلادها الستين، و بعض المقربين نصحوها بالتحرير لاونج. أول زياره ليها للتحرير لاونج تزامنت مع الورشه اللى كنت عاملها. المركز رحب بيها جداً، و حقيقى القائمين على المركز دعموها بشده. أنا سعدت جداً بمشاركتى ليها فى أول يوم لمعرضها، أولاً للأحتفال بالمعرض، و ثانياً بعيد ميلادها الستين، و اللى كان نفس يوم الأفتتاح.

حاولت أعمل عنها فيلم تسجيلى، لكن للأسف هى ترددت كتير جداً، و فى الأخر أعتذرت. لكن لا أُنكر أنى أستمعت أنا و بعض أفراد فريقى، بواحده من أجمل عزومات الغدا اللى أتعزمت عليها فى حياتى فى بيتها، أثناء نقاشاتنا حوالين موضوع الفيلم، علشان تفضل تجربة مدام نهله، واحده من أكتر التجارب الملهمه فى حياتى كلها.

رابع نموذج هو مورجان فريمان، الممثل الأمريكى الشهير، و اللى خاض تجربة جديده تماماً عليه، و هى تقديم سلسلة وثائقيات The story of God، و The story of us، و اللى أحتاجوا منه أنه يسافر العالم كله، و هو فى سن ال79. و لو أتيحت لك فرصة أنك تشوف أى حلقة من السلسلتين، حتلاقيه بيشتغل بحماس و نشاط شاب عنده 22 سنه، لا يمكن تصدق أن اللى قدماك ده داخل على التمانين. و بالمناسبه فالسلسله تم تصورها خلال 3 سنين، يعنى كان وصل لسن 82 سنه.

خامس و أخر نموذج حأتكلم عنه هو رونالد ريجان، الممثل اللى كان مش ناجح قوى، فقرر فى سن ال54 سنه أنه يبدأ العمل السياسى، علشان بعدها يوصل و هو فى سن ال70، و تحديداً سنه 1981، أنه يُصبح الرئيس رقم 40 للولايات المتحده الأمريكيه.

12 يناير 2023

"لماذا نبذل كل هذا الكم من المجهود الضائع؟
و كيف نستطيع إعادة ترتيب أولوياتنا؟"

اللعبه "Under Pressure"

فى واحده من أهم و أحلى فترات حياتى، وقتها كنت بشتغل مهندس فى أحد الهيئات الحكوميه، و بما أن تخصصى كمهندس معمارى مكنش له أى أحتياج فى الهيئه، فكنت بشتغل فى الهيئه حاجات تانيه تجمع بين بعض الفروع الأخرى للهندسه، أو مهام غيرها ملهاش أي علاقه بالهندسه من الأساس، و كانت أهم فترة أو مرحله خلال عملى فى الهيئه، هى الفتره الرائعه اللى قضيتها فى أدارة التدريب و التعليم المستمر.

الفتره دى فى حياتى كانت فى مرحلة أقدر أسميها مرحلة قمة المثاليه، و اللى زاد من مثاليتى وقتها، أنى كنت متعين فى مرحله عمريه كبيره شويه -يعنى مش بعد التخرج على طول-، و بمعنى أدق أنى مخدتش سلم الفساد أو اللا مبالاه من أوله، لأن فى المراحل الكتير اللى عدت على الهيئه، و اللى سبقت فتره بداية عملى، و أقدر أقول كمان أستمر الوضع لفتره مش صغيره خلال الفتره اللى أنا قضيتها هناك، كانت الهيئه منقسمه لنوعين من الناس، الأول و هم الأقل عدداً، و دول الفاسدين المنتفعين، و النوع التانى و هو بيمثل باقى الناس اللى ماشيه جنب الحيط أو عايشين حالة اللا مبالاه فى كل شئ.

المهم تزامن بداية عملى فى إدارة التدريب و التعليم المستمر مع أنتقال أدارة الهيئه لرئيس هيئه و مجموعة مساعدين معاه، كانوا مختلفين عن كل من سبقوهم. لأول مره تكون إدارة الهيئة، عندها فكر و طموح غير محدود للتغيير و التطوير، و ده كان من حسن حظى وقتها، بس حسن حظ مستمرش كتير، لأن الأداره الرائعه دى مستمرتش فى الهيئه أكتر من سنه، و ده كان سببه الظروف اللى مرت بيها مصر فى الفتره دى، فتم تغيير الأداره بعد فتره صغيره من ثورة يناير 2011، علشان تبدأ الهيئه بعدها مرحلة السقوط الحر، و هو التعبير المهذب اللى أخترته علشان أوصف بيه الأنهيار التدريجى اللى حصل للهيئه بعدها.

نرجع بقى لمرجوعنا، و لفترة عملى فى أدارة التدريب و التعليم المستمر، و اللى بالفعل كانت من أهم الفترات اللى قضيتها فى الهيئه دى بشكل خاص، و فى حياتى

بشكل عام، و وقتها كان أحد مهامى الوظيفيه هو أعداد بعض الكورسات و ترشيح المحاضرين ليها، سواء من داخل الهيئه أو من خارجها، و أكيد طبعاً كان فى بعض الكورسات اللى كان لازم أحضرها و أدرّسها بنفسى.

المهم، فى يوم طُلب منى تحضير كورس خفيف للSoft skills، و اللى بتعتبر جزء من مهارات التنميه البشريه، و دى كانت من الموضوعات الممتعه جداً اللى بحبها، بس كنت عايز أقدم كورس بشكل مختلف، مش المواضيع التقليديه اللى حفظناها كلنا، و خدمنى الحظ جداً بوجود صديق عمرى -و اللى حأتكلم عنه أكتر من مره خلال هذا الكتاب- و اللى كان وقتها دكتور فى أحد جامعات بريطانيا -حالياً هو عميد كليه و نائب رئيس واحده من أهم جامعات بريطانيا-، و قصدته فى تحضير أفكار الكورس معايا، و بعدين قلت لنفسى ليه لأ، ما أستغل وجوده و أخليه هو اللى يدرس الكورس بنفسه، خصوصاً أنه طول عمره شخصيه مش بيشغلها موضوع المقابل المادى، طالما أنه بيقدم حاجه بتفيد الناس.

و فعلاً وافق و عملنا أكبر و أهم دوره تدريبيه فى تاريخ الهيئه، لدرجة أنه من كتر الأقبال عليها، أتعملت فى قاعة مؤتمرات الهيئه، اللى كانت بتسع لأكتر من 300فرد، بدلاً من قاعات الأداره بتاعتنا و اللى كبيرها كان حوالى 20 فرد. المهم أن من بين كل المهارات اللى أتقدمت من خلال الكورس، كان فى تمرين هو أقرب للعبه، يمكن أغلب اللى حضروا الدوره مركزوش معاه لعمقه الشديد، لكن بالنسبه ليا التمرين أو اللعبه دى كانت نقطة تحول حقيقيه فى حياتى، ليه؟ لأن التمرين أو اللعبه دى -و خلونا نثبت مع بعض على كلمة اللعبه-، عرفتنى موضع الغلط فين فى حياتى، عرفتنى ليه أنا و كتير من الناس بنبذل مجهود حقيقى، بس الناتج دايماً مش بيكون على قد المجهود المبذول، بالضبط زى ما تكون بتزق عربيه على مطلع. طيب أيه هى اللعبه دى؟ و أزاى ممكن تساعد أى شخص فى تقييم حياته، و بالتالى تغييرها، تعال معايا أشرحهالك ببساطه.

اللعبه ببساطه كان أسمها The Priority Matrix، و اللى ترجمتها بالعربى مصفوفة الأولويات، لكن أسمها الأشهر هو The Eisenhower Matrix أو مصفوفة أيزنهاور، و قبل ما حأبدأ فى شرح اللعبه –زى ما أنا مسميها- أو المصفوفه

-زى أسمها المتعارف عليه-، خلينى أتكلم بسرعه عن نشأة فكرة المصفوفه، و أرتباطها بواحد من أهم الشخصيات العالميه فى التاريخ الحديث.

المصفوفه أتسمت فى البدايه على أسم واحد من أشهر و أهم رؤساء الولايات المتحده الأمريكيه فى القرن العشرين، و هو دوايت أيزنهاور، و اللى تولى رئاسة الولايات المتحده الأمريكيه لفترتين، من سنة 1953 لسنة 1961، وكان قبلها ضابط فى الجيش الأمريكى و أترقى لحد ما وصل لرتبة رئيس أركان الجيش الأمريكى، و بعدها أصبح رئيس لجامعة كولومبيا، لحد ما تولى رئاسة الولايات المتحده، و شارك فى الحربين العالميتين الأولى و التانيه.

أشتهر أيزنهاور أثناء خدمته فى الجيش الأمريكى بقدرته الرهيبه على التخطيط، لدرجة أنه كان بيقدر يضع خطط تدريبات عسكريه لحوالى 50,000 جندى، لحد ما خرج من الخدمه بعد 37 سنه خدمه فى الجيش، و بعدها سياسياً أصبح رئيس الحزب الجمهورى، و طبعاً بعدها تمكن من الوصول لمنصب الرئاسه.

أيزنهاور واحد من أكتر الرؤساء اللى كان عنده عشرات التحديات خلال فترة رئاسته، لأن العالم كان فى بداية مرحلة تغير كامل خلال الفتره اللى حكم فيها، لأن الحرب العالميه التانيه كانت أنتهت قبلها ب8 سنين، بعد ما ألقت بتوابعها على العالم كله.

أيزنهاور بعد ولايته كرئيس، و تحديداً سنة 1954، ألقى خطاب أمام الجمعية الثانية لمجلس الكنائس العالمي، و فى كلمته أستوحى أيزنهاور جمله كان سمعها من ج. روسكو ميللر، الرئيس ال12 لجامعة نورث وسترن، وكانت بتقول: "I have two kinds of problems: the urgent and the important. The urgent are not important, and the important are never urgent" و اللى ترجمتها: "لدى نوعان من المشاكل التى تواجهنى، الأمور العاجلة ليست مهمة ، و الأمور المهمه ليست عاجله أبدًا."

و من هنا بدأ أيزنهاور يرسخ لواحد من أهم عوامل نجاح أى فرد أو مؤسسه أو دوله، و هى أهمية إدارة الوقت، و أضاف أيزنهاور أن الشخص علشان يكون ناجح فعليه أنه يعمل فى حياته نوعين من الأشياء أو المهام، العاجله و المهمه.

أستخدم أيزنهاور فكرته خلال فترة رئاسته للولايات المتحده الأمريكيه، من غير ما هو نفسه يضع قواعد المصفوفه اللى أتسمت بأسمه، لكن كان هو اللى أرسى قواعدها، بس أيزنهاور بخبراته و مهاراته و عقله المنظم جداً، عدى بالولايات المتحده الأمريكيه من واحده أصعب فتره فى تاريخها، لكن ده برضه يخلينا لسه نسأل، مين اللى عمل المصفوفه دى؟

بعد عقود، و تحديداً فى 1989، و فى كتاب للكاتب ستيفن كوفى أسمه "The 7 Habits of Highly Effective People" أو العادات السبع للناس الأكثر فعاليه، و ده أسم الترجمه العربيه للكتاب، نشر لأول مره فكرة الرئيس أيزنهاور، لكن بعد ما حولها لمصفوفه أو لعبه، و سميها زى ما قلنا The Eisenhower Matrix أو مصفوفة أيزنهاور، و من هنا بدأت شهرتها العالميه، و أصبحت أشهر مصفوفه فى العالم لإدارة الوقت، زى بالضبط مصفوفة SWOT لعمل دراسات الجدوى، و تعال معايا نشوف الأول شكل المصفوفه، لكن عايزك فى الأول تسأل نفسك سؤال مهم جداً، يا ترى أنت قادر تفرق فى حياتك بين الأشياء أو المهام العاجله و المهمه؟

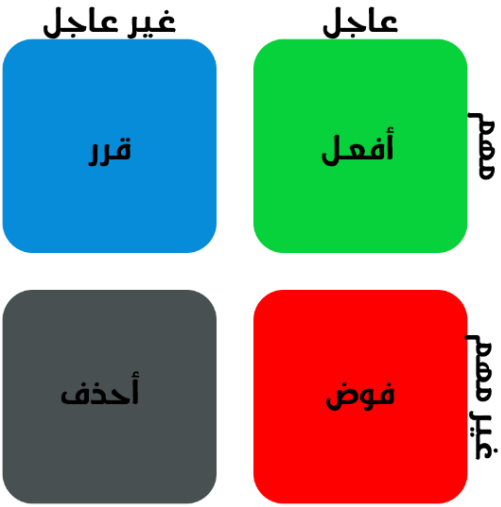

****

بعد ما أخدت وقتك فى التفكير، و بعد ما أكيد درست تصميم المصفوفه، تعال ندور علمياً على الفرق بين التعريفين: العاجل و الضرورى.

عشرات المواقع شرحت الفرق بين الأتنين، أنا جمعتها كلها و أختصرتها فى التعريفين اللى يعتبروا تقريباً ملخص كل ما كُتب فى الفرق ما بين العاجل و المهم:

- **الأشياء أو المهام العاجله: هى المهام التى تركز على اللحظه الحاليه، و يجب أنجازها فى التو و اللحظه، و إذا لم يتم أنجازها بشكل فورى، ستكون العواقب أيضاً فوريه، و هى غالباً ترتبط بتحقيق أهداف لشخص أو جهة أخرى. هى أيضاً تمثل الأشياء التى غالباً ما ينصب تفكير المرء عليها، و التى تحتاج دائماً للتركيز فيها.**
- **الأشياء أو المهام الهامه: هى المهام المرتبطه بالأهداف متوسطة أو بعيدة المدى، و تكون غالباً ذات بعد أستراتيجى للشخص وهى أشياء لا تحتاج للتنفيذ العاجل، و غالباً ما تكون جزء من تخطيط طويل الأمد للشخص ذاته، لتحقيق أهداف، سواء على المستوى الشخصى أو العملى.**

التعريفين اللى لخصت فيهم كل ما قيل عن الفرق بين العاجل و المهم، نقدر نبدأ نحللهم واحد واحد، و نشوف النقط اللى أتكلم فيها كل تعريف، و خلونا نبدأ بالأشياء أو المهام العاجله:

- أول نقطه حنكتشفها من خلال الأسم، أنها أمور لازم تُنفذ فى الحال، يعنىThe time frame أو المدى الزمنى بتاعها صغير جداً، و مفيش فيها فرصه للتأجيل.
- تانى نقطه بتقولها كل التعريفات أن تأجيل أو عدم تنفيذ الأشياء أو المهام دى بيكون له عواقب وخيمه.
- تالت نقطه بتقول أن المستفيد من الأشياء أو المهام العاجله هما دايماً ناس تانيه، إنما أنت نفسك مش بتكون مستفيد، لكن مضطر لتنفيذ الأشياء أو المهام دى.

- رابع نقطه إن الأشياء أو المهام العاجله دى، بتشغل جزء كبير من حيز تفكيرك، و غالباً بتُفقدك القدره على التركيز فى أمورك الحياتيه الأخرى لحد ما تقوم بتنفيذها.

ندخل على النقط اللى ممكن نستنتجها من التعريف التانى، و هو تعريف الأشياء أو المهام الهامه:

- أول نقطه حنكتشفها أن الأشياء أو الأمور دى غالباً مش بتكون طارئه أو محتاجه سرعة التنفيذ، بالعكس هى غالباً ما بتكون جزء من تخطيط على المدى الطويل.
- تانى نقطه بيوضحهلنا التعريف أنها عكس الأمور العاجله، الفايده أو العائد منها بيكون لصالح الشخص نفسه.
- تالت نقطه بنكتشفها أن الشخص نفسه هو اللى بيقررها، مش مفروضه عليه زى الأشياء أو المهام العاجله.
- رابع نقطه أن الأشياء أو المهام المهمه بتكون لها أهداف أستراتيجيه للشخص، سواء على المستوى الشخصى أو على المستوى العملى.

طيب بعد ما أسهبنا فى شرح الفرق بين المهام العاجله و المهام المهمه، و اللى هى الفكره اللى بُنيت عليها المصفوفه، خلونا نبدأ فى شرح المصفوفه –زى ما اللى فكر فيها ما سماها-، و اللعبه -زى ما أنا سميتها-، و حنشرحها من وجهتى نظر، الأولى وجهة النظر العلميه الأداريه –و هنا حنسميها مصفوفه- كأليه لإدارة الوقت، و حنشرح فيها طريقة إستخدام المصفوفه، و طريقة إستخراج نتايج تفيدك فى تنظيم وقتك. و التانيه حتكون شرحها من وجهة نظرى، و خصوصاً أنى شخص طبق المصفوفه دى على نفسه، و هنا حاسميها اللعبه، علشان هى فعلاً أصبحت بالنسبالى لعبه حياتيه.

****

البدايه طبعاُ حتكون بالجزء العلمى الأدارى، و خلينا سريعاً نبدأ نفهم أقسام المصفوفه الأربعه، و هما:،

المربع الأول (أعلى اليمين): عاجل ومهم

المربع الثاني (أسفل اليمين): عاجل، لكن ليس مهماً:

المربع الثالث (أعلى اليسار): مهماً، لكنه ليس عاجلاً

المربع الرابع (أسفل اليسار): ليس مهمًا و لا عاجلاً

- **المربع الأول (أعلى اليمين): عاجل ومهم:**

و ده المربع اللى له الأهميه القصوى، لأنه بيضم كل المهام اللى محتاجه تاخد كل أهتمامك اللحظى، و ده بيسمى مربع "أفعل"، و أفعل هنا معناها نفذ فى الحال، و حنلاقى المهام دى تقريباً هى المهام اللى بتاخد أغلب يومك، لأنها بتكون بتجمع بين صفتين، الأولى أهميتها بالنسبالك، و التانيه قرب ميعاد الdeadline بتاعها.

من المهم جداً أنك أثناء أنشغالك بمهام تنتمى للمربع ده، أنك تحاول متشغلش نفسك بأعمال أخرى فى باقى المربعات، على الأقل لحد ما تخلص المهام دى، فلو حترتب أولوياتك، فلازم تكون لها الأولويه.

و أخيراً، لازم أوضح أن إبقاء المربع ده ملئ بالمهام، حيؤدى إلى كميه كبيره ملهاش لازمه من المجهود، و فى النهاية الإرهاق البدنى، علشان كده حاول تعيد دايماً تقييمك فى المهام الموجوده فى المربع ده، و اللى ممكن نقلها لمربعات: ليست مهمة وعاجلة، أو: مهمة وليست عاجلة، علشان لو نجحت فى كده، حتقدر تخفف من الضغط النفسى و البدنى الواقع عليك.

مثال لبعض المهام اللى ممكن توضع فى المربع ده، لو عندك أمتحان قريب، فده شئ حيفيدك على المستوى الدراسى، و فى نفس الوقت له ميعاد محدد قريب، فعلشان كده أصبح عاجل و مهم فى نفس الوقت.

مثال تانى لو بتجهز لسفريه خاصه بشغلك، فده برضه ممكن يكون مفيد لك على الجانب الشخصى، علشان كده تعتبر السفريه "مهمه"، و فى نفس الوقت "عاجله" لأن لها ميعاد محدد لازم تلتزم بيه.

- **المربع الثاني (أسفل اليمين): عاجل، لكن ليس مهماً:**

أحياناً المربع ده بيصنف على أنه التانى، و أحيانًا على أنه المربع الثالث، و أسمه "فوض"، و هو بيحتوى على المهام اللى محتاجه أهتمام فورى، لكن مش بالضرورة لازم تكون مفيده بالنسبه لك. و يمكن يبدو من غير المنطقي إعتبار مهمة حتقوم بيها "عاجلة" و "غير مهمة" في نفس الوقت، لكن من هنا بتيجى قوة المصفوفه بتاعتنا و أهميتها، و هى أنها بتخليك عندك القدره على إعادة تقييم المهام الخاصه بيك، و بالتالى ترتيب أولوياتك.

على سبيل المثال، كتير من الأشخاص -خصوصاً فى وظائف زى السكرتاريه- بتقضى وقت كبير جداً فى الرد على رسايل البريد الإلكترونى، أو بعض ملاحظات العملاء. لو قيمنا مهمه زى ده حنلاقيها ضروريه، و فى نفس الوقت أحياناً كتير بيكون الرد الفورى على العميل من أساسيات الوظيفه، إذن فهى لازم توصف بأنها "عاجله". لكن بالنسبه للشخص اللى بيقوم بيها "مش مهمه"، لأنها على المستوى الشخصى مش حتضيفله أى شئ، زى ما بيُقال فى التعبير الشهير اللى لازم أعتذر عنه قبل ما أقوله Donkey work، لأنها بتكون من نوعية الشغل الروتينى اللى تقريباً بتعمله كل يوم و أنت ملزم بيه و مجبر عليه، لكن من غير أى عائد شخصى يُذكر بالنسبه لمنفذها، أكتر من أنها من مهام العمل.

مثال تانى شخصى، أنك لازم تروح تدفع قسط مصاريف مدرسة الأولاد، و اللى لو مدفعتهاش فى ميعادها، الأولاد ممكن ميقدروش يروحوا المدرسه، أو على أضعف الأيمان ممكن يتعرضوا لمضايقات.

مثال تالت أنك لازم تروح السوبرماركت، و ممكن تقف نص ساعه فى أنتظار دورك في قسم البقاله، و زيهم فى طابور الكاشير، لأنك لازم تجيب بقالة البيت، و لو مجبتهاش، مش حيكون فيه أكل فى البيت.

أمثلة العاجل فى المربع ده كتيره جداً، و هى تقريباً بتشكل غالبيه المهام اللى بنقوم بيها كلنا على مدار يومنا، بس حنسيب الكلام ده مؤقتاً لحد ما نوصل لأخر الفصل ده، فى الجزء التحليلى اللى حنلخص فيه الموضوع ككل.

طيب نرجع لأسم المربع و هو "فوض"، و هى كلمه لها دلالات كبيره جداً، و معناها أنك تحاول قدر جهدك أنك تخلى شخص تانى ينوب عنك فى المهام دى - طبعاً إذا قدرت-، لأنها مهام بتاخد جزء كبير من وقتك، من غير ما تضيفلك أى عائد على المستوى الشخصى.

- **المربع الثالث (أعلى اليسار): مهماً، لكنه ليس عاجلاً:**

و ده المربع التالت و أسمه "قرر"، لكن أحياناً بيعتبر المربع التانى، و ده إعتماداً على طريقة هيكلتك للمصفوفه، و هو مخصص للمهام اللى حتفيدك فى مستقبلك، و اللى حيكون لها دور كبير فى تغيير حياتك بشكل أفضل، سواء على المستوى الأنسانى أو التعليمى أو الوظيفى، لكن أهم ما يُميز مهام المربع ده، أنها مش مربوطه بأى مواعيد محدده، بمعنى أنك أنت اللى بتحددلها الوقت تبعاً لظروفك.

فى العاده المهام دى زى ما قلنا قبل كده، بتكون جزء من خطه طويله المدى، علشان كده أسم المربع "قرر"، و كلمة قرر هى كلمه مريحه جداً، بتديلك السماح أنك تشوف الوقت المناسب لتنفيذ المهمه دى، لكن لازم تاخد بالك أنك متأجلهاش لحد ما وقت أو أهمية المهمه أو الشئ ده تروح، أو أضعف الأيمان تتحول لمربع عاجل و مهم، فتضطر تنفذها تحت ضغط.

طبعاً أمثلة المهام فى المربع ده كتيره جداً، زى الأقدام على خطوات حياتيه مهمه زى الزواج، أو قرارات السفر بمختلف أسبابها، أو دراسة لغة جديده، أو أنك تقرر بشكل عام تدرس أو تتعلم أى شئ جديده، أو حتى أنك تفكر تبدأ قناه أو Blog ليك على شبكة الأنترنت، أو ما شابه.

و لازم يكون فى تفكيرك دايماً -زى ما أنا لسه قايل-، أن ممكن المهام دى تكون فى البدايه مفتوحة الوقت، لكن التأخير فيها ممكن جداً يوصلنا لمرحلة ضغط الوقت،

و فيه حاجات كتير جداً لو متعملتش و أنت مرتاح نفسياً و عصبياً، حتفقدك كتير من شغفك بيها، لدرجة الوصول لمرحلة فقدان أهميتها ككل.

- **المربع الرابع (أسفل اليسار): ليس مهمًا و لا عاجلاً:**

و ده المربع اللى أسمه "أحذف"، و هى بأختصار كل المهام اللى أنت محتاج ترميها فى الRecycled bin أو سلة المهملات بتاعت حياتك، المهام اللى ملهاش أى فايده بالنسبالك، و للأسف كلنا بلا أستثناء بنعمل حاجات كتير جداً ملهاش أى لازمه و لا فايده، و بستنزف مننا وقت كبير جداً من حياتنا.

أهم ما يُميز المهام اللى حتُوضع فى المربع ده، أنها لو أتلغت من يومك أو من حياتك مش حيكون لها أى تأثير سلبى على حياتك، بالعكس تماماً ده ممكن يكون لألغاءها تأثير أيجابى جداً، و مش حأضرب أى أمثال دلوقتى بالمهام اللى ممكن توضع فى المربع ده، و حأجلها لما أوصل للجزء التحليلى.

****

أوصل معاك للجزء التانى من شرحى لمصفوفة أيزنهاور أو مصفوفة الأولويات، و هنا حاسميها اللعبه، و فى الجزء ده حيكون تحليلى و اللى حيكون مبنى على جزء علمى، و جزء كبير خبرات حياتيه و تجارب شخصيه، و كمان حيتبنى على تجربتى الشخصيه مع اللعبه دى، و اللى أنا سميتها بأسم واحده من أهم أغانى فريق "Queen" الأنجليزى الشهير، و هى "Under Pressure" أو "تحت ضغط". الجزء ده بالنسبالى هو الجزء الأهم فى الفصل ده، و اللى فيه الرساله اللى أنا عايز أوصلها من الموضوع كله.

أول حاجه و قبل ما تبدأ تستخدم لعبتنا دى، لازم تكون أولاً عندك القدره على التقييم لحاجتين مهمين جداً:

1. أنك تقدر تعمل حصر يومى -أو أضعف الأيمان أسبوعى- لكل حاجه بتقوم بيها أو بتبذل فيها مجهود، و الأهم عندى أنها تكون بتاخد جزء من وقتك، اللى هو فى الحقيقه جزء من حياتك بيروح و مش بيرجع تانى.

2. أنك و بمنتهى الحياديه تقدر تصنف كل الأشياء أو المهام دى لعاجل أو مهم، و ده طبعاً تبعاً لأهميتها بالنسبالك أنت، مش بالنسبه لأى شخص تانى، و تراجع تقييمك ده مره و اتنين قبل ما تبدأ فى عملية ترتيب المهام دى فى اللعبه.

لما تكتب كل المهام اللى قمت بيها فى اللعبه، طبعاً حتلاقى فى مربع عنده عدد مهام أكتر من غيره، و هنا حتبدأ أنت شخصياً المرحلة الأهم، و هى أنك حتبدأ تقيم حياتك ماشيه فى أى أتجاه.

قبل ما أبدأ الجزء التحليلى، أحب أأكد مره تانيه أن جزء كبير من اللى حأقوله مبنى على خبراتى الحياتيه و مشاهداتى، و تجربتى أنا الشخصيه فى تحليل حياتى من خلال المصفوفه أو اللعبه دى.

نبدأ مع بعض بأول مربع، و بدايةً، هو أصعب و أندر مربع ممكن حياة شخص تتواجد فيه، فلو لقيت أن معظم اللى بتعمله فى حياتك فى المربع الأول، و هو المربع الخاص بالمهام العاجله و الهامه فى نفس الوقت، فده ممكن يوصلنا لأكتر من تحليل، ممكن يكونوا عكس بعض، لكن كلهم بيؤدوا لنفس النتيجه، علشان كده حأطلب منك -لو كانت حياتك فعلاً فى المربع ده- تدور من بين النتايج دى على أنت مين بالضبط من الأختيارات اللى حأقولها دلوقتى:

1. أنك شخص طموحاتك كبيره جداً لدرجه مبالغ فيها، لدرجة أنك مش عايز تضيع أى فرصه متاحه، فممكن تكون بتمشى فى أكتر من سكه فى حياتك، و عامل لنفسك أكتر من Plan B أو خطه بديله، بس الطموح الزائد عن حده ممكن يكون طول الوقت عامل ضغط نفسى عليك، لأنك مدخل نفسك فى أكتر من مشروع فى وقت واحد.
2. أنك ممكن تكون شخص تايه و غير محدد الهدف، و دى فعلاً بلاحظها فى ناس كتير، و يمكن أنا نفسى وقعت فى الغلطه دى فى وقت ما فى حياتى، فعدم تحديد الأهداف بيخليك بتدخل نفسك فى تجارب كتيره طول الوقت، على أمل أن واحده فيهم تنجح فتكمل فيها، يعنى بمعنى أدق سايب الظروف هى اللى تحددلك مصيرك.

3. أنك شخص بتاخد قرارات، بس طول الوقت بتأجل تنفيذها، فتأخيرك ده بيحولها تلقائى من المربع المريح، و هو مربع المهم الغير عاجل، لمربع المهم العاجل، لأنك أتأخرت فى التنفيذ، و بالتالى حتنفذ -زى ما قلنا قبل كده- و أنت دايماً تحت ضغط، و غالباً حتكون وصلت لمرحلة فقدان الشغف بالشئ اللى بتعمله.

طيب وجهة نظرى فى الناس اللى عايشه فى المربع ده -و هو مش أحسن مربع للحياه زى ما ممكن بعض الناس تعتقد- أنها هى اللى ظالمه نفسها بنفسها، أياً كان السبب، لأن ال3 أسباب اللى أنا لسه قايلهم كلهم بيمثلوا أخطاء واقعه من الشخص على نفسه.

الناس اللى عايشه فى المربع ده هى شخصيات طموحه، لكن بالتأكيد أنها كمان شخصيات قلوقه جداً، و قلقها متغلب على طموحها، فممكن يكونوا بيخافوا أن أى فرصه تضيع عليهم، مع أن أهم عنصر من عناصر النجاح هو تحديد الأهداف، و التركيز فى أختياراتك، لكن فى ناس كتير بتخاف من عواقب أى أختيار -حتى لو كان مبنى على دراسات مضبوطه-، بس أنا عايز أأكد أن هى دى الحياه، الحياه نفسها لعبه، فلازم تراهن على أختياراتك بكل قوه، طالما أنها مبينه على دراسه، أما النجاح و الفشل، فنسبه مش قليله منه بتكون خارجه عن أطار قدراتنا، و أنا هنا بقول نسبه مش قليله، مش بقول أن كله بيكون خارج عن أطار قدراتنا.

فيا ريت إذا لقيت نفسك فى المربع ده، عيد حساباتك مع نفسك مره تانيه، دور على الغلط اللى مخليك تحت الضغط طول الوقت، بالرغم من أنك من الواضح أنك شخص طموح، و أبدأ مره تانيه فى إعادة أولوياتك على أرض الواقع، أدرس كل خططك المستقبليه بشكل علمى، و متخافش من النتايج، خصوصاً الجزء اللى مش فى أيدك، لأنه وارد يحصل مع أى أختيار تانى.

نكمل مع تانى مربع، و هو مربع المظلومين حياتياً، و هو تبعاً لكل التقييمات أسوأ مربع ممكن شخص يعيش فيه، و هو المربع الخاص بالمهام العاجله و غير المهمه، و المربع ده مع المربع الأخير هما سبب كتابتى للفصل ده، لأن المربع ده تحديداً هو المربع اللى عايش فيه الغالبيه العظمى من الناس، أياً كانت الأسباب، لكن هو

بالفعل بيمثل حال المصريين و بعض الشعوب العربيه الأخرى، طيب أيه أسباب أنك ممكن تكون حياتك كلها فى المربع ده:

1. أولاً ممكن تكون أسباب خارجه عن إرادتك، بمعنى أنك تكون شخص شايل على كتفك مسئولية ناس تانيه طول الوقت، و دى بتكون الحاله الأنسانيه فى المربع ده، أنك شخص مُحمل بمسئوليات مش بتاعتك، فغالباً مش بيكون عندك وقت للتفكير فى نفسك و مستقبلك، إذن فأنت شخص بيدور فى ساقيه أبديه من المهام الغير مهمه خالص بالنسبالك، لكن فى نفس الوقت هى مهمه و ضروريه للأخر، زى مشاوير المستشفيات و تخليص الأوراق الحكوميه...إلخ.
2. تانى سبب أنك ممكن تكون شخص لا تتصف بالشخصيه القياديه و معندكش طموح، فأنت متحامى طول الوقت فى شخص أو فى وظيفه هى اللى بتضمنلك الأمان، فأنت حياتك كلها بتدور فى فلك الشخص أو الوظيفه دى، و لاغى كل طموحك تماماً، بكره ده مش فى بالك خالص، بتعيش اليوم بيومه، و دى فعلاً بالنسبالى هى المشكله الحقيقيه الأولى اللى بتُظهرها اللعبه، الناس اللى عايشه بلا طموح فى ظل أمان زائف، لو راح ممكن حياة الأشخاص دى تتدمر تماماً.
3. تالت سبب سوء التنظيم فى تقدير الأمور -خاصةً الماليه- خصوصاً فى بلدانا العربيه، لأن مثلاً فى أغلب دول العالم شراء عربيه أو موبايل عالى الأمكانيات شئ بسيط جداً، و لا يُمثل أى نوع من العبء على المواطن هناك ، لأن متوسط دخله مقارنةً بسعر الحاجات دى أعلى بكتير، يعنى فى الدول دى الشئ الوحيد اللى بيضلع الناس فعلاً هو شراء المنازل، أما باقى الحاجات فشراها سهل جداً. بالنسبه لنا فى دولنا فده شئ مش موجود على أرض الواقع، و كل حاجه شراها مُضلع مادياً.

فمع ظهور فكرة التقسيط -و اللى مكنتش موجوده قبل كده- من حوالى 15 سنه تقريباً أو يمكن أكتر-، و الشركات و البنوك اللى بتسلفك، فأصبح كتير من الناس شايفه أن ده حل كويس جداً، و كمان ممكن يتيح لها أنها تجيب حاجات هى فعلاً أعلى من قدراتها الماديه بكتير، و يمكن كمان

تكون مش ضروريه فى حياتها، و أنا خصيت بالذكر سلعتين، سلعه عاليه التمن زى العربيات، و سلعه متوسطه التمن زى الموبيلات، فالعبء المادى الزياده اللى الناس بتعمله على نفسها، بيتحول لنوع من العبء الحياتى، اللى بيتحول أنك حتقبل تعمل أى لتزويد دخلك.

أحب أوضح أن سوء التنظيم ممكن كمان يتمثل فى حاجات كتير جداً بتضغط عليك و على وقتك -مش بس الفلوس، يعنى سوء تنظيم وقتك بيتحول لعنصر ضغط، أنك تعمل حاجات ملهاش لازمه بيضغط على وقت الحاجات اللى لها لازمه، و هكذا.

وجهة نظرى الأخيره فى الناس اللى عايشه فى المربع ده -و هو أسوأ مربع نفسياً ممكن أى أنسان يعيش فيه- أنها شخصيات عايشه بلا تفكير، مضغوطه طول الوقت بلا أى سبب و بلا فائده تذكر، محتاجه ثوره حقيقيه علشان تخرج من اللى هى فيه، هما عايشين عبيد طول الوقت، سواء لشخص أو وظيفه أو لشئ، و ده سواءً كانت الظروف هى اللى ظالماهم -زى فى الحاله الأولى-، أو هما اللى ظالمين نفسهم -زى فى الحالتين التانيه و التالته-، لكن حتى لو كانوا من الحاله الأولى، فمحتاجين يشوفوا نفسهم، يفكروا فى مستقبلهم، يوازنوا ما بين المسئوليات اللى عليهم و طموحاتهم، لأن منظومتنا أو لعبتنا قائمه على مبدأ قدرتك على تقييم كل اللى بتقوم بيه على مدار يومك، علشان تقدر تدير وقتك بنجاح، و تحقق أقصى أستفاده من حياتك -أياً كان طولها-.

أنا عارف أن الناس اللى عايشه فى المربع ده هى أصعب ناس ممكن الواحد يطلب منهم التغيير، و ده علشان نكون على أرض الواقع و ميبقاش كلامى نظرى، لكن زى ما قلت أكتر من مره فى الكتاب ده، أنا مش جاى علشان أقولك أن الحياه حلوه، لكن بحاول معاك أننا نفكر فى الخروج بأقل الخسائر، من الحياه اللى أحنا مجبرين نعيشها، فحاول تساعد نفسك لأن الزمن مش مضمون، و أعتقد التجارب اللى مر بيها العالم فى الكام سنه اللى فاتوا، بيأكدولك أنك متقدرش تركن على شئ و تقول أن هو ده الأمان، و لا أنك تسيب ظروفك هى اللى تمشيلك حياتك.

نوصل لتالت مربع و هو مربع البهوات، هو المربع الخاص بالمهام الغير العاجله و الهامه فى نفس الوقت، و ده المربع اللى مش حأتكلم فيه خالص، لأن ده مربع اليوتوبيا، محتاج لناس مقتدره مالياً، مسئولياتها العاجله الغير هامه قادره تحولها على ناس تانيه تقوم بيها، فالنوعيه دى من الناس أكيد مش هى اللى حتهتم تقرأ الكتاب ده، و لا هما أصلاً محتاجين منى أى نصيحه، ده أنا اللى المفروض أخد منهم النصيحه.

ننتهى برابع مربع، و هو المربع الكارثى بكل ما تحمله الكلمه من معنى، و للأسف فى ناس كتير جداً عايشه فيه، و هو المربع الخاص بالمهام الغير العاجله و الغير الهامه فى نفس الوقت، المربع اللى أتسمى "أحذف"، لكن الRecycled bin أو سلة مهملات الناس اللى عايشه فيه مش بتفضى أبداً، المربع ده نقدر نسميه مربع الضياع، مربع التيه، و للأسف أن أغلب الناس اللى عايشه حياتها فيه هما من الشباب.

طيب أيه أهم مظاهر المربع ده؟ أهم مظاهره بكل تأكيد أن الشخص اللى عايش فيه هو شخص بيضيع وقت، سواء ده كان ناتج عن حالة أحباط أو حالة لا مبالاه أو حتى حالة جهل. النوع ده من الأشخاص هو اللى حتشوفوا ماسك الموبايل طول الوقت على صفحات التواصل الأجتماعى بس، أو بيعمل فيديوهات تافهه بتقلل من قيمته، و طبعاً مش بيكون لها عائد مادى على كتير من الApplications، أو هما الناس اللى نص حياتها الليلى أما على القهوه أو الكافيهات أو على الPlayStation، أو الناس اللى حتلاقيها نايمه أغلب الوقت.

الكارثه بجد بالنسبالى، أن أغلب الناس دى -إن مكنش كلهم- من الشباب اللى مفروض فى مرحلة التخطيط لمستقبله، لكن زى ما قلت من كام فقره، أن أياً كانت الأسباب فالنتيجه كارثيه، و ده هو المهم.

أنا مش حاكتب أى نصايح أو توجيهات فى الجزء ده للناس اللى عايشه فى مربع أربعه، لأن كتير من فصول الكتاب حتوصل اللى أنا عايز أوصله، فلا داعى لتكرار نفس الكلام.

فى النهايه فه كلمه أخيره أحب أقولها، أنك لازم تجرب تقييم حياتك من خلال مصفوفة أيزنهاور أو مصفوفة الأولويات، أعتبرها لعبه زى ما أنا أعتبرتها، و على فكره حتلاقيها كApplication على Google play أو App store، أكتشف حياتك من خلالها، محدش حيقدر على ده غيرك، قيم حياتك، و لما تشوف النتايج بنفسك خد قرارك بشجاعه، و لو أكتشفت أنك محتاج تعيد حساباتك، عيدها و متخافش، عندك دايماً الفرصه تصلح مسار حياتك، أو حتى أنك فى أى لحظه تبدأ من جديد.

24 فبراير 2023

**"هل حقاً نحن مستهدفون ؟
لماذا نشعر بتلك الحالة من الظلم طوال الوقت؟"**

ما بين "أشمعنى أنا" و "نظرية المؤامره"

بنتى الوحيده كانت بتدرس لحد Grade 9، أو ما يوازى الصف التالت الأعدادى، فى مدرسه ألمانيه فى مصر. المدرسه مش معروفه قوى لأنها كانت جديده، مكملتش 5 سنين، عكس المدارس الألمانيه القديمه اللى أغلب الناس عارفينها، طبعاً متستغربش أزاى 5 سنين و هى فى Grade 9. الأجابه ببساطه لأن الكل -و الكل هنا تعنى كل الطلبه اللى دخلت المدرسه الجديده- كانوا فى مدرسه تانيه قبلها، بس المدرسه مكملتش و قفلت.

المدرسه الجديده كان لهاميزه فى غاية الأهميه ميزتها بالنسبالى عن كل المدارس الألمانيه التانيه الموجوده فى مصر، و هي أنها كانت جزء من سلسلة مدارس موجوده فى أماكن كتير فى العالم، ما بينها فرعين فى ألمانيا.

الميزه دى أتاحت الفرصه لبعض الطلبه اللى كانوا فى الدفعات اللى قبلها، أنهم يكملوا فى واحد من الفرعين اللى في ألمانيا، و اللى بيتميز أن فيه أقامه داخلى، و تحت أشراف كامل من المدرسه. بأختصار هى مدرسه عاديه بس فيها قسم داخلى للمغتربين.

بدايةً من Grade 8 بدأت أخد قرارى أنى لازم أسفرها تكمل أخر 3 سنين دراسيه هناك، لأنها فرصه و تجربه حياتيه لا تُعوض، و على أمل أن ده يتيحلها فرصة أنها تكمل دراستها الجامعيه هناك بشكل أفضل من لو جت من مصر.

طبعاً وجدت صعوبه بالغه في إقناع والدتها بالمبدأ، لكن كانت فكرة أنى سفرتها 3 مرات قبل كده مع المدرسه لألمانيا و هى فى مراحل عمريه أصغر، و أنها تأقلمت جداً هناك، فده كان من عوامل ضغطى و أقناعى لها، أما بنتى، فطبعاً كان الموضوع بالنسبالها حلم كبير جداً.

المهم، بعت كل ما أملك حرفياً علشان أخليها تدرس ال3 سنين الأخيره من مرحلة التعليم العالى فى ألمانيا، و كان معاها من زملاء الفصل ولدين و بنت كمان، كلهم

سافروا مع بعض فى تجربه جديده تماماً عليهم، و كلهم فى سن ما بين ال14 و ال15، للحياه داخل مدرسه داخلى فى ألمانيا.

المدرسه -زى ما سبق و قلت-، كان لها فروع في أماكن كتير من العالم، فطبعاً أكيد حتتوقع معايا أن في القسم الداخلى حيكون فيه طلبه من جنسيات كتير مختلفه، و ده كان حقيقى تماماً، التنوع هناك كان فريد من نوعه فعلاً، و ده زود التجربه ثراء بشكل كبير، و اللى خلانى أكثر سعاده، أن مديرة المدرسه الرائعه اللى كانت موجوده فى فرع مصر لحد أخر سنه لبنتى فيها، هى اللى أصبحت مديرة المدرسه اللى فيها فرع داخلى فى ألمانيا، فكانت عارفه كويس جداً بنتى و باقى زمايلها، و دى كانت من عوامل الأمان المهمه جداً، سواء بالنسبالنا كأولياء أمور، أو طبعاً بالنسبه للطلبه نفسهم.

طيب أنا بحكى القصه الطويله الخاصه دى ليه؟ لأن من لحظة وصول بنتى و بدء الدراسه، بدأت أُفاجئ بكلام غريب منها، حتى مكنتش متوعد عليه فى مصر. بدأ الموضوع بفكرة أن فى عنصريه شديده تجاهم كمصريين، و أن المشرفات بيعاملوهم معامله مش كويسه، مش زى باقى الجنسيات، و دى كانت نقطة أنا أستغربتلها جداً، لأن المدرسه قايمه على التنوع العرقى، و ده واحد من أهم مبادئها، و أن الفرع الموجود فى ألمانيا، و اللى فيه القسم الداخلى، معمول علشان الهدف ده، علشان أى طالب فى أى فرع تانى في العالم عايز يكمل، طبعاً أكيد كان فيه طلبه ألمان، لكن كان تقريباً نص المدرسه من الطلبه الوافدين.

بدأت أستغرب أكتر لما الموضوع بعد فتره تحول من الشكوى من المشرفات في أماكن الأقامه، للشكوى من بعض المدرسات فى المدرسه نفسها، و هنا تحول الموضوع من إضطهاد جماعى بالنسبه لبنتى فى الحاله الأولى، لأستقصاد فردى، بمعنى أن بعض المدرسات مستقصدينها، و أنها مهما بتعمل، مش بيدوها درجات كويسه، و..... و..... و.....

فى اللحظه دى بدأت أركز كويس جداً مع تصرفات بنتى و زمايلها، بالرغم من أنى كنت فى مصر، و بالرغم من أن طول السنين اللى هى قضتها هناك، عمرى لا أنا و لا والدتها رحنا المدرسه في ألمانيا، حتى المره الوحيده اللى رحت فيها ألمانيا كانت هى

فى أجازه فى مصر. بدأت أتابع كل سلوكياتهم و أفهم الخلل فين، سواء فيها أو فى زمايلها اللى أنا عارفيهم كلهم من KG1، علشان أعرف أقيم أيه أسباب الشكوى المستمره دى.

****

السبب ببساطه ناتج من البيئه اللى كلنا أتربينا فيها كلنا، البيئه اللى كنت أتكلمت عنها فى الفصل اللى سميته "No Signal"، و اللى بتخلينا طول الوقت عندنا مشكلتين أبدتين، الأولى اللى سبق و ذكرتها فى فصل "No Signal" و هى فكرة عدم قبولنا على الأطلاق الأعتراف بمبدأ أننا ممكن نكون غلطانين فى أى حاجه طول الوقت.

أحنا -سواء فى مصر أو أى مجتمع مشابه- مبنغلطش، دايماً الأخر هو اللى غلطان، إنما أحنا دايماً عاملين الصح، بس طول الوقت مش بنعرف ليه بالرغم من أننا عاملين كل حاجه صح، زى ما بنتى أو أى حد تانى بيتهيأله، لكن الأخر مش بيشوف الصح ده. بالعكس ده بيغلطنا، و أحياناً بيحاسبنا، و هنا بتظهر المشكله التانيه اللى أنا حأتكلم عنها في الفصل ده، و هى "عقدة الأضطهاد"، و فكرة "أشمعنى أنا"، و الأعتقاد الدائم أما أن الأخر بيميز الناس التانيين عنك، أو أنه رفضك و كرهك لسبب أنت مش قادر تفهمه.

قبل ما أخوض فى الكلام عن فكرة عقدة الأضطهاد خلينى أحكى عن تجربتى الشخصيه بسرعه، أنا فى مرحلة ما بعد الكليه على طول، غيرت المكاتب اللى كنت بأشتغل فيها أكتر من مره، خلال حوالى أربع سنين، و كنت بأعتقد فى أحيان كتيره بعد ما باسيب مكتب منهم، بأنى تم أضطهادى و أنى أتظلمت، و أن فى تفضيل تم لناس تانيه عليا.

لكن من بعد مرحله معينه فى حياتى، لما بدأت أعيد حساباتى فى كل المرحله اللى فاتت، و الأهم، أنى بدأت أشوف نفس المشاكل من وجهة نظر صاحب العمل، فهمت قد أيه أنا كنت غلطان، بدأت أفهم أن تقييم أى شخص لأى شئ مشترك بينه و بين الأخرين فى الحياه، لازم يكون له معايير حاكمه يشوفها الطرفين من نفس المنظور، مش كل طرف يحكم على الأمور من وجهة نظره.

طبعاً أنا مش بأقول أن الأضطهاد مش موجود، لأ هو موجود و بشده، بس أنت تقدر تحكم على رأى الطرف الأخر إذا كان صح و لا إضطهاد بسهوله جداً، لو قدرت ترجع لنقطتين. الأولى المعايير الحاكمه اللى بتحكم العلاقه بينكم، و التانيه هى فكرة وجود مصالح شخصيه خاصه بالطرف التانى و مدى تأثيرها، و ده حقيقى جداً، و موجود فى مجتمعاتنا و بشده، فكرة أن فيه أمور كتير مش بتُدار بالمعايير، لكن بتُدار بالمصالح الشخصيه. و هنا بتظهر فكرة إضطهاد أو ظلم أى شخص بييجى على المصالح الشخصيه دى.

****

أرجع معاك لتجربة بنتى و زمايلها، و نحاول مع بعض نناقش أيه كانت نوعية مشاكلهم. فى البدايه سواء هى أو زمايلها، أو أى طالب مصرى تانى هناك، فهو أو هى بالرغم من دراستهم فى مدرسه ألمانيه في مصر من الصغر، إلا أنهم فى بيوتهم أتربوا على العقليه و السلوكيات المصريه، و ده شىء أنا لمسته بنفسى، فلما سافروا في السن الصغير ده، أصطدموا يالعقليه الألمانيه المنظمه جداً، و اللى هما مش متعودين عليها، فكانت فيه مشاكل كتير من نوعية أن الأكل بمواعيد، أن دخول الغرف بمواعيد، أنك مينفعش تكون نايم وقت المدرسه، و دى كانت نقطه كلهم بيشتكوا منها، لأن في أخر سنتين مكنش نظام يوم دراسى، لكن حسب المواد اللى الطالب مختارها بتكون مواعيد حصصه، فطبعاً أولادنا مكنوش فاهمين أن في ألمانيا عيب طالب يكون نايم للساعه 11، حتى لو مكنش عنده حصص، و للأسف كنت بسمع من الأولاد دايماً فكرة أن ده تدخل فى الحريه الشخصيه، .

إذن فالفكره مكنتش أضطهاد أو تدخل فى حريه شخصيه، لكن فكرة نظام مؤسسى المدرسه ماشيه عليه، مينفعش يتم الأخلال بيه، لأن المبدأ هنا بيكون أنك لو سمحت لطالب واحد، فأنت مجبر تسمح لكل الطلبه، و ده طبعاً مينفعش، فهنا الأولاد مكنوش قادرين يستوعبوا أن فيه معايير بتحكم المكان، لازم الطرفين يلتزموا بيها.

خلينى أكملك باقى الحكايه، بنتى خلصت المدرسه من سنه و نص بالضبط، و من ساعتها مش عارف أسفرها هناك للجامعه، بسبب تراجع سعر الجنيه، لحد ما وصل

وقت كتاباتى دلوقتى لما يوازى تلت قيمته من سنه و نص، فأى حسابات كنت حاسبها وقتها مبقتش تنفع، ده غير صعوبة توفير اليورو أو أى عمله تانيه من مصر حالياً، و اللى أنا كنت محتاجهم كمصاريف تقديم، فهى أضطرت تقعد فى مصر، و مؤقتاً دخلت كلية فى مصر، و بندور أنا و هى من ساعتها على Scholarship أو ما شابه للسفر و الرجوع مره تانيه لألمانيا.

وجودها في مصر حول المشكله للعكس، لأنها بعد 3 سنين رجعت مشبعه بالنظام الحياتى الألمانى، فأصبح بالنسبالها نمط الحياه فى مصر غريب جداً، و هنا بتظهر عقدة الأضطهاد للمره التانيه، لأنها أصبحت بتقيم الأمور من وجهة نظر مختلفه عن اللى بيتم التقييم بيها فى مصر، و من هنا رجعنا تانى لعقدة الأضطهاد و أن محدش فاهمها أو بيقيمها صح، لأنها ببساطه مرجعتش للمعايير المصريه فى إدارتها للأمور، لكن طبعاً شتان الفارق بين المعايير الألمانيه فى الإداره -حتى لو كان فيها بعض الأخطاء-، و معايير ألا معايير اللى عندنا، لكن حتى معايير ألا معايير لازم تتاخد في الحساب، علشان تكون قادر تفهم عقلية المجتمع اللى أنت بتتعامل معاه.

****

خلينى أبدأ معاك تحليل الفكره مع بعض من منظور أشمل، من فكرة عقدة الظلم و الأضطهاد اللى أحنا طول الوقت بنستخدمها كشماعه لكتير من مشاكلنا فى التجاوب و التأقلم مع القوانين الحاكمه لأى حاجه، أو مع المعايير المفترض أننا نمشى عليها أو نتبعها.

من تجارب حياتى السابقه كانت مهنة التدريس، أولاً لأنى بعشقها، لأن متعة أنك تشارك العلم اللى عندك للأخرين، بجد متعه ما بعدها متعه. وقتها أنا كنت ماشى على قاعده أن مفيش طالب يدخل بعد الميعاد بأكتر من 10 دقايق، و أعتقد أن ده زمن كافى جداً للتأخير، لأنى كنت بأضطر أنتظر ال10 دقايق دى علشان أبدأ. كان فيه طالب لازم ييجى كل مره بعد ال10 دقايق، و أحياناً بتوصل لنص ساعه. فوتله مره و أتنين، لكن بعد كده أصريت على عدم دخوله. طبعاً هو أعتبر أن ده نوع من الأضطهاد الشخصى له، و أشتكى أكتر من مره، لكن كان أصرارى على أحترام المبادئ

اللى أتفقنا عليها، و اللى محدش يقدر يغلطها، بيخلى كل الناس اللى كانت بتطلب منى أنى أسمحله يدخل تسكت تماماً.

مبدأ وجود معايير هو شيء من أساسيات الحياه على كوكب الأرض، و هى الأديان أيه غير مجموعه من المعايير الحاكمه اللى بتنظم التعامل بين الناس، و زيها القوانين، و ده اللى بيسهل تحديد الغلط أو مين المذنب.

فى الصين مؤخراً وصلوا لمرحله من تنظيم المعايير لدرجه أنا بعتبرها لا أنسانيه، و كنت عملت عنها حلقه كامله فى واحد من البرنامج اللى عملتها على قناتى على الYoutube، و هى فكرة أن الناس مراقبه بكاميرات طول الوقت، و إن الAI أو الذكاء الأصطناعى، بيقدر يميز الشخص عن طريق وجهه، حتى لو كان ماشى بين ألف شخص. الفكره قايمه على أن كل مواطن صيني له رصيد أجتماعى زى رصيده فى البنك، أو زى نظام النقاط فى قيادة السيارات، و الموجود فى بعض الدول.

المواطن الصينى اللى الكاميرا بتضبطه بيعمل أى غلطه، زى مثلاً أنه رمى ورقه في الشارع، أو اللى بيتم الأبلاغ عنه و بتتأكد صحة البلاغ، زى مثلاً أنه كان معلى التليفزيون في بيته و عامل إزعاج للجيران، بيتم الخصم من رصيده الأجتماعى ده، لدرجة أن فيه مواطن أتمنع من السفر بالطياره لأن رصيده لايسمح، الكلام ده بجد و أنا شفته فى أحد البرامج. ممكن كمان رصيد المواطن ده يمنعه من الزواج، تخيل.

بالرغم من قسوة النظام المُطبق في الصين، و اللى أقدر أعتبره أنه لا إنسانى، لكن هنا النظام و المعايير أصبحوا مش محل نقاش، مفيش حد حيقول أنا مُضطهد أو أتظلمت. أولاً لأن حياة الناس كلها متراقبه بالكاميرات، فالأثبات موجود و متوثق. ثانياً لأن اللى بيقيمك هو الAI أو الذكاء الأصطناعى و مش عنصر بشرى ممكن يتحيز أو يظلم أو يجامل. ثالثاً لأنك تقدر تشتكى، بس قبل ما تشتكى لازم تكون متأكد أنك على حق، لأن كل حاجه بتعملها محسوبه عليك.

****

أدخل معاك لسبب تانى للشعور المزمن بالظلم و الأضطهاد فى منتهى الأهميه و الخطوره، سبب متجذر فى كل شعوبنا العربيه من بدايات ظهور الحضاره فيها، لحد ما أصبح هو السلوك الحاكم لكل تصرفاتنا

عايزك تجرب معايا تجربه بسيطه جداً و أنت فى الشارع، سواء ماشى، سايق أو راكب أى مواصله، و حاول تصور أو تكتب كل الجمل اللى حتصادفك مكتوبه على الميكروباصات و أحياناً التاكسيات. النتيجه اللى حتوصللها أن 90% من الجمل المكتوبه، و اللى حقيقى بتُعبر عن ثقافة السائق، و ثقافة الشعب بشكل عام، كلها بتدور حوالين مواضيع موحده، و هى المظلوميه، الحسد، غدر الأصحاب، الخيانه، الهجر، دايماً الفكره أن الأخر هو اللى وحش، و أن الشخص اللى الكلام على لسانه مظلوم، مفعول بيه طول الوقت، كأن إرادته مسلوبه، أو ملوش أي دور.

الفكره دى بدأت في الغنا المصرى و العربى من بداياته الحديثه، بدايةً من أبو الأغنيه المصريه سيد درويش، مروراً بعبد الوهاب في أغانى زى "لأ مش أنا اللى أشكى"، لعبد الحليم صاحب أكبر قدر من البكائيات زى "تخونوه"، وصولاً لأليسا، أكتر مطربه غنت أغانى فيها شكوى و مظلوميه.

الفكر ده أتنقل و بقوه مع الأغنيه الشعبيه الحديثه و أغانى المهرجانات، اللى أصبحت المعانى دى هى الأساس لأى أغنيه، إستحاله تلاقى أغنيه فيها حد بيشكر فى حد، الموضوع كله شكوى و ظلم و خيانه،.... نفس الكلام الموجود على ضهر أي ميكروباص، طيب ليه.

ببساطه لأننا كعرب بشكل عام، و كمصريين بشكل خاص، الخنوع ثم الشكوى جزء من تركيبتنا الشخصيه، بدايةً، زى ما سبق و قلت، من بدايات الحضاره فى دولنا كلها. الأهرامات و المعابد الضخمه سواء في مصر أو العراق أو اليمن، المقابر المبينه تحت الأرض بأكتر من 5 متر، القصور الضخمه، كلها أثار رائعه، لكنها أتبنت بالظلم و الأضطهاد، كل الأثار اللى بنشوفها، كانت كلها لشخص واحد و من يتبعه، كل الشعب بيبنيله. هل عمرنا شفنا أثر لبيت شخص عادى عاش في مصر القديمه؟ فيه بس هي مجرد بعض الأثار البسيطه، و كل اللى فيها لا يُذكر، غير برضه أنها كانت تخص الفئه المقربه من الحاكم.

شعوبنا قبلت ده من البدايه، بالرغم من أنها كانت بتشتكى بينها و بين نفسها، لدرجة أن الشعب المصرى لما جاتله فرصة أنه يختار حاكمه لأول مره بعد أكتر من 2100 سنه أو يزيد من حكم أمبراطوريات و ممالك أخرى له، أختار ممثلي الشعب محمد على اللى جاى من ألبانيا، لعدم ثقة كبار أو ممثلى الشعب فى نفسهم.

بأختصار جزء من ثقافتنا الأصيله هى التبعيه للأخر، بنخاف دايماً أننا نكون أصحاب قرار، فده بيخلينا طول الوقت عايزين نمشى جنب الحيط، عن طريق أننا نكون تابعين، طيب ده أيه علاقته بفكرة الظلم و الأضطهاد.

علاقته ببساطه أننا من الأول بنختار الأختيار الأسهل بفكرة التبعيه، بفكرة أننا مش أحنا اللى بنسن القوانين اللى تناسبنا، لكن تبعتينا بتخلينا نرتضى بقانون الأخر، لكن بيننا و بين نفسنا بنشتكى، لكنها شكاوى و أحاسيس بالمظلوميه لا بتقدم و لا بتأخر. المبدأ ده أتنقل لكل تفاصيل الحياه، و اللى وصلنا لكل اللى بنقرأه على ضهر الميكروباصات، أو اللى بتسمعه فى الأغانى و المهرجانات، و هى الشكوى من الأخر طول الوقت، أنت مفعول بيه طول الوقت، أنت اللى بتتظلم و تتخان و أصحابك أو حبيبتك بتسيبك، أو الناس بتحسدك، المهم أنك مظلوم و ملكش لا يد و لا حيله طول الوقت. الغريب أن النوعيه دى من الأغانى هى الأكثر أنتشاراً، اللى الناس من كل الأعمار بتحبها، اللى دايماً بيتقال عليها "بتلمس على الوجع".

****

سبب تالت مش حأتكلم فيه كتير، لأنى أعتقد أنه شارح نفسه، و مش محتاج كلام كتير، و هو أنك تكون فعلاً مُخطأ أو مُقصر، لكن أنت مش قادر تقتنع أو تصدق الفكره، أنك تكون مقنع نفسك طول الوقت أنك عامل اللى عليك، بس أنت مُضطهد، ببساطه، أنك تكون بتضحك على نفسك علشان أنت مش قادر تعمل المطلوب منك بالشكل الصح، و طبعاً زى المبدأ اللى قلته أكتر من مره في الكتاب ده، و هو أن مفيش حد في بلادنا بيكون غلطان أبداً، فالغلط اللى بيتقالك عليه، بتحوله أنت لفكرة أنك مُضطهد، و أنك بتتظلم طول الوقت.

السبب الأهم اللى عايز أذكره، و اللى خارج من رحم السبب السايق، هو أن فيه نوع من الخطأ الشخصى، اللى ممكن ميكونش له علاقه مباشره بالشغل، لكن هو

بيأثر عليه بشكل غير مباشر، لأن له علاقه بطبيعة شخصيتك، و ممكن يكون مدى تأثيره أكبر كمان من الأسباب الشخصيه، و خليني أضرب مثال شهير جداً في مجال كرة القدم فى مصر، يمكن أنت تكون عارفه أو فاكره.

لا خلاف على أن الكابتن حسام حسن واحد من أفضل -إن مكنش الأفضل- المديرين الفنيين فى مصر، علشان كده فى كل مره بيتم تغيير مدرب المنتخب المصرى، بيتم طرح أسم الكابتن حسام حسن، و ده على أختلاف كل إدارات إتحاد كرة القدم في مصر. لكن في كل مره لا يتم أختياره. بعدها بيبدأ الكابتن حسام بإطلاق تصريحاته بأنه مُضطهد، و أن فيه مؤامره عليه، و كل اللى بنسمعه مع كل عدم أختيار بيتم. طيب يا ترى ليه مش بيتم أختيار الكابتن حسن كل مره، بالرغم من كفاءته، و أنه بيكون دايماً أحسن المرشحين فنياً؟

الأسباب فى منتهى البساطه تتلخص فى نقطتين. الأولى هى عصبية الكابتن حسام المفرطه، و اللى بتوصل بيه لمستويات غير مطلوبه، فالعصبيه دى مش مطلوبه فى أى شخصيه قياديه، لأنها ممكن بسهوله تنتقل للاعبين، و ده شىء مش مطلوب على الأطلاق في كرة القدم، لأنها حتخرج اللاعب عن تركيزه في المباراه، و طبعاً من قبله المدرب.

ثانى نقطه تتمثل في إصرار الكابتن حسام الدائم على أن الكابتن إبراهيم حسن توأمه يكون هو مدير الكره معاه، و الكابتن إبراهيم فى الأساس هو أكثر عصبيه من الكابتن حسام بمراحل، و بما أن مدير الكره ده يُفترض أنه بيكون واجهة الفريق، و بالتالى واجهه لمصر، فده ممكن يسبب بعض المشاكل اللى ممكن توصل بالفعل لمشاكل دبلوماسيه، و ده بالفعل سبب تم ذكره عن الكابتن إبراهيم حسن.

إذا فأصرار الكابتن حسام على وجود توأمه الكابتن إبراهيم معاه، و ده فى الحقيقه شرط مينفعش يتقال، لأن عمر ما المدير الفني بيختار مدير الكره، فالكابتن حسام بيضيع على نفسه كل مره الفرصه بشكل أكبر، بسبب إصراره على تواجد الكابتن إبراهيم، ناهيك طبعاً -زى ما ذكرت- عن عصبية الكابتن حسام نفسه.

هنا فى الحاله دى الكابتن حسام -زى أي أنسان فى مكانه- بيشوف نفسه مضطهد، و ده بسبب أنه الأكفأ، و ده حقيقه لا تُنكر، لكن مش بياخد باله من أسباب الرفض

المنطقيه جداً، و اللى فعلاً ممكن تكون مؤثره أكتر من أختيار مدير فنى أقل كفاءه، لكن عنده صفات القياده بشكل أفضل.

تانى مثال حأذكره حيكون عن أحد المعارف المقربين ليا، هو بيشتغل فى مكان سياحى عالمى مرموق، و هو من الناس اللى بتعمل شغلها على أكمل وجه، و مُتفانى فى عمله بشكل أكتر من المطلوب، لكن مش بيترقى خالص، طول الوقت بينسوه، و هو طبعاً بيشتكى على طول. للأمانه و قبل ما أذكر السبب اللى أنا شايفه لعدم ترقيته، فالمكان اللى هو شغال فيه، و بالرغم من أسمه الكبير جداً، لكن فيه الواسطه موجوده و بقوه، و دى أفه فى كل البلدان العربيه، لكن برضه هو -من وجهة نظرى- بيديهم الفرصه كل مره أنهم يظلموه، لأنه ببساطه بيغلط غلطه متكرره، لكن قبل ما أذكرها، مرة تانيه حأكد أن الكلام ده من وجهة نظرى أنا فقط، فيحتمل الصواب أو الخطأ.

الغلطه المتكرره اللى هذا الشخص بيكررها، هى أنه طول الوقت بيعمل مقاطع تمثيليه على التيك توك، اللى هي عباره عن مقطع صوتى و بيتم إعادة تمثليه Play back. للأسف هو بيقع في 3 غلطات بجانب فكرة عمل المقاطع دى. أولاً أنه بيصورها داخل المكان نفسه، و أثناء وقت العمل، حتى لو كان خلص كل الشغل اللى عليه. ثانياً أنه بيخلى بعض زمايله و زميلاته يشاركوه فيها. ثالثاً أنه بيبعت الرابط ده لكل الناس، بما فيهم مديرينه.

مديرين هذا الشخص -فيما أعتقد- أتفقوا معايا فى الرأى، فقاموا بنوعين من التصرفات. أولاً الأبقاء عليه مع لومه كل فتره، و الغريب أنه برضه مش بيتراجع، لأن مقاطع التيك توك هى هدف بالنسباله للشهره. الأبقاء عليه هنا بسبب أنه فعلاً على المستوى الوظيفى موظف كفأ جداً، بيعمل كل اللى عليه، و عدم وجوده في المكان خساره حقيقيه.

لكن في نفس الوقت هما تقريباً أخدوا قرار بعدم ترقيته أبداً، لأن شخصيته بالنسبالهم لا تصلح كشخصيه كقياديه فى مكان كبير و عالمى و له أسمه، لأن القياده لها مواصفات، للأسف مش كل الناس بتكون فاهماها. فهو بسبب أنه مش قادر يفهم ده، و طموح الشهره عنده أصبح عامل مسيطر على تفكيره، و هو بيتهيأله أن

لا تعارض بين ده و ده، فأصبح مُعتقد طول الوقت أنه مضطهد. أما بالنسبالهم - فيما أعتقد برضه-أن مدير بيتعامل مع جمهور، مينفعش تكون مقاطعه الهزليه منتشره على التيك توك، و ده وجهة نظر أتفق معاهم فيهم تماماً، لأن دى سمعه مش كويسه للمكان، فهنا هو اللى بيظلم نفسه طول الوقت، لكن طبعاً هو مش شايف غير أنه مضطهد، و عايش فى مبدأ "أشمعنى أنا".

مثال تالت و أخير أحب أضربه، حيكون لشخص أعرفه، و هو كاتب مسرحى و فى نفس الوقت هو ممثل مسرحى و أفلام قصيره، و للأمانه فهو ممثل شاطر جداً، بس عنده مشكله جوهريه، أن أول ما بيجيله سيناريو فيلم، بيبدأ يناقش المخرج - خصوصاً لو كان المخرج هو نفسه المؤلف- مناقشه أقرب للأستجواب، عن السيناريو و الرساله اللى الفيلم عايز يقدمها...إلخ، و دى بتكون أول مرحله.

تانى مرحله بتتمثل في رغبته فى تعديل بعض صيغ الجمل الحواريه بتاعته، و لما المخرج بيقدم التنازل ده، بيدخل على المرحله التالته، و هى رغبته في تعديل بعض صيغ الجمل الحواريه لباقى الشخصيات، بعد كده بيدخل على المرحله قبل الأخيره، و هي رغبته في تعديل السيناريو نفسه. طبعاً المرحله الأخيره بتكون أن المخرج بيغيره على طول و بيجيب بديل له، و يرجع هذا الشخص يشتكى من عقده الأضطهاد، و أن كل الناس وحشه و مش بتلتزم بكلمتها، لدرجه أن فعلاً جاتله حالة أكتئاب و أعتزل التمثيل أكتر من 3 سنين.

مشكلة هذا الشخص أن مش قادر يفهم حدود دوره، أنه جاى للعمل كممثل فقط، بتطغى عليه روح الكاتب و القائد، و للأسف العمل اللى له أكتر من قائد بيقع، و مفيش فى الدنيا كلها مخرج حيقبل أن أى ممثل يتدخل للدرجه دى، فبيخسر الفرصه كل مره، و هو مش عارف هى الناس مش بتكمل لمعاه ليه، لأنه عمره ما واجه نفسه بالحقيقه، و أنه كل مره بيتعدى حدوده كممثل.

عايز قبل ما أختم الجزء الأول من الفصل، أحكى عن تجربه شخصيه مريت بيها من كام سنه، و هى أنى أرسلت فيلم روائى قصير كنت كتبته و أخرجته، للمشاركه فى أكبر مهرجان دولى فى مصر، و كنت واثق جداً من قبوله في المهرجان، لكن لما تم رفضه، و بعد ما هديت من حالة الثوره من فكرة التميز و عقدة الأضطهاد للتجارب

المستقله، أكتشفت سبب جوهرى لعدم قبولهم الفيلم، و كانت عباره عن جمله واحده كانت فى الفيلم على لسان البطله، فيها فكره تنافى أحد أشتراطات المهرجان، و أنا طول الوقت مكنتش واخد بالى من الموضوع ده خالص، و خاصة وقت ما أرسلت الفيلم للمشاركه، و لو كنت أخدت بالى، مكنتش أرسلته من الأساس للمشاركه في المهرجان ده.

قبل ما أقفل الجزء ده من الفصل، بأرجو منك أن تقييمك لأى علاقه تكون أنت طرف فيها، سواء أنسانيه، عمل، عاطفيه، رياضيه، أو أى علاقه ليك بتربطك مع الأخر، أن مرجعيتك دايماً تكون لمعايير مشتركه بينك و بينه، أن سلوكياتك تكون مرجعيتها المعايير دى، أنه لما يلومك تراجع نفسك و تحاسبها، لأن فى الأغلب جزء من الغلط –إن مكنش كله- بيقع عليك أنت.

****

أسم الفصل ده بينقسم لجزئين، الجزء الأول أسمه "أشمعنى أنا"، و كلمة أنا في لغتنا العربيه بتدلك على أن المتحدث شخص واحد، و ده أنا قصدته فى أختيار العنوان، أن القسم الأول من الفصل حيتكلم عن عقدة الأضطهاد الفرديه، بمعنى أن شخص واحد فقط هو اللى بيكون عنده الأحساس أن المجتمع اللى حواليه مضطهده، سواء مجتمع عمل، أسره، أو رياضى، أو ما شابه.

طيب ماذا لو كان الشعور بالأضطهاد جماعى، و منبعه أن الجماعه دى من عرق معين أو دين معين أو دوله معينه، أو أى شىء مشترك ممكن يجمع مجموعه من الأشخاص مع بعض. وقتها بيتحول الموضوع لما يُسمى "نظرية المؤامره.

طبعاً أحنا كعرب أكتر ناس في الكون -مش في العالم بس- نعتقد بوجود نظريه المؤامره علينا، و هى فعلاً المؤامرات موجوده، بس الغريب أنها مش خفيه، أنها طول الوقت بتتقال فى العلن، و معنى كده أنها مبقتش مؤامره، لكن هي مخطط واضح، و هو مخطط هدفه المصالح، مش الأضطهاد ليك، لأن كل دوله بتدور على مصالحها، بس أحنا اللى نايمين فى العسل، و مش بنفوق غير لما الكارثه تقع، فبنعتبرها مؤامره، مع أن المخطط ممكن يكون بقاله أكتر من 40 و لا 50 سنه، لكن للأسف، أحنا نايمين على ودانا طول الوقت، و مش بننتبه للأشارات اللى بتجيلنا، بمعنى أن مش

لازم الحريق يوصل بيتك علشان تبدأ تستعد، ماهو كان موجود في بيت جارك قبلك، و فى البيت اللى قبله...إلخ، أعتقد أنك كده فهمتنى.

الجانب السياسى اللى على مستوى الدول مش حأتكلم فيه أكتر من كده، لأنه مش هو المقصود، لكن ممكن نبدأ الجزء ده من الفصل بالجانب السياسى الأجتماعى، و هو ليه أحنا كشعوب مش مرحب بينا فى كتير من الدول، ليه فيه دول مفيهاش تأشيره بينها و بين بعضها، بينما أحنا بنحتاج عشرات الأشتراطات للتأشيرات، ليه أحنا كعرب بشكل عام، و المسلمين منهم بشكل خاص، أصبح غير مرحب بيهم فى أوروبا، تعال ندور مع بعض على بعض الأسباب.

بدايةً، فأى دوله متقدمه، بتكون دوله برجماتيه، و سبق و شرحت التعبير في فصل سابق، بمعنى أنها يهمها مصلحتها فقط، و ده حق أى دوله، فحقها تختار من بين ملايين الناس اللى بتتقدم بطلب الهجره أو حتى الأقامه فيها من يناسب أحتياجاتها، بل و ممكن تديهم جنسيتها كمان، و يُصبح مواطن له كافة الحقوق، بس أرجع تانى أقول أن المهم أنه يناسب أحتياجاتها.

سبق و أتكلمت برضه فى فصل سابق عن دكتور محمد صديق عمرى، و اللى بريطانيا رحبت بيه، و أصبح مواطن له كافة الحقوق، و وصل لنائب رئيس جامعه، و على وشك أنه يُصبح رئيس جامعه في سن صغير جداً.

رئيس وزراء بريطانيا نفسها، ريشى سوناك من أصل هندى، باراك أوباما الرئيس السابق للولايات المتحده كان من أصل كينى، منتخب فرنسا فى أخر 2 كاس عالم، كان أكتر من نصه من أفريقيا. إذن فالمبدأ في الأساس مش مرفوض، لكن أى دوله حقها تختار من يناسبها، و على فكره ده مش بيكون بس فى الوظايف المهمه أو العليا، لكن فيه بلاد بتكون أحتياجاتها فقط لناس فى وظايف أقل، لأن مواطنين الدوله نفسها مش بيشتغلوا الوظايف دى، و ده عيب منهم هما، و مش معناه أن اللى بيروح شخص أقل، لأن الشغل عمره ما كان عيب.

هنا حأبدأ أتكلم عن سلوكياتنا فى الدول اللى العرب و الأفارقه بيهاجرولها، سواء بشكل شرعى، أو بشكل غير شرعى عن طريق الهجره الغير شرعيه، و تعال معايا نشوف هل أحنا -و خصوصاً اللى بيهاجروا بشكل غير شرعى- بتكون سلوكايتنا متناسبه مع

أعراف و مبادئ الدول دى، و لا لأ، و ده اللى بيسبب السمعه السيئه جداً اللى أصبحنا موصومين بيها؟ طبعاً لأ، و ده اللى خلاهم غير متقبلين وجودنا عندهم بشكل قاطع.

في دوله زى فرنسا، و اللى بتُمثل أكتر دوله أوربيه فيها نسبة مهاجرين، و خاصة من شمال أفريقيا أو من أفريقيا نفسها، نسب الجرايم بكافة أنواعها أرتفعت بشكل كبير جداً على أيد المهاجرين -أياً كان شرعيين أو غير شرعيين-، لأن أغلبهم عاطل، مش بيشتغل. أولاً، الدوله بتضطر تصرف إعانات أجتماعيه لكتير جداً منهم، و ده بيُمثل عبء إضافى على خزينة الدوله. ثانياً، الجرايم بتزيد، و أصبح المواطنين الأصليين غير أمنين على نفسهم أو على أولادهم. ثالثاً، مستوى النظافه المتدنى اللى ممكن تشوفه فى المناطق اللى بيسكنها المهاجرين، و اللى بدء يغزو المناطق التانيه، و ده أدى لأنتشار الأمراض، و من قبله الحشرات و الفئران، زى ما حصل فى فرنسا من سنتين على ما أتذكر، و طبعاً فيه أسباب تانيه كتير جداً غير دى.

كل اللى فات ده هو نوع من السلوكيات السيئه جداً من المهاجرين، و اللى بينتج عنه مشاكل مجتمعيه أكبر، لكن لحد دلوقتى أنا بكلمك فى سلوكيات عاديه، لكن لما السلوكيات تمتزج بالدين، فهنا بتكون الكارثه الكبرى، و من هنا حتكون نقلتى للجزء التانى، و هو الخاص بالأعتقاد الخاطئ طول الوقت بأن فيه مؤامره على الأسلام، و ده الأعتقاد اللى بعتبره مشكلة المشاكل فعلاً.

كتير من المسلمين لما بينتقلوا للأقامه فى أي دوله أوربيه أو فى الولايات المتحده وكندا، أو أستراليا، بيحاولوا أنهم يعملوا مجتمعات خاصه بيهم، و ده شىء بيحصل مع أغلب المجتمعات الأخرى سواء عرقيه أو دينيه، بمعنى أن الصينيين بتكون لهم أحياء، اليهود بيكون لهم مناطق، بتنتُج عن تجمعات صغيره بتكبر كل شويه، لحد ما بيتم السيطره على المنطقه كلها.

التجمعات دى لما بتكبر، بتبدأ تسيطر تماماً على المناطق اللى هى موجوده فيها، فبيبدأوا يفرضوا وجودهم بأشكال كتير، خاصة عن طريق المظاهر الدينيه، زى أقامة صلاة الجمعه و الأعياد فى وسط الشارع، زى صوت الأذان بدأ يعلى جداً، بعد ما كان مفيش أذان أساساً، ...إلخ. طيب ليه الدول دى سايباهم يمارسوا كل ده بدون تدخل؟ ببساطه لأن أغلب الدول الأوربيه بتعانى من عقدة الذنب، من التاريخ

الأستعمارى الطويل بتاعها، من حقوق الأنسان اللى تم إهدارها في الماضى، و زى ما الكنيسه الكاثوليكيه في الڤاتيكان تبرأت من كتير من أفعالها فى قرون ما قبل عصر النهضه، أوروبا نفسها بدأت تتبرأ من سياستها السابقه، و تحاول تصالح الشعوب اللى قامت بأستعمارها و أضطهادها سابقاً، علشان كده حتلاقى الغالبيه العظمى من المهاجرين لفرنسا، من الدول اللى كانت تحت الأستعمار الفرنسى فى وقت من الأوقات، و طبعاً دوله زى المانيا عندها عقده لوحدها خاصه باليهود، فهنا الدول دى بتحاول تتساهل و تفوت على قدر ما تقدر، خاصة بالنسبه للمسلمين.

المرحله التانيه للتجمعات دى، أنها بتبدأ تنسى أنها هي الضيفه على الدول دى، فهى اللى لازم تتبع قوانين الدول اللى مستضيفاها، و ليس العكس، فبتبدأ تظهر المشاكل نتيجه رفض الجماعات دى السلوك العام للدول اللى هم فيها، و طبيعة شخصية و مفاهيم الناس في الدول دى، و عدم إدراك النقط دى ده وصل فى كتير من الأحيان لأرتكاب جرايم قتل، و خلينى أفكرك سريعاً ببعض الحالات الأجراميه اللى تمت نتيجه الرفض ده.

أول و أقرب حاله كانت حالة أغتيال مدرس فرنسى بسبب عرضه بعض الرسومات الكاريكاتريه، و اللى عرضها فى أحد الحصص الخاصه بمادة التربية الأخلاقية والمدنية، و اللى كان عايز يدلل بيها على حرية التعبير، و كانت الرسومات للرسول، فتم أغتياله بشكل بشع أمام المدرسه فى سنة 2020، و هنا كان الجانى مسلم من الشيشان.

قبلها فى سنة 2015، تمت عمليه إباده جماعيه لعدد من رسامى صحيفة شارلى أيبدو، برضه بسبب بعض الرسومات الكاريكاتريه للرسول فى الصحيفه، فى هجوم مسلح أستهدف الجريده كلها. و هنا كان الجناه أخين من الجزائر.

لاجئ سورى في ألمانيا قام بالأعتداء على بنات ألمان ليلة رأس السنه، بدعوى أن لبسهم كان غير لائق، و غيرها عشرات الأحداث و الجرائم فى أوروبا و أمريكا، و من قبلها خلينا نفتكر سلوكيات بعض الجماعات الدينيه فى بعض البلدان العربيه، من ألقاء بعض الناس من فوق العمارات، لأغتصاب بعض غير المسلمات، لحرق و ذبح كتير من المواطنين، كل ده بدعوى أن الدين هو اللى أمر بذلك.

غير المسلم مش حيعرف عن الأسلام غير سلوكيات المسلمين، و طبعاً السلوك السيئ دايماً هو اللى دايماً بيبرز، زى بالضبط ما أحنا بنصف الأوربيين بالإنحلال الأخلاقى، لأن السلوك اللى ظاهر لنا هو السلوك السيئ، فالعكس صحيح، الأوربيين و الأمريكان مش شايفين من الأسلام غير السلوك العدائى و الأجرامى لبعض المسلمين، لأن السلوك العدائى ده هو اللى ظاهر، علشان كده أصبحت سمعة الأسلام مش كويسه.

و بالمناسبه ففيه نقطه أحب أوضحها، أن الأسلام هو الدين الوحيد اللى عمره ما كان مضطهد، بس سلوكيات المسلمين على مدار التاريخ هى اللى وصلت الأسلام للسمعه دى، و بالمناسبه فالمسيحيين الأوائل وقعوا فى نفس الغلطه بعد مراحل الأضطهاد الأولى اللى تمت ضدهم على أيد الرومان، فأول ما دانت لهم السيطره بعد قرار الأمبراطور قسطنطين الأول بأن المسيحيه تصبح هى الديانه الرسميه للأمبراطوريه الرسميه، أرتكب المسيحيين الأوائل أخطاء كتير جداً، من حرق كتير من العلماء وقتها زى "هيباتيا" بأعتبارها كافره، لأضطهاد اليهود، لحرق مكتبه الأسكندريه، و للأسف طول الوقت الأديان تُدان بسلوك أتباعها.

****

أخرج من الجانب الدينى للجانب الأجتماعى السياسى، و أعتقادنا الدائم كعرب بأننا أحسن ناس، لكن فيه مؤامرات علينا، و الكلام اللى ممكن تسمعه طول الوقت فى برامج الTalk show المسائيه، و بين الناس و بعضها، لما الناس بتحب تفتى، و هنا السؤال الدائم، طيب من وجهة نظر الشخص اللى عنده أعتقاد الأستهداف ده: ليه أحنا مستهدفين، و يا ترى أحنا عاملنا أيه لمواجهة الأستهداف ده؟

في البدايه بس أحب أأكد وجهة نظرى، أن مفيش قوه فى العالم تقدر تقف أمام شعب عايز يتقدم، و ده شفناه خلال الخمسين سنه الأخيره فى أكتر من دوله شرق أسيويه، و أهمهم كوريا الجنوبيه و الصين، للدرجه اللى وصلت دوله زى الصين لأنها تكون المنافس الأول للولايات المتحده الأمريكيه خلال الفتره الأخيره، و تكون المُهدد الأول لعرشها.

طيب أرجع للسؤالين اللى سألتهم، هل أحنا مستهدفين؟ الأجابه حتبدأ من معلومه مهمه جداً، و هى أننا كشعوب عربيه مقدمناش أى حاجه مفيده للبشريه خلال على الأقل 600 سنه اللى فاتوا، أحنا دايماً مستهلك للحضاره، مش صانع ليها، بالعكس ده تقريباً كل الأختراعات تم تكفيرها في البدايه من قبل القوى الدينيه، لحد ما بيلاقوا أنها ممكن تخدمهم، فبيبدأوا يحللوها بشكل مشروط، لكن فى نفس الوقت بيستخدموها أسوأ إستخدام لتحقيق أغراضهم، بدايةً من أختراع الطباعه لحد شبكات التواصل الأجتماعى، لكن على مدار الزمن ده كله، أحنا مجرد مستخدمين سيئين للحضاره فقط، لكن عمرنا ما كنا مشاركين فى صناعتها.

الدول المصنعه الكبرى، سواء أوروبا بس سابقاً، أو أوروبا و الولايات المتحده فى مرحله تاليه، أو معاهم دول شرق أسيا حالياً، شايفنا طول الوقت عاله على العالم، شايفنا مستهلك سيئ لكل ما ينتجوه، لكن فى نفس الوقت دولنا من أكتر الدول اللى فيها مصادر طاقه، فبدأت من حوالى قرنين المرحله الأستعماريه لدولنا، و كان الحصول على مصادر الطاقه و أستغلال الموقع الأستراتيجى، من الأهداف الرئيسيه للأستعمار. لما خلصت مرحلة الأستعمار، بدأت المرحله الجديده للوصول لنفس الأهداف، و هى مصادر الطاقه و الموقع الأستراتيجى، و دى المرحله اللى أحنا مسمينها "نظرية المؤامره"، مع أن الموضوع واضح و صريح و معروف أهدافه.

طيب نيجى للسؤال التانى، أحنا عملنا أيه لمواجهة الأستهداف ده؟ طبعاً لا شيء أكتر من الولوله، خصوصاً في برامج الTalk show، لأن الحلول كتير، بس أحنا كشعوب دايماً منتظرين أن الحل دايماً ييجى من خارجنا، أحنا أستحاله تكون لينا خطوة الرياده فى أى موقف، لكن دايماً الحل عندنا هو الشكوى و الشعور بعقدة الأضطهاد.

خلينى أضرب مثال بسيط جداً، و على قد بساطته، على قد ما حيوضحلك قد أيه أحنا سلبيين، و المثال يتعلق بتطبيق الFacebook، و اللى حالياً كتير من الناس اللى بتتكلم في القضيه الفلسطينيه بيشتكوا من حذف Posts لهم، و الكل بيتهم التطبيق بالأنحياز و عدم العداله، و طبعاً ..... نظرية المؤامره.

الفكره أن أكيد مالكى التطبيق لهم سياسه و أهداف و توجهات، زيهم زى أي قناه تليفزيونيه أو أى شركه فى العالم، بتحركها أهدافها، و ده منطقى جداً أن مالكى التطبيق لهم مصالحهم، و لو منشوراتك ممكن تتعارض مع المصالح دى حيحذفهالك، و هنا ييجى السؤال، ليه أحنا مش بنفكر فى الحل الأمثل، و هو أننا نعمل تطبيق زى الFacebook يكون خاص بينا؟ الموضوع مش صعب، و خاصة في ظل وجود عشرات العباقره اللى يقدروا يعملوا ده. ليه بنشتكى و نولول و بس، مع أن الحل فى منتهى البساطه، بالعكس ده أنسحاب كل الناس اللى بتشتكى من تطبيق مهم زى الFacebook، ممكن يكون له تأثيره الأيجابى جداً، بس أرجع و أقول أننا فى النهايه أننا كائنات فى منتهى السلبيه.

أمثلة عقده الأضطهاد الجماعى موجوده في مجتمعاتنا بقوه، سواء دينيه، عرقيه، سياسيه، أو أجتماعيه، فيه منها جزء حقيقى، لكن فى الأغلب هو أعتقاد وهمى، و للأسف أحنا بنحب جداً نعيش عقدة الأضطهاد و الظلم و نظرية المؤامره، لأنه بالنسبالنا بيُمثل حل مريح جداً.

فى النهايه أحب ألخص وجهة نظرى فى الفصل ده، بأن حقيقى فيه أضطهاد -سواء على المستوى الشخصى أو الجماعى-، لكن غالباً بيكون منبعه المصلحه، لكن فعلياً و فى أغلب الأحيان ، فأنت السبب في الأضطهاد اللى بيحصلك، يا أما لأنك مش قادر تمشى على النسق أو المنهج اللى يُفترض أنك تمشى عليه، أو لأنك سلبى و مش عايز تتحرك، و عايز تقنع نفسك طول الوقت أن السبب مش منك.

04 فبراير 2024

**"لماذا لا ندرك أهمية أثمن أصل نملتكه؟
لماذا نتعامل مع أعمارنا بلا إكتراث؟"**

البعد الرابع (فرق توقيت)

فى سنة 2004 كان المطرب الشعبى حكيم بدأ مرحلة الهبوط التدريجى، و اللى على فكره بتحصل مع أى مطرب فى العالم فى مرحلة ما من مشواره الفنى، فنزل ألبوم أسمه "اليومين دول" فى نفس السنه -2004-، محققش نفس نجاح ألبوماته فى فترة ما قبل الألفينات. واحده من أغانى الألبوم قرر يصورها حكيم فيديو كليب، و كانت من إخراج المخرج الكبير هادى الباجورى، و اللى كان وقتها -و ما زال للنهارده-، بيُعتبر من المخرجين الكبار و الفاهمين بجد، بالرغم من أنه مكنش لسه أخرج أى فيلم، لكن كان من المخرجين المشهورين جداً فى عالم "الفيديو كليب" و اللى كان فى أوج قمته -و أقصد هنا عالم الفيديو كليب فى الوقت ده.

الفيديو كليب الخاص بأغنية المطرب حكيم، حقق نجاح غير طبيعى، و ده كان بسبب غرابة فكرته، و اللى بالرغم من أنها بعيده كل البعد عن كلمات الأغنيه، لكن أعتقد أنك مدرك معايا أن عندنا الكلام ده ميفرقش، مش مهم أن كلمات الأغنيه فى أتجاه، و التصوير فى أتجاه تانى خالص.

الفيديو كليب حقق نجاح مبهر، و بالتالى نجحت معاه الأغنيه بشكل كبير جداً، و أعترف أنى بسبب عدم حبى للسينما الأمريكيه، و ميلى الشديد للسينما الأوربيه و الأسيويه، فكنت معتقد أن هادى الباجورى هو المبدع اللى فكر فى سيناريو الكليب ده، و مش مقتبسه من أى عمل تانى، و حأقولكم أسم الأغنيه بعد ما أخلص كل الكلام اللى عايز أقوله، علشان نربط كل الأعمال اللى حنذكرها ببعض.

بعدها ب 5 سنين، تحديداً فى 2009، نزل فى السينمات واحد من أهم أفلام أحمد حلمى، و اللى كون مع فيلمين تانيين عملهم فى نفس الفتره الزمنيه، النجاح المدوى لأحمد حلمى، الفيلم كان مكتوب فيه قبل بداية التترات، أنه مأخوذ عن أسطورة سيزيفيوس الأغريقيه، بس المره دى أنا قلت لأ، أكيد الفكره دى مش مصريه، أصل مش معقول عملين مصرين يعملوا فكره غريبه جداً زى دى، خصوصاً كمان أن الفكره فيها بعد فلسفى كبير و عميق جداً، و صعب كمان أن الفيلم يكون أُقتبس من الفيديو كليب. و بما أن ثقافتنا السينمائيه فى مصر هى ثقافه أمريكيه بحته، فأكيد أن العملين

مأخوذين من فيلم أمريكى، و خصوصاً أن الأسطوره اللى ذكرها الفيلم قبل بداية التترات، بعيده بشكل كبير عن فكرة الفيلم.

و بالفعل دورت و وصلت للفيلم، و اللى بالرغم من أن فيلم أحمد حلمى كان حقيقى أكتر من ممتاز، و يمكن يكون أحلى من الفيلم الأمريكي، لكن يبقى أن الفكره الفلسفيه الأخلاقيه اللى ناقشها الفيلم الأصلى كانت أقوى، أنا بس بأتمنى و لو مره واحده، أن أفلامنا المقتبسه عن أفلام غير مصريه تذكر المصادر، خصوصاً أن أكتر من 70% من أفلام أحمد حلمى، مقتبسه عن أفلام أمريكيه، أما فيديو كليب أغنية حكيم، فطبعاً مأخدش من الفيلم الأصلى غير بس الشكل الدرامى، بدون دراسة الهدف الفلسفى و الأخلاق اللى الفيلم الأصلى كان بيستهدفه.

و بالرغم من أنى مش بحب و لا بقتنع بالأفلام ذات البعد الخيالى، إلا أن الفيلم الأمريكى الأصلى، و اللى أُخذت منه كل الأعمال دى، حيكون هو مدخلى لمناقشة موضوع الفصل ده، لأن الفيلم أستخدم عنصر الخيال مش بهدف عمل فيلم مبهر الشكل و التنفيذ كعادة السينما الهوليوودیه، لكن لتوصيل رساله مهمه جداً، و اللى هى تقريباً نفس الرساله اللى أنا عايز أوصلهالك فى الفصل ده من الكتاب.

الفيلم اللى حنتكلم عنه هو فيلم "Groundhog day" أو "يوم السنجاب"، و يوم السنجاب هو عيد أمريكى تاريخه 2 فبراير من كل سنه، و بيتم فى اليوم ده عملية توقُّع هل الشتاء حيستمر 6 أسابيع كمان، و لا الربيع حييجى بدرى، و ده بيحصل بشكل كوميدى جداً عن طريق سنجاب، و أعتقد أنها الفكره اللى أتبنت عليها بعد كده فكرة توقعات مبارايات كأس العالم عن طريق أحد الحيوانات. الفيلم كان من إنتاج سنة 1993، و كانت فكرته وقتها مفاجأه و غريبه و صادمه، حتى فى الولايات المتحده نفسها، و ده كان واضح من خلال المقالات الكتيره اللى أتكتبت عنه.

طبعاً أكيد أنت أستنتجت معايا فيلم أحمد حلمى، و هو "ألف مبروك"، بعدها بكام سنه أتفرجت على نسخه أيرانى من نفس الفكره، و كان فيلم أسمه "أخر يوم فى الشهر" إنتاج سنة 2010، و أنا واثق أن فيه أفلام كتير جداً خارج السينما الهوليوودیه، أتبنت على الشكل الدرامى للفيلم ده، و هى فكرة الTime loop أو دائرة الزمن، و أنا بأكد أنها أتبنت على شكله الدرامى و مش رسالته، أما فى هوليوود لوحدها

فأتعمل 9 أفلام بنفس الشكل الدرامى بعد فيلم "Groundhog day"، أما أغنية حكيم فكان أسمها "هابوسه"، و طبعاً واضح من أسمها أن كلماتها بعيده كل البعد عن أى فكر فلسفى أو أخلاقى، و أن الفيديو كليب كان فى أتجاه بعيد جداً عن كلمات الأغنيه، و كمان عن رسالة الفيلم اللى أتنقش منها الشكل بس.

ممكن طبعاً و بنسبه كبيره تكون شفت فيلم "ألف مبروك"، و ممكن و بنسبه أقل بكتير تكون شفت "Groundhog day"، لكن خلينا الأول نلخص فكرته ببساطه، و بعد كده نحلله من خلال مقال كُتب عنه على موقع CNN سنة 2016، و حاترجم معاك بعض الجمل المهمه منه.

الفيلم ببساطه بيحكى عن مذيع تليفزيونى فى واحده من القنوات التليفزيونيه الخاصه، متخصص فى الطقس، و المذيع متعجرف و متعالى و مغرور بشكل كبير جداً، و عايش حياته كلها متقوقع على نفسه. بيسافر المذيع مع فريق عمل -زى كل سنه- المدينه اللى بيُقام فيها "يوم السنجاب" علشان يغطوا الحدث، لكن بيتفاجئ فريق العمل أثناء رجوعهم لمدينتهم الأصليه أخر اليوم، أن الطريق مقفول بسبب الثلوج، فبيضطروا يبيتوا ليله تانيه فى المدينه اللى بيحصل فيها "يوم السنجاب". بيصحى المذيع فى اليوم التانى -كما هو مُفترض-، لكنه بيكتشف أنه نفس اليوم اللى فات، و أن اليوم بيتعاد، و بيفضل نفس اليوم يتعاد، و مع كل إعاده بيبدأ المذيع -و اللى فقد الأمل فى أنه يعدى من اليوم ده- يصلح من نفسه، من غلطاته، و يعيد تقييم نفسه كل مره، صحيح أنه كان أحياناً بيرتكب أخطاء جديده، لكن كل مره كان اليوم بيبدأ فيه من جديد، كان بيقدر يستفيد من كل خبراته اللى شافها فى المرات اللى فاتت، لحد ما بيوصل فى النهايه لمرحلة التطهر الكامل من كل الذنوب و الأخطاء اللى كان بيعملها، و بيقدر يحقق أقصى أستفاده من يومه، فبيصحى المره دى علشان يلاقى اليوم عدى أخيراً ، و أن بكره جه بالفعل.

عايز أحلل معاك بسرعه أهم نقطه فى الفيلم ده، من خلال مقالة موقع الCNN، و اللى أتفقت معايا فى كل أرائى عن الفيلم. المقال اللى بيبدأه كاتبه ديفيد ألان أن أول مره شاف الفيلم، كان بعد عرضه سينمائياً بكام سنه، من خلال ندوه أقيمت فى متحف والتر للفنون بمدينة بالتيمور، و كان عرض الفيلم هو بداية ندوة لمقارنة الأديان موضوعها عن الفيلم نفسه، علشان بس تتخيل معايا أهمية الفن بشكل عام،

و فيلم زى ده بشكل خاص. طيب أيه علاقة الفيلم بندوه عن مقارنة الأديان، هى ده النقطه اللى عايز أكلمك عنها.

الفيلم هو مزيج رائع من مبدئين دينيين، و طبعاً متأثر بأسطورة سيزيفيوس الأغريقيه، و اللى كان ملمس معاها فى نقطه واحده لكن مهمه. بالنسبه للمبادئ الدينيه فالأول يُمثل مجموعه مبادئ "كارما و سامسارا و موكشا و نيرفانا" البوذيه، و اللى لنا معاها فصل كامل فى الكتاب. أما المبدأ التانى فهو فكرة "التطهر" الكاثوليكيه. بأختصار علشان منطولش فى الجزء ده، فاللى يهمنى من موضوع الفيلم، هو اللى تم ذكره فى المقال، و هى فكرة أزاى نحقق أفضل أستفاده من ساعات عمرنا، و هو التعبير اللى قاله ديفيد ألان فى المقال "How to most fruitfully spend our precious hours."

****

طيب بعد ما أستفضنا فى شرح فكرة الفيلم، أحب أشرحلك النص الأول من أسم الفصل ده، و هو البعد الرابع، و اللى كنت أشرت إليه فى الفصل الأول من الكتاب و اللى عنوانه "ليه". البعد الرابع عند أينشتين هو الزمن، و سمى أينشتين العلاقه بين الزمان و المكان بـSpacetime و اللى أترجمت عربياً لل"زمكان" لأن ببساطه الأبعاد المكانيه هى 3 أبعاد، لكن بالطبع علشان تتحرك من أى نقطه مكانيه لنقطه تانيه، فلازم يكون هناك بعد رابع معاك، و هو بالطبع الزمن، لأن طبعاً مفيش شخص يقدر يكون فى مكانين فى نفس اللحظه الزمنيه، و أنا من الناس اللى مؤمنه جداً بأن فكرة التحرك فى الزمن فكره قابله للحدوث، لأنها مبنيه على علم، و العلم لحد دلوقتى وصل لبعض شروط تحقيقها، لكن لسه موصلش لأمكانية تحقيقها.

المهم ندخل على موضوعنا، و هو فكرة العامل المُهمل فى حياتنا و هو الزمن أو الوقت، اللى هو من وجهة نظرى أغلى ما يملك الأنسان. أنت تقدر تعوض أى حاجه فى الحياه، إلا الثانيه اللى بتمر من عمرك، و أنا من أهم مبادئ فى الحياه أن أكبر ثروه يمتلكها الأنسان دايماً هى عمره.

الأنسان فى تعامله مع عامل الزمن و اللى أحنا بنسميه "الوقت"، و ده المسمى اللى حنستقر عليه مع بعض، بيقع فى مجموعه كبيره من المشاكل، بتتنوع فى أسبابها،

فبالتالى بتختلف عواقبها، و بعد ما رصدتها كلها، قدرت أقسمها ل3 أنواع من المشاكل، أحياناً كتير بيكون الشخص نفسه هو الطرف الفاعل أو سبب المشكله، و أحياناً بيكون هو الطرف المفعول به أو المجنى عليه، و ده حيكون مدخلنا لأول نوع من أنواع مشاكل تعامل الأنسان مع الوقت.

النوع الأول من المشاكل، و هو النوع الأكثر أنتشاراً فى دولنا العربيه، و علشان كده أنا بدأت بيه، و اللى أسوأ ما يميزه أن الضرر اللى بيسببه بيصيب أكتر من طرف، و الأغرب أن أصابته للطرف اللى ملوش أى ذنب، أكبر بكتير من الضرر اللى بيصيب الشخص المهمل نفسه، و أحياناً كمان الطرف المهمل مش بيصيبه أى ضرر، و دى نقطه بتُمثل كارثية هذا النوع من أنواع مشاكل تعامل الأنسان مع عامل الوقت.

بدايةً، فالتعامل مع عامل الوقت فى حياتنا فيه خلل رهيب، بيصل لدرجة فقدان الأحساس التام بقيمته، و تعال نستعرض مجموعه من أشهر الجمل الدارجه على لسانا، و اللى بتدل على كده، زى مثلاً "حأعدى عليك بعد الضهر"، أو "ميعادنا من خمسه لسته"، أو "حاخلصلك الشئ الفلان خلال الأسبوع ده"، و دى نوعية من الجمل اللى كلنا بنقولها بشكل تلقائى جداً و بسيط، من غير ما نُدرك كارثية الكلام اللى بنقوله، و مع ذلك فهى النوعيه الأبسط من الجمل الغير مدركه لقيمة عامل الوقت. أما نوعية الجمل التانيه فهى أشد خطوره بمراحل، و ده لسببين، أولاً لأنها مفيهاش أى نوع من التحديد لأى شئ، ثانياً أضفاء صبغه دينيه مشيئيه قدريه على الجمله، علشان لو حاولت تعترض، تبقى كافر أو غير مؤمن بالله، فاللى بيقولهالك بيقولها علشان يقطع عليك السكه من الأول، زى الجمل اللى بتبدأ ب "أنشاء الله متقلقش"، "سيبها على الله"،"سبق المشيئه"، "كله بأذن الله"، أو "إن أراد الله" أو ما شابه، و دى نوعية جمل مفيهاش أى نوع من التحديد و الألتزام بأى شكل من الأشكال، هى بس فكرة ألقاء كل شئ على المشيئه، علشان ميطلعش من المتحدث أى كلمه تدل على أى نوع من الإلتزام الوقتى تجاه المتلقى.

طيب النوعيتين دول من الجمل، و على الرغم من كارثيتهم، و توضيحهم مدى إنعدام أحساسنا بأى أهميه لعامل الوقت، أرحم بكتير من الواقع الفعلى، و أسمحلى أحكيلك تجربتين حصلوا قدامى خلال الشهر اللى فات، لأتنين من الناس القريبين

جداً منى، و بالصدفه الأتنين كان عندهم مشاكل خاصه بالقلب، و كنت أنا متواجد مع الأتنين فى المستشفى فى المرتين، و المستشفى مستشفى كبيره و لها أسمها.

فى المره الأولى الدكتور جه بعد ميعاده بساعه، و قال لقريبى -اللى كان حاجز الميعاد قبلها بأسبوعين- أنه لسه مقرأش التقارير الخاصه بحالته، و بمنتهى البساطه و ألا مبالاه طلب منه يحجز كشف تانى بعدها بأسبوع!!! أما الحالة التانيه فكانت المريضه داخله تعمل منظار داخل القلب، و حالتها مقلقه جداً، و كانت صايمه قابلها 6 ساعات، و لما وصلنا، و برضه بعد نصف ساعه من الأنتظار، الممرضه بمنتهى البساطه بلغتنا أن الدكتور أعتذر، و أنها تيجى مره تانيه، و برضه هى و حظها.

أنا أخترت أضرب نموذجين طبيين لسببين أهم من بعض، أولاً أن المريض بشكل عام، أى تأخير ممكن يضر بحالته الصحيه، و بالتأكيد ممكن يسبب مضاعفات، بالأضافه للشعار الشهير للأطباء، و اللى للأسف هو بالنسبالهم شعار و بس، أن الكشف و العلاج المبكر لأى حاله بيكون أفضل بكتير، و ده شعار حقيقى، لكن بيكون بلا قيمه وقت التنفيذ، و بالتأكيد أن فعلاً أى مشكله صحيه، عامل الوقت عمره ما بيكون فى صالحها.

تانى سبب أن الدكتور من المفترض أنه من أعلى الفئات علماً و المفترض كمان ثقافةً، و الثقافه مش معناها كم من المعلومات، لكن معناها رؤيه و وجهة نظر فى الحياه، فكان لازم تكون فئة الدكاتره من أكتر الناس تقديراً لقيمة الوقت، سواء بحكم الثقافه أو العلم، أو بحكم خطورة عامل الوقت فى طبيعه عمله، و اللى ممكن الأهمال فيه يؤدى لأنتهاء حياة إنسان، و ما يتبعها من عواقب، بمعنى أن ممكن عواقب التأخير تكون أكبر كمان من موت المريض و بس.

كده أعتقد أنك بدأت تدرك معايا أبعاد النوع الأول من مشاكل تعاملنا مع عامل الوقت، و هى بأختصار عدم تقديرنا لأهميه عامل الوقت عند الطرف الأخر، و اللى حظه المش كويس أجبره على التعامل مع أشخاص عندها حاله من ألا مبالاه فيما يخص الأخرين، و مش لازم المشكله تكون صحيه زى الأمثله اللى ضربتها، علشان يكون عامل الوقت فيها كارثى، لأ الوقت مشاكله دايماً كارثيه، و حأضطر أضرب مثال خاص تالت و أخير للتدليل على المعنى اللى أنا عايز أوصله.

أثناء عملى فى أحد الهيئات الحكوميه، تم أختيارى من قبل جهه مانحه مع أثنين مهندسين أخرين، لدوره دراسيه مهمه فى أحد الدول الشرق الأسيويه، يعنى الهيئه مش حتتكلف جنيه، و الدوره دى خاصه بطبيعة عملنا فى الهيئه، يعنى مفيده لنا و للهيئه، لكن بسبب أهمال مسئول ما فى الهيئه فى أنه بس يمضى على أوراقنا -يعنى مفيش مجهود حيعمله أكتر من كده-، و طبعاً الأهمال ده أكيد جزء منه أن الأمر ميهموش على المستوى الشخصى، فأتأخر فى التوقيع، و كان نتيجة تأخيره ضياع الدوره علينا أحنا التلاته.

المشكله ببساطه بتبدأ لما تكون مضطر تتعامل مع شخص -فى أى منحى من مناحى الحياه-، و الشخص ده يا أما مش منظم، أو كسول، أو مهمل، و مش مقدر أهمية أحتياجك للشئ اللى هو بيعملهولك، و طبعاً الشخص ده لو كان فى مكانك و أضطر يتعامل مع شخص من نفس نوعيته، حتلاقيه كائن تانى خالص، و دى واحده من أهم مشاكلنا الحياتيه المزمنه، و هى الكيل بمكيالين طول الوقت.

أحياناً بتكون الخدمه اللى أنت محتاجها من الشخص ده بسيطه جداً، و سواء كان بيعملها بحكم أنها جزء من عمله، أو بشكل ودى، فهو من المفترض أنه يكون مدرك أنك محتاج الخدمه دى فى الوقت المتفق عليه، أن ممكن حاجات تانيه تتبنى على الخدمه اللى حيعملهالك، أن ممكن مواعيد تانيه تترتب عليها، أنك ممكن تكون حتسافر مثلاً و محتاج الشئ ده. و حتى لو كان الموضوع بسيط جداً، زى مثلاً تصوير ورق، أو تصليح شئ معين، فهو ملوش حق يقرر مع نفسه أهميته بالنسبالك، أو أنه يعدل ميعاد متفق عليه من جانب واحد، و هو الجانب الخاص بيه بس. زمان كنا بنقول أن الكلمه إلتزام، دلوقتى لا الكلمه و لا عشر وصولات مكتوب عليهم مواعيد بيعتبروا إلتزام، لدرجه وصلت كتير من الناس اللى محتاجه الخدمه أنها تطلب ميعاد وهمى قبل الميعاد المطلوب، علشان هى متوقعه أن مبدأ التأخير حيحصل حيحصل، فتكون زى ما بيقولوا "مأمنه نفسها".

نوعية الناس اللى بتتعامل بهذا الشكل على المستوى الوظيفى -مش الودى- بتنقسم لقسمين، النوع الأول بيكون شخص أنت مجبر تتعامل معاه تحت أى ظرف، زى موظف الحكومه، فده بالنسباله تقريباً مفيش أى عواقب حتقع عليه من اللى بيعمله، غير فيما ندر.

أما النوعيه التانيه فهى الأشخاص المهنيين، بدايةً من أصغر شخص بيقدملك أى نوع من الخدمه، لحد الدكتور، و هنا الوضع بيختلف، لأن النوعيه دى و هى بتتعامل بالشكل ده من أشكال عدم إدراك قيمة عامل الوقت، مش بتُدرك كمان مقدار عواقب النوع ده من الأخطاء عليهم هما نفسهم. من أهم الحاجات اللى بيكبر فيها أسم أى شخص فى مجال عمله هى السمعه، و عامل الوقت واحد من أهم عوامل بناء السمعه دى، فتخيل معايا لو أن تأخير شخص مهنى أذاك بأى صوره من الصور، و الشخص ده جه أسمه قدامك، فأنت تلقائى حتلاقى نفسك بتشتكى من سوء مواعيده، أو تأخيره، فبالتالى حتبدأ تكون عنه سمعه مش كويسه، و ممكن تخوف ناس تانيه كتير من التعامل معاه.

خلينى أدخلك على مستوى أعلى من كده و هو "عقود الأذعان". بدايةً، ففكرة أى عقد فى الدنيا هو أنه وثيقه بتضمن لكل طرف حقه، فى حالة أخل الطرف الأخر بأى شرط أو بند من البنود المتفق عليها، لكن فى دولنا العربيه كل العقود الموجوده تقريباً و الخاصه بالمدارس، العقارات، قروض البنوك....إلخ، هى عقود فوقيه، بيكتبها دايماً الطرف الأقوى، و هو مالك المدرسه، أو شركة العقارات، أو البنك، يعنى مش بتكون مكتوبه من قبل طرف محايد على الأطلاق، فبنلاقى نوعية شروط جزائيه مجحفه على الطرف الضعيف، ممكن فعلاً توصله للسجن، و مش بنلاقى أى شرط جزائى على الطرف الأقوى. أذكر أنى من 3 سنين قرأت أكتر من عقد لمجموعه من الشركات العقاريه كان من ضمنها أن التسليم بعد سنه، لكن بدون أى شرط جزائى فى حالة التأخير، و كمية شروط على المشترى لو أتأخر بس فى سداد قسط واحد. و فات على السنه سنتين، و دلوقتى كل ما أعدى على كل العقارات اللى كان من المفترض تتسلم و تكون ساكنه من سنتين، بلاقيها ما زالت زى ما هى، مجرد هياكل خرسانيه، و طبعاً المشترى ما زال بيدفع فى أقساط و بس.

هل الشركات دى فكرت فى مدى أحتياج المشتريين للوحدات السكنيه دى؟ هل فكرت فى مدى الضرر المادى و المعنوى و الأجتماعى الواقع عليهم من التأخير؟ طيب أزاى شخص ممكن يرتب و يخطط لحياته، فى ظل حياه مفيش فيها أى ألتزام من ناحية كل الأطراف اللى بيتعامل معاها فى حياته؟

أجمالاً، و علشان أختصر كل اللى ذكرته عن النوع الأول من مشاكل تعاملنا مع الوقت، فعدم أحترام أى شخص بيقدم خدمه ما -و خاصةً لو كانت بشكل وظيفى-، لقيمة الوقت، و عدم أدراكه لأهمية ألتزامه الزمنى مع العميل، ممكن يضر على المدى القريب العميل، و حجم الضرر ممكن يكون كبير، لكن على المدى البعيد، بيقع الضرر على الشخص نفسه، فى فكرة "السمعه"، و اللى للأسف ناس كتير مش بتُدرك أهميتها، أو بتدركها بس مش بيفرق معاها، و فى ناس كتير بتقول يروح زبون ييجى ألف، بس بالتأكيد أن العالم داخل على مرحله، و أحنا داخلين كلنا كجزء من المنظومه الكونيه معاه، حيكون فعلاً عامل الوقت له قيمه أكبر بكتير، خصوصاً مع التنافسيه الكبيره و سوء الأوضاع الأقتصاديه العالميه، فاللى حيخسر سمعته فعلاً حيخسر كتير.

****

النوع الأول زى ما شفت معايا، بيكون الخطأ فيه من طرف، لكن الضرر بيقع على طرف أخر، لكن فى النوعين التانيين اللى حنبدأ نتكلم فيهم، بيكون الخطأ من الشخص نفسه، و اللى بيضر نفسه بنفسه، و نبدأ بالنوع التانى، و اللى سبق أتكلمت عنه بشكل سريع فى فصل سابق من الكتاب، و اللى كان أسمه "اللعبه Under Pressure" ، و ذكرت أننا حنتكلم عنه بالتفصيل فى فصل تانى، و تعال معايا قبل ما نبدأ نتكلم نسأل سؤال، هل في يوم من الأيام قررت تحسب مقدار الوقت اللى بتضيعه فى حياتك بيُمثل نسبة قد أيه من أجمالى عمرك؟

أتمنى أنك تكون قرأت الفصل المذكور، علشان تقدر تستوعب معايا كلام كتير من اللى حأقوله، بدون تكرار لما سبق ذكره فى الفصل ده، لكن سريعاً كده، فالفصل اللى كان أسمه "اللعبه Under Pressure" أتكلمنا فيه عن أليه أتُخذت من كلام الرئيس الأمريكى الشهير جداً دوايت أيزنهاور، تقدر من خلالها تقيم حياتك ماشيه فى أى أتجاه، و هل الأتجاه ده صحيح أو لأ، و ده من خلال مصفوفه بنفس طريقة مصفوفة SWOT، اللى بتُستخدم فى عمل دراسات الجدوى.

من خلال تقييمنا للأربع خانات الموجودين فى المصفوفه، أكتشفنا أن الناس اللى عايشه حياتها فى مربع أو خانة "المهام الغير العاجله و الغير الهامه"، هما ناس

عايشين خارج أطار الزمن، عامل الوقت ملوش أى أهميه فى حساباتهم، ، و بتحليلهم قدرنا نقسمهم لفئتين رئيستين "المحبط" و "الحالم".

حنبدأ بالفئه الأولى و هى "المحبط". بدايةً، فالأسباب اللى ممكن توصل أى شخص لأن كل اللى بيعمله فى حياته، بيكون مضيعه للوقت و بس، هى أسباب متعدده، و أغلبها طبعاً بتكون أسباب نفسيه، و على رأسها بتكون التجارب السابقه الفاشله، سواء فى مجال العمل أو فى العلاقات الأنسانيه. نوع تانى من الأسباب بيكون الوصول لمرحلة عدم القدره فى أى شئ، و خاصة مادياً، و بيتهيألى فى الفتره اللى فاتت شفنا عشرات من نماذج الأنتحار اللى تمت بسبب الوصول لمرحلة العجز المادى، و بالتأكيد بتكون فيه قبل الوصول لمرحلة الأنتحار، مرحلة طويله من الأحباط. تالت نوع من الأسباب بيكون الوصول لحاله التشبع من أى شئ، و بالتالى بيصاحبها حاله من الملل بكل توابعه.

الأحباط طبعاً بيفقدك الرغبه فى عمل أى شئ، لأن الشخص المحبط بيكون واثق أن أى مجهود حيبذله، حيكون فى الأخر بلا أى جدوى، فبيبدأ فى الهروب من أى شئ جدى، لأى شئ بيضيع فيه الوقت و بس، ده لو مفكرش فى الأنتحار. أهم أشكال الهروب بيكون طبعاً النوم الكتير، أو القعده الغير مجديه على الكافيهات، القهاوى أو الPlay station، أو الهروب لعالم يكون مستخبى جواه و محدش يعرفه، و هو عالم السوشيال ميديا، أو طبعاً عالم الGames، أكبر عالم قادر يضيعلك عمرك كله، أو أخيراً الأتجاه لنوعية من القراءات، ممكن جداً تغيرله تفكيره و أتجاهاته الحياتيه لأتجاهات خاطئه كتير جداً، و أنا هنا مش بقصد أتجاه بعينه، لكن بشكل عام، لأن النوع ده من الأشخاص بيكون سهل جداً التأثير عليه.

و بتتحول كل عناصر الهروب دى -ما عدا أخر عنصر ذكرناه- لنوع من الأدمان، بيوصل الشخص أنه مش بيكون قادر يخرج منه، بل بالعكس بيتحول الموضوع لنوع من اللذه اللى الشخص محتاجها طول الوقت، لأنها فعلياً بتغير كتير فى الكيميا الداخليه لجسمه، فبتُصبح فكرة الخروج من مرحلة الأدمان دى فى غلية الصعوبه.

النوع ده من أنواع فقدان الأحساس التام بعامل الوقت له علاجه، اللى حيبدو سهل جداً فى الكلام، لكن فى نفس الوقت صعب جداً فى التنفيذ، و هو عملية تجديد

الأهداف الحياتيه بشكل مستمر، ده لو كانت المشكله نفسيه. أما لو كانت المشكله ماديه فهى حلها -و إن كان أصعب نوعاً ما- لكن مش مستحيل، و هو فتح مجالات عمل جديده طول الوقت، لأن واحده من أكبر مشاكلنا كجيل أكبر سناً نوعاً ما، هى فكرة الجمود الفكرى، و أنا من وجهة نظرى أن فيه مجالات و فرص بتتفتح طول الوقت، بس محتاجه اللى ياخد الموضوع بشكل مختلف عن اللى أتعود عليه، و يخرج من عباءة التقليديه، اللى عاش فيها طول عمره.

نوصل للفئه التانيه و هى فئة "الحالم"، و اللى ممكن برضه نسميها فئة "الواهمين"، و حنقسمهم لنوعين محددين، الأولى الحالمين بالثراء، و التانيه الباحثين عن مكان لنفسهم.

النوع الأول موجود طول الوقت، لكن الأنترنت بشكل عام، و تطبيقات التواصل الأجتماعى الكارثيه بشكل خاص، أظهرت النوع ده بشكل واضح جداً، و النوع ده من التطبيقات، و اللى بالتأكيد أنت عارفها أكتر منى، بتدى فلوس علشان تطلع تقول أى حاجه، أو تحددلك حاجات معينه مهينه تعملها، المهم فى الأخر أنها بتدى فلوس، لكن علشان توصل لمرحلة الفلوس، فأنت محتاج قبلها مراحل كتير تكون فيها كونت متابعين، و تكون متواجد على طول، و نمط حياتك كله يتغير.

بيبدأ الشخص يبعد شويه شويه عن خط حياته الطبيعى، بيبدأ يكون يومه واقف على التطبيق، يا أما بيكتب Posts، يا أما بيتابع المشاهدات، أو لو محتاج يرد...إلخ. هى حقيقى التطبيقات دى بتدى فلوس، لكن فى نفس الوقت فيها 3 مشاكل، أنا من وجهة نظرى هى بتُمثل مشاكل فى العمق.

أولاً، و ده عن تجارب حياتيه كتير شفتها، بتبعد الشخص عن مسار حياته الأصلى، سواء كان شغل أو دراسه، و بتدخله فى دوامه مش بيعرف يخرج منها، غير لما هما يخرجوه من التطبيق ككل. و ده حياخدنا لثانياً و هى أن التطبيقات دى ببساطه جداً ممكن تقفل فى أى لحظه، أو ممكن تغير سياستها، أو ممكن البلد اللى أنت فيها تمنع التطبيق، أو تغير السياسيه الماليه بتاعتها، ففى أى لحظه ممكن الشخص يلاقى نفسه بره كل حاجه أتعود عليها، و خصوصاً مادياً.

ثالثاً، و أنا عارف أن ناس كتير ممكن متشوفهاش من نفس وجهة نظرى، أو ممكن متشوفهاش مشكله من الأساس، و هى أيه هدف التطبيقات دى؟ و ليه بتدى فلوس كتير؟ و ليه ممكن فى لحظه تلاقى نفسك بره؟ و ليه التطبيقات دى بتتعمد تهين الناس علشان يوصلوا لمرحلة الفلوس، بنوعيه من الطلبات الغريبه اللى مفروض عليهم يعملها، و يعرضوها على العالم كله؟ عايزك تفكر معايا، حاول تشوف الموضوع من وجهة نظر تانيه، أنا معاك أن الفلوس بتكون مغريه جداً، لكن فيه عشرات التطبيقات ممكن تكسب من خلالها فلوس -صحيح أقل-، لكن بشكل مختلف، عايزك تشوف أنت بتضحى بأيه قدام الفلوس دى، عايزك تراقب معايا المستوى التعليمى لطلبه فى الجامعه، مبيعرفوش يكتبوا جمله واحده صح بالعربى، طيب هما عاملين أيه فى باقى العلوم، و أنا هنا بتكلم عن تجارب بقالها سنين، مش تجارب فى الفتره الأخيره اللى أحنا عايشينها، و اللى ممكن تكون الظروف الأقتصاديه ضاغطه فيها على كل الناس، فممكن تضطر تقبل تعمل أى حاجه تدخل فلوس.

****

نوصل للنوع التانى و هما الباحثين عن مكان لنفسهم تحت الشمس، و كنت من فتره قريبه شفت فيلم أسمه "طريق مولهولاند"، و هو حقيقى واحد من أعظم الأفلام اللى ممكن تشوفها فى حياتك. الفيلم ده فكرنى بجمله قالهالى المخرج الراحل رضوان الكاشف، و اللى كان قريبى، لما كنت عايز أدرس إخراج، بعد ما كنت درست عماره فى كلية الفنون الجميله، هو وجهنى بجملته لنفس السؤال الجدلى الأهم اللى كان الفيلم بيناقشه، و هو هل أنت موهوب و لا موهوم؟ هل فعلاً الخط اللى أنت عايز تختاره لحياتك، و اللى غالباً بيكون خط براق و مميز، أنت مؤهل له؟

المشكله ببساطه تكمنُ فى كون بعض الناس عندهم حلم أو وهم بالوصول لمكانه معينه، على فكره هى مش شرط خالص تكون فنيه، يعنى ممكن تكون سياسيه، أجتماعيه، دينيه، بس اللى بيجمع ما بينهم هى فكرة التميز، و كان ليا ذكرى أليمه مع شخص كان وقتها فى حدود ال36، الكلام ده كان سنة 2007، كان حلمه أنه يكون صاحب قناه فضائيه، و هو معندوش أدنى مقومات الأداره، و الغريب أنه بالرغم من كونه مكنش معاه جنيه، إلا أنه بالفعل أقنع ناس كتير بالفكره، و قدر يعمل القناه بفلوس الناس -و أنا كنت منهم-، و عين نفسه رئيس مجلس إداره، و كانت عنده

فرصة عمره لتحقيق هدفه بمنتهى السهوله، لكن لأنه معندوش أى مقومات أداريه، القناه وقفت بعد شهرين بالضبط، و خسر الناس كل فلوسها، و أصبح هو عليه عشرات القضايا، لحد ما الموت أخده من مصير كان حيكون أسوء من الموت، و هو السجن. شخص تانى أعرفه ضيع عمره فى البحث عن هويه مميزه، يعنى مره داعيه دينى، مره مدرب تنميه بشريه..إلخ، و فى الأخر فشل فى كل التجارب دى و فضل محلك سر. طيب أيه حكاية التفاصيل دى بموضوعنا و هو الوقت؟

لأ العلاقه موجوده، و هى فكرة أنك تضيع عمرك فى محاولة تحقيق حلم، أنت فى الأساس مش مؤهل له، و يمكن ده بيكون واضح بشده فى مجال الفن، و حأضرب مثال بشخص تالت أعرفه، معندوش أى مقاومات الممثل على الأطلاق، لكن مضيع كل وقته على ورش التمثيل -مش علشان يكتسب مهارات-، لكن على أمل أن حد يكتشفه من خلالها، و بيرفض كل الشغل اللى بيجيله فى مجاله الأساسى، و العمر بيروح منه، و الأكيد أنه عمره ما حيحقق الحلم اللى هو راسمه لنفسه، لأنه معندوش الأساس اللى ممكن يتبنى عليه الحلم ده.

الفكره ببساطه أنك محتاج أنك يكون عندك القدره لتقييم نفسك، و فيه فصل كامل فى الكتاب بيتكلم عن الموضوع ده، لكن أحنا هنا بناقش أضراره من زاوية عامل الوقت، العمر اللى ممكن يروح منك، و ممكن تلاقى نفسك فى النهايه لا حققت نجاح فى الشئ اللى أنت بتحلم بيه، و لا كملت و كبرت فى اللى أنت كنت بتقدر عليه.

الفئه التالته و الأخيره و اللى ممكن نسمى مشكلتها "فرق توقيت" أو فات الميعاد زى ما قالت أم كلثوم، أو حتى "أتأخرت كتير" زى ما قال چورچ وسوف، و هى كلها ممكن تكون مسميات بتوصف المشكله، و أعتقد أنك من المسميات دى، بدأت تفهم معايا أيه هى المشكله المتعلقه بعامل الوقت اللى أنا أقصدها، و هى طبعاً مشكله تنفيذ الأشياء خارج إطارها الزمنى.

النوع ده من المشاكل غريب جداً، لأن الشخص حقيقى بيبذل مجهود، لكنه مجهود ضايع، فبتكون خسارته مضاعفه، لأنه خسر وقت و مجهود فى نفس الوقت، بدون الوصول للهدف اللى بذل كل المجهود و الوقت علشانه، و المشكله دى مش متعلقه بس بالعمل، لأ هى متعلقه بكل مناحى الحياه، و ممكن برضه نقسمها

لنوعين، النوع الأول المرتبط بالعمل، و هنا بتكون متعلقه بفكرة الTimeline أو خط الزمن لأى مشروع أو نوع من الأعمال، أما النوع التانى فهو المرتبط بالحياه بشكل عام، بتوقيتات حياتك، بفكرة أيه الخسائر الحياتيه اللى ممكن تخسرها لو عملت الشئ ده، بس بعد ميعاده.

نبدأ بالنوع الأول المرتبط بالعمل، و كنا أتكلمنا فى أحد فصول الكتاب المسمى "No Signal" عن فكرة الModules و هى ببساطة أن العمل بيكون مقسم لمراحل، كل مرحله بيكون فيه شخص أو مجموعة أشخاص مسئولين عنها، و الأهم أن كل مرحله بتسلم المرحله اللى بعدها، و يمكن اللى درس Project management أو إدارة أعمال، فاهم فكرة الTimeline أو خط الزمن، و هو الخط اللى بيترسم عليه الجدول الزمنى لكل مرحله، و مدى تزامنها مع المراحل الأخرى، وصولاً لخط نهاية المشروع. على فكره، أى نوع من مهام العمل بيعتبر مشروع، لو مديرك طلب منك تقرير، فده مشروع، لو بترسم لوحه، فده مشروع، لو بتعمل حلقة من برنامج على تطبيق موبايل، فده مشروع، ببساطه فأى عمل له نقطة إنطلاق و ميعاد تسليم فهو بيتسمى فى علم إدارة المشروعات مشروع.

طيب لو فى شخص أتأخر فى أحد المراحل عن الDeadline بتاعه، اللى ممكن نسميه ميعاد التسليم الخاص بيه، و المشروع ده له وقت تسليم محدد، فهو هنا بيعرض المشروع كله لحاجه من أتنين، يا أما الأنهيار التام، لأن ممكن ميعاد التسليم يكون نهائى و مرتبطه بيه حاجات تانيه، أو أنه -على أحسن الفروض- حيعمل حالة ضغط على الناس اللى حتكمل المراحل اللى بعده، لأنه ضيق عليهم المده الزمنيه الخاصه بيهم، فده ممكن يؤثر على الأقل على جودة المنتج أو الخدمه.

يمكن أقوى مثال فى مجال العمل لفكرة الTimeline هى فكرة المشاريع الهندسيه فى مجال الأنشاءات، و اللى بيفترض أنها دايماً لها ميعاد تسليم محدد، و الميعاد ده ممكن العميل نفسه يكون مرتب عليه جدول زمنى خاص بيه هو، فتخيل معايا أى تأخير فى أى بند حيعمل مشاكل قد أيه، مش بس خاصه بالجدول الزمنى لشركة الأنشاءات، لكن كمان الجدول الزمنى للعميل، فأحياناً التأخير فى جزئيه، بيضر تماماً بمشاريع كامله، و بمصالح العملاء كمان، و أحنا لسه ذاكرين تجربه عمليه من كام فقره فاتت.

طيب ممكن الشخص يكون بيعمل بشكل فردى، و هنا الشخص بتكون مسئوليته مضاعفه، زى مثلاً المحامى، الدكتور...إلخ، لأنه ببساطه شايل الليله كلها، و برضه سبق و ضربنا أمثله فى الفصل ده.

****

أوصل للشكل التانى، و هو المرتبط بالحياه بشكل عام، و اللى علشانه كانت فكره الفصل ده كله، علشان كده أجلته للأخر، و السؤال هنا هو ما مقدار تأثير أى تأخير فى تنفيذ أى شئ على حياتك؟

بدايةً، و بالرغم من أنى مش من الناس المؤمنه بالأمثال الشعبيه، إلا أن فيه بعض الأمثال بعتبرها نوع من الحكم، زى مثلاً "كل وقت و له أذان"، "بعد العيد ميتفتلش كحك"، أو "بعد ما شاب ودوه الكتاب". فيه كمان حكم بتتكلم عن عامل الوقت، زى "لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد"، و طبعاً "الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك". كل الأمثال و الحكم دى بتؤكد أن الضمير الشعبى كان مُدرك لأهمية عامل الوقت فى حياتنا، و أن فكرة أثر تنفيذ أى شئ بعد وقته المحدده، مفهومه موجود عندنا من زمان، لكن هل أحنا رغم إدراكنا لأهمية الRight timing أو فكرة تنفيذ الشئ فى وقته المناسب، مش بننفذ ده على أرض الواقع؟

خلينى برضه أقسم مشاكل الوقت فى حياتنا لنوعين، نوع على الShort term أو على المدى القصير أو القريب، و نوع على الLong term أو على المدى الطويل أو البعيد.

طبعاً حنبدأ بالنوع الأول و هو أهمية عامل التأخير على المدى الزمنى القريب، و ده طبعاً بيتمثل فى أغلب تفاصيل حياتنا اليوميه، و هل إحنا بنُحسن تنظيم وقتنا علشان منتأخرش فى تنفيذ المتطلبات الحياتيه، و اللى التأخير فيها دايماً بيكون مُكلف، سواء على المستوى المادى، أو أى تكلفات أخرى تبعاً لنوع التأخير؟ السؤال ده حيرجعنا للفصل المُسمى "اللعبه "Under Pressure""، و مدى تأثير تنظيم وقتنا على التوفيق بين كل متطلبات حياتنا.

خلينى أسألك سؤال بسيط جداً، لو أنت صانع محتوى على أى Application، و المحتوى الخاص بيك بيعتمد على الحدث اليومى، أو زى ما بيقال الTrend، فما هو تأثير أنك متنزلش الحلقه بتاعتك فى نفس يوم الحدث؟ ببساطه حتخسر حاجتين، أولاً أن ناس كتير حتسبقك، فمش حتاخد السبق زى ما بيقولوا فى الصحافه، و ممكن جداً متابعينك يبدأوا يتحولوا لمشاهدة حد تانى أسرع منك، ثانياً الحدث حيكون الأهتمام بيه بدأ يقل، فبالتأكيد نسب المشاهده عندك حتقل بنسبه كبيره جداً، يعنى النقطتين بيوصلوا لنفس النتيجه.

نفس الكلام بيحصل فى تفاصيل كتيره فى حياتنا، يعنى تخيل مثلاً لو فى إعلان وظيفه، و أنت أتأخرت فى أنك ترسل الCV بتاعك، الأمثله كتير جداً، لكن للأسف أحنا مش بنتعلم، طبعاً ده غير التأخير فى الأمور الحياتيه العاديه، و كنت ضربت أمثله برضه فى الفصل المُسمى "اللعبه "Under Pressure""، زى التأخير فى دفع الأقساط و عواقبها الأجتماعيه و النفسيه و الماديه، زى أهمال أنك تروح تكشف لو بدأت تشعر بأعراض أى مشكله صحيه، و العواقب اللى حتحصلك من مضاعفات ممكن علاجها يبقى أصعب بكتير، زى التأخير فى تسليم أى شغل و عواقبه...إلخ.

خُلاصة الكلام أن الحياه فعلاً بتضغط علينا، أن عامل الوقت أحياناً بيكون مش فى صالحنا، لكن بالتأكيد أن بشئ من التنظيم حنتجنب مشاكل كتير جداً، خصوصاً لو قدرنا نقلل من الوقت اللى بيضيع فى حاجات مش مهمه و نقدر نستغنى عنها.

****

نوصل للنوع التانى، و هو أخر موضوع حأتكلم عنه فى الفصل ده، و هو تأخير تنفيذ كتير من الأمور فى حياتنا على الLong term أو على المدى الطويل أو البعيد، و النوع ده هو أخطر حاجه ممكن تعملها فى حياتك، أكبر ظلم ممكن تظلم بيه نفسك و يدمرلك حياتك كلها، لأن أسوأ شئ ممكن تضر بيه نفسك، هو أنك تعمل الشئ الصح فى التوقيت الغلط.

النوع ده بيشمل كل أنواع القرارات المصيريه فى حياتنا، زى الزواج، السفر، الدراسه، بداية مشروع أو عمل جديد...إلخ، و ده بيكون لعاملين، العامل الأول خاص بيك، و هو أن مش ده الشئ المناسب اللى ممكن تعمله فى المرحله العمريه دى، أما

النوع التانى فهو تغير العوامل المحيطه بيك، و خلينى أضرب لكم مثال خاص بى على النوع التانى.

فى ديسمبر 2019 قررت أنى أبدأ مشروع صغير و هو الCo workspace، و اللى هو عباره عن مكان بتقسمه لغرف متعددة الأغراض، يعنى تصلح لأجتماعات، دروس، بروڤات، ورش تدريب، طلبه عايزين يتجمعوا مع بعض...إلخ، و أخترت مكان مناسب جداً، و صرفت على المشروع فى تأثيثه بشكل مناسب. لكن للأسف مكنتش عامل حسابى -زى كل الناس- أن الكوڤيد 19 اللى ظهرت فى الصين وقتها، حتكون عندنا بعد أقل من 5 أشهر، و قد كان. وقف المشروع تماماً، و فضلت قافل المكان لمدة سنه كامله، بدايةً من أبريل 2020، لحد ما لغيت المشروع، بعد ما كنت خسرت مبلغ كبير جداً فى منتصف 2021.

بالرغم من أنى بنسبه كبيره كنت مش غلطان، لكن ده نوع من أنواع أنك تعمل شئ صح فى توقيت غلط أو مش مناسب، و ممكن ناس كتير تكون عارفه مصفوفة SWOT أو Strength, weakness, Opportunities and Threats، أو نقاط قوه، نقاط ضعف، فرص و تهديدات، و اللى تعتبر أفضل طريقه لأنك تعمل دراسة جدوى مبدئيه لأى مشروع قبل ما تبدأه، و أنا لو كنت وقتها عملتها، كان ممكن أكتب فى خانة الأخطار خطر الكوڤيد 19.

مشاكل أختيار التوقيت الخاطئ زى ما قلنا ممكن تنقسم لقسمين، الأول و هو اللى بدأنا الكلام فيه، و هو أختيار توقيت خاطئ لتنفيذ المشروع أو القرار، زى المثال اللى أنا لسه ذكره، و علشان كده فلازم نعمل دراسة جدوى لكل خطوه مهمه فى حياتنا، و لازم نتأكد من أن الظروف مناسبه للخطوه دى. طبعاً ده بيكون واضح جداً فى خطوة الأقدام على دخول مشروع تجارى، أو أى عملية شراء أو بيع، يعنى مهم جداً تعرف تبيع أمتى أو تشترى أمتى -ده لو مكنتش مزنوق- تبعاً لأليات السوق، علشان لا تشترى بخساره و لا تبيع بخساره.

كمان مهم جداً أنَك أو أنِك لو داخل أو داخله مشروع زواج أو أنجاب، يكون التوقيت مناسب بالنسبالك، متسمحش لأى ضغوط أنها تأثر على قرارك، و التوقيت المناسب هنا لازم يكون مناسب من أتجاهات كتير، نفسيه، ماديه، أجتماعيه،

أقتصاديه، و أقتصاديه هنا تختلف عن ماديه، و كمان المناخ و البيئه المحيطه لازم يكونوا عوامل مساعده فى حالة الأنجاب، على أنك تربى أولادك بشكل مناسب، مش لازم تعاملك مع الموضوع يكون بمبدأ "سنة الحياه"، أو "نصف الدين" أو فكرة أن تأجيل الأنجاب حرام، و أنا مش عارف حرام دى مصدرها أيه، لأن ده قرار بيأثر - مش بس على حياتك أنت-، لكن على أطفالك اللى حييجوا للدنيا و ملهمش أى ذنب فى عامل التوقيت اللى أتولدوا فيه.

أدخل بيك سريعاً على القسم التانى، و هو اللى التأخير بيكون من عندك أنت، و زى ما سميته "فات الميعاد" أو "أتأخرت كتير"، و هنا بتكون الكارثه الكبرى، أنك تعمل شئ صح جداً، لكن بعد ما توقيته المناسب يكون عدى، و ده أمثلته الحياتيه كتير جداً، مثلاً فى الدراسه، لو قررت تعمل ماجيستير أو دكتوراه متأخر، بعد ما يكونوا خلاص، مش حيضيفوا شئ للCareer الوظيفى الخاص بيك، أو أنك تدرس لغه جديده فى توقيت أنت خلاص مبقتش محتاج لها، و ده طبعاً ينطبق على كل أشكال تعلم أى شئ جديد. و طبعاً زى قرارات السفر أو الهجره فى توقيت غير مناسب، اللهم إلا لو كان الهدف للجيل التانى أو الأولاد، أو إقامة المشاريع خارج إطارها الزمنى. يعنى من 20 سنه كان مازال مشروع الجريده أو المجله الورقيه مربح، أو على الأقل له سوق، دلوقتى اللى يفكر فيه يبقى عايز يخسر. زى برضه خطوة الأنجاب فى سن متأخر، ممكن الشخص يكون صحياً و نفسياً مش حيقدر على تربية أولاده، و ممكن كمان ما هو أبعد، أنه يعرضهم لمرحلة يُتم مبكره.

طبعاً و بالرغم من كل اللى أنا قلته، فبرضه ممكن الأنسان يعمل كل الأمثله اللى أنا ذكرتها، و فى توقيت غير مناسب، لكن لأنها فضلت طول عمره بتُمثل حلم عنده، و أنا شخصياً ما زلت مُصر أتعلم كتير من الحاجات أياً كان سنى، لكن بهدف مختلف و هو الرغبه فى التعلم، فهنا أختلاف الهدف أعطى للشئ قيمه مختلفه تماماً.

فى النهايه فحاول دايماً أنك تكون متأكد من أنك بتعمل الشئ الصح فى التوقيت الصح، لأن أحنا أصبحنا بنعيش فى مرحله زمنيه مينفعش فيها خسارة أى شئ، لا وقت و لا فلوس، فتقليل الخساير شئ ضرورى، أحنا كده كده بنخسر من عشرات الأتجاهات التانيه اللى ملناش يد فيها، فمتبقاش الخساره من عندنا أحنا.

و أخيراً فأحنا مش حتُتاح لنا الفرصه اللى أُتيحت لبطل "Groundhog day" أو أحمد حلمى فى ألف مبروك، بأن الزمن يدينا الفرصه لتصحيح أخطائنا، العمر بيتعاش مره واحده بس، فيا ريت أحنا اللى نعمل عملية مراقبة دايمه لحياتنا، الغلطه اللى وقعنا فيها منكررهاش مره تانى، نقلل الوقت الضايع فى تجارب غير مجديه، لأن مش دايماً الفرصه بتيجى مره تانيه، و يا ريت كمان لو فى قرار أو مشروع قادرين نعمله دلوقتى منأجلوش، لأن الفرصه اللى موجوده النهارده، ممكن بكره نتيجه عشرات العوامل الخارجيه متبقاش متاحه، و أسألنى أنا.

17 أبريل 2023

"هل خُلق الكون لنا فقط؟
لماذا الأخر دائماً مخطئ؟
لماذا نحن متميزون دائماً؟"

چين أبوكو أيه؟

من حوالى 3 أشهر تقريباً، لما أعلنت شبكة نيتفلكس عن البرومو الترويجى للسلسله الوثائقيه اللى كانت من إنتاجها، و اللى كانت بعنوان "الملكه كليوباترا"، قامت الدنيا فى مصر و مقعدتش لفتره مش قليله، و أشتعلت النقاشات على وسايل التواصل الأجتماعى، و ظهر باسم يوسف فى مداخله و مناظره لمدة 9 دقايق كامله فى واحد من البرامج التليفزيونيه الأمريكيه الشهيره، و كان فى حالة إنفعال شديد، و كان المتناظر على الجانب الأخر شخص من المنتميين لتيار ال"Afrocentrism"، و حأشرحلك معنى المصطلح ده كمان شويه -لو كنت مش عارف معناه-، لأن ده حيكون جزء مهم جداً من موضوعنا الرئيسى فى الفصل ده، لكن فى البدايه خليني أستأذنك أنى أتكلم سريعاً عن الكيان اللى أثار الجدل أخر 4 أو 5 سنين، و أتوجهت له عشرات الأتهامات المختلفه، سواء بالترويج للمثليه أو طمس الحقايق التاريخيه، و الكيان ده طبعاً هو نيتفليكس.

قبل ما أحكى قصة نيتفليكس، أحب بس أحكيلك حكايه سريعه جداً مرتبطه بفكرة نيتفليكس، الحكايه ملخصها أن فى سنة 2008 جالى صديق عمرى، و اللى بعتبره واحد من العباقره اللى أنجبتهم مصر، بفكره جديده و غريبه، و صديقى ده أسمه دكتور محمد موسى، -و اللى سبق و أشرت له بدون أسم فى فصل سابق- و هو مهندس أتصالات مصرى سافر لدراسة الماجيستير و الدكتوراه فى بريطانيا، و كمل هناك كأستاذ جامعى، و حالياً هو عميد كليه و نائب رئيس جامعه هناك. كانت فكرته ملخصها سريعاً هو عمل شبكه تليفزيونيه على شبكة الأنترنت، فيها مكتبه من مئات الأفلام و البرامج، و المُشترك يقدر يشوف الفيلم اللى هو عايزه فى الوقت اللى هو عايزه.

دكتور محمد كان نفسه يلاقى فى مصر أى ممول أو راعى للمشروع، لكن كل الناس اللى قابلناهم وقتها، قالوا أن ده مشروع وهمى، أو على الأقل مش عملى، و طبعاً مننساش أن سرعة الأنترنت فى مصر وقتها كانت فى منتهى البطئ، فأغلب الناس مكنتش متخيله أن ده ممكن يكون مشروع على أرض الواقع، ففشلت فكرة المشروع

من قبل ما يبدأ، لأن مفيش أى ممول أو راعى تحمس له، فى نفس الوقت اللى كان كيان زى نيتفلكس، و بعض الكيانات الأخرى، بياخدوا أول الخطوات الفعليه للمشروع ده، و دى حاجه توضحلك المشكله المصريه الأبديه، أننا مينفعش أبداً نكون الرواد ، لأزم نعمل الحاجه بعد ما غيرنا يكون عملها، بنخاف طول الوقت من المغامره، حتى لو كانت نسبة نجاحها كبيره و شبه مضمونه.

المهم أرجع معاكم لشبكة نيتفليكس، و اللى من وجهة نظرى أنها زى ما هى واحده من أهم الأدوات اللى بتُستخدم لتغيير المفاهيم الأصيله على مستوى العالم، و نشر أفكار و قيم غريبه، لكن فى نفس الوقت أنا شايف أن نيتفلكس كان ليها دور مهم جداً فى نشر السينما فى كتير من الدول اللى كانت السينما فيها لسه فى البدايات، زى كتير من الدول الأفريقيه و اللاتينيه و الشرق أسيويه، اللى شاركت نيتفلكس فى إنتاج عشرات الأفلام فيها، و الأفلام دى أتشافت بشكل كويس جداً على الشبكه، زى مثلاً الفيلم النيجيرى "Citation" أو إقتباس، ده غير عشرات الوثائقيات المهمه جداً اللى عملتها شبكة نيتفلكس. و مننساش أن مسلسل زى تلت التلاته اللى عُرض فى رمضان اللى فات، فكرته كانت متاخده من فيلم Loving Adults الدانماركى الموجود على نيتفليكس، و أعتقد أن لولا نيتفليكس، عمر ما كان كاتب مصرى ممكن يفكر يشوف فيلم دانماركى، بأختصار، فنيتفليكس بالرغم من كل مساؤها، إلا أنها قربت المسافات جداً بين الثقافات فى العالم كله، و ده فى حد ذاته دور فى غاية الأهميه، و بأعتبره دور ريادى فى نفس الوقت.

أما بخصوص الأفكار اللى بتحاول نيتفلكس نشرها، و اللى من بينها الموضوع اللى حنتكلم فيه النهارده، فأنا طول عمرى بقول أن الفكر لا يحارب إلا بالفكر، كل واحد حر، يقول اللى هو عايزه من وجهة نظره، لكن أنت ردك لازم يكون بالحُجه و بالدليل، مش بالصوت العالى. نظرية المؤامره اللى أحنا غارقانين فيها حلها الوحيد أن أحنا يكون عندنا ردودنا، و بالأثباتات، و خصوصاً أن شبكه زى نيتفلكس بأشتراكات، بمعنى أن اللى بيشوفها بيشوفها بمزاجه، بيدفع فلوس كتير علشان يشوفها، فهى مش مفروضه عليك و لا على أى حد، لكن ردودنا عليها لازم تكون بأن أعمالنا تكون على نفس المستوى الفنى، فبالتالى نقدر نسوقها، و من خلالها نقدر نرد بشكل عملى، لكن للأسف أحنا كدول عربيه لا عندنا علماء أثار أو أركيولوجى

عرب، و دايماً اللى بييجى يقولنا تاريخنا هما الأوربيين أو اليابانيين، و لا عندنا إنتاج سينيمائى أو تسجيلى يرقى لمستوى المشاهده، يعنى لا حنقدر نرد لا بالفن، و لا بالعلم -ده إن كنا أحنا اللى صح، فمينفعش بعد كده نشتكى و نقول كل شويه التعبير الأشهر "نظرية المؤامره" تانى خالص.

أرجع معاك تانى للكلام عن نيتفليكس، و خلونى أقولكم بسرعه كام معلومه عن نيتفليكس، الكيان اللى أظهر بوضوح من خلال السلسله الوثائقيه "الملكه كليوباترا" المشكله اللى حنناقشها الحلقه دى، و بالمناسبه نيتفليكس بتحتفل السنه دى بعيد ميلادها ال25، الكيان اللى بدأ كشركه صغيره جداً فى سنة 1998، بس تفتكر كيان زى نيتفليكس بدأ أزاى؟

أولاً اللى أنشأ نيتفليكس هما شخصين، الأول أسمه ريد هاستينج، و هو عالم رياضيات و كمبيوتر، و التانى هو مارك راندولف، و ده راجل بتاع marketing، و هنا حنلاقى الخلطه السحريه اللى قادره تحقق أى نجاح، و هى الخلطه بين العلم و التسويق، الخلطه اللى أحنا أغلب الوقت مفتقدينها فى أى مشروع بنعمله.

فى سنة 1997، و كان وقتها شرايط الVHS بتنتهى، و الDVD بيظهر بقوه، و اللى كان حاضر فترة التمانينات و التسعينات فى مصر، يفتكر حاجه أسمها نوادى الفيديو، و دى كانت عباره عن محلات شبه المكتبات، بس بدل الكتب كانت شرايط فيديو عليها أفلام و مسرحيات، الناس بتروح تأجر الفيلم لمدة يوم أو يوم مقابل مبلغ مالى معين.

لكن لما بدأت شرايط الفيديو الVHS تختفى، و يحل محلها الDVD، أختفت نوادى الفيديو فى مصر، و مظهرتش فكرة نوادى للDVD، لكن فى أميركا، و دى النقطة اللى أستغلها هاستينج و راندولف، كانت ال DVD’s بتتأجر، فهما بدأوا فى سنة 1997 فكره جديده جداً على العالم كله، و ده بعد ما راندولف أتأثر جداً بموقع أمازون، و فكرة البيع online، ففكر أيه تانى ممكن يتسوق online غير المنتجات اللى أمازون بتبيعها، فكانت الفكره أنهم يعملوا موقع لتأجير ال DVD’s من خلال شبكة الأنترنت، و أنت كعميل تدخل على الموقع و تدور من خلال قوائم الأفلام و

تختار الفيلم اللى أنت حابب تشوفه، و الفيلم يوصلك لحد البيت عن طريق البريد و أنت قاعد مريح على الكنبه.

فى السنه اللى بعدها على طول دخلوا فكره جديده تانيه على العالم، و هى فكرة الأشتراكات الشهريه، بحيث أنك لو دفعت أشتراك شهرى، تقدر تأجر أى عدد من الأفلام طول الشهر، و بدون غرامة تأخير لو أتأخرت، و دى كانت فعلاً نقله تسويقيه جريئه جداً.

النقله الحقيقيه بجد كانت النقله التالته سنة 2000، و هى الفكره اللى بتستخدمها كل مواقع التسويق حالياً، و هى فكرة الcustomization، أو التسويق بحسب العميل، و ده من خلال أستبيان للعميل و تقييم لكل فيلم بيشوفه، و معرفة ذوقه فى الأفلام، علشان يقدروا يرشحوله بعد كده الأفلام اللى تناسب ذوقه، بناء على دراسه كل الأستبيانات اللى هو ملاها Online، زائد طبعاً نوعية الأفلام اللى هو بيختارها، و دى كانت البدايه الحقيقيه لفكرة الأعلانات اللى بتوصلك حسب أهتماماتك، و أن ممكن نفس الصفحه يكون عليها أعلانات مختلفه لكل عميل.

نعدى كام سنه و نوصل ل2007، و معاها حصل أول streaming أو مشاهده مباشره عن طريق الأنترنت، و ده بعد سنتين بس من ظهور الYoutube، و اللى كانت لسه أمكانياته مش عاليه قوى، فهنا كانت شبكة نيتفليكس أفضل بكتير، لأنها أهتمت بزيادة سرعات الأنترنت و البنيه التحتيه لخدمة شبكتها، فكانت سرعات المشاهده عند نيتفليكس أسرع و أفضل.

طبعاً أنا بأختصرلك حاجات كتير، علشان نوصل لأخر محطة حأذكرها فى تاريخ نيتفليكس ،و هى مرحلة بداية أنتاجهم الخاص، و بدأت بأول مسلسل أنتجوه و هو House of cards سنة 2013، و من هنا بدأنا نسمع عن مشاكل أعمال نيتفليكس، و أقصد هنا طبعاً الأعمال اللى هى بتنتجها، مش بتشتريها علشان تعرضها، و النقطة ده هى اللى حتدخلنى على العمل اللى أظهر المشكله الأخيره و هو "الملكه كليوباترا"، فيا ترى لو كنت مش عارف القصه، كانت أيه المشكله فى عمل docudrama عن الملكه كليوباترا، و كلمة docudrama معناها عمل وثائقى لكن فيه مشاهد تمثيليه، فتعال معايا أستعرض معاك المشكله بالضبط.

****

ليه السلسله الوثائقيه "الملكه كليوباترا" عملت حالة الغضب دى عند الشعب المصرى؟ و هل سبب الغضب أن العمل بيقول معلومات غلط؟ بالتأكيد لأ، لأن الناس فى مصر ثارت على العمل من قبل حتى ما تشوفه، مجرد بس الناس ما شافت الtrailer الدنيا قامت، طيب هل سمعوا أن العمل بينسب مثلاً لبنى أسرائيل الفضل فى أنجازات الحضاره المصريه القديمه زى كتير من الأعمال التانيه؟ برضه لأ. طيب أيه هى المشكله اللى غضب بسببها الشعب المصرى؟ و طلع بسببها باسم يوسف فى المداخله التليفزيونيه؟

حالة الغضب كان سببها يكمن ببساطه متناهيه فى نقطتين، و الأتنين مربوطين ببعض. النقطه الأولى كانت أن الممثله اللى قامت بدور كليوباترا بشرتها سمراء، حيطلع حد يقولى، طيب ما المصريين سواء قديماً أو حالياً فيهم نسبه مش بسيطه لون بشرتهم يميل للسمار، أقولك -لو مكنتش عارف- أن كليوباترا ما كنتش مصريه أصلاً، لأن كليوباترا اللى حكمت مصر، هى من أحفاد بطليموس مؤسس الأسره البطلميه، و بطليموس هو واحد من القاده اللى جم مصر مع الأسكندر الأكبر، و حكم مصر هو و أولاده و أحفاده من بعده وصولاً لكليوباترا، و معنى كده أن كليوباترا أصلها مقدونى يونانى، و إن كانت أسرتها متواجده و بتحكم مصر من قبل ما كليوباترا تتوج على عرش مصر ب254 سنه.

السبب التانى هو ربط فكرة أختيار ممثله ذات بشره سمراء، بحركه منتشره بشكل كبير فى العالم الفتره دى، و ده بالرغم من أن الحركه أتأسست سنة 1964 - يعنى من قبل المسلسل ب 59 سنه-، و هى حركة الAfrocentrism، الحركه اللى من أهم معتقداتها -و ده على عهده الموسوعه البريطانيه- أن مصر القديمه كانت جزء من أفريقيا السوداء الموحده، لحد ما الأوربيين سرقوا أفكارها وتقنياتها و حجبوا كل إنجازاتها، و نسبوا الأنجازات دى لنفسهم. و من هنا نفهم ليه كان المناظر اللى كان قدام باسم يوسف هو أمريكى من أصل أفريقى.

و للأمانه فجزء بسيط من منطقهم صحيح، خاصة و أن علمياً و بالأثباتات، فأول تجمعات أنسانيه حضاريه كانت فعلاً فى أفريقيا، و بالتحديد فى منطقة السودان

و أثيوبيا، بالأضافه لأن فعلاً فيه حضارات فى الدولتين دول تحديداً، تزامنوا مع الحضاره المصريه القديمه، و هما الحضاره الكوشيه فى السودان و جنوب مصر، و اللى هى النوبه حالياً -سواء نوبة مصر أو نوبة السودان-، و حضارة بلاد بنط، و اللى هى أثيوبيا حالياً، لكن فكرة أن مصر كانت جزء من حضارات أفريقيا السمراء، فده تهريج تاريجى، و الدليل على كده عشرات الرسومات اللى على المعابد، و اللى مصوره المصريين بشكلهم و الأفارقه بشكلهم، فهنا الهبد التاريخى ده لا محل له من الأعراب.

الموضوع ده حيدخلنى على الحاله اللى حصلت بين بعض المصريين و بعض الأخوه السودانيين اللى جم مصر خلال الفتره الأخيره، من بعد أحداث السودان الأخيره، و كانت العنصريه دايماً محور النقاشات و الخلافات فى الحوار، و للأمانه فالمصريين على مدار سنين طويله فاتت، كانت نظرتهم لأفريقيا بشكل عام سيئه جداً، و القيادات السياسيه أهملت أهميه أفريقيا لمصر بشكل تام، و السينما المصريه كانت دايماً بتسئ للأفارقه و البشره السمراء، فده طبعاً كان له رد فعل عندهم، و أصبح عند الكتير منهم حالة من عدم التقبل للمصريين، و حتى كتير من الأخوه الأفارقة اللى بييجوا مصر كمرحله لطلب اللجوء لأوربا أو أمريكا، بيعزلوا نفسهم بشكل تام عن المصريين، و كأنهم عايشيين فى مجتمعات مقفوله لوحدهم، و ده كله بسبب سياسيات و أفكار متخلفه بقالها سنين.

****

الموضوع ده حيدخلنا على موضوعنا الرئيسى، و هو الهوس العرقى، و اللى بدأ يزيد جداً السنين الأخيره، و الهوس ده طبعاً واحد من الوسائل اللى بتُستخدم فى إشعال الفتن العرقيه، و اللى طبعاً ليها أكتر من هدف بيخدم أغراض النخبه اللى بتحكم العالم، و تعالوا نبدأ ببعض أشهر المشاكل العرقيه اللى حصلت على مدار التاريخ، و اللى سببت كوارث عالميه أثرت علينا لحد اللحظه دى، و حتفضل تأثر فى حياة أولادنا و أحفادنا لأجل غير مسمى، و أنا أكتفيت بس ب3 نماذج، لكنها بالفعل نماذج غيرت كتير جداً من ملامح التاريخ، و مأثره فى حاضرنا و حياتنا لحد النهارده.

حأبدأ بجزء حيسبب كتير من الأنتقادات و الهجوم، بالرغم من أن الأحداث دى مذكوره فى عشرات الكتب اللى أتكبت عن التاريخ الأسلامى المبكر فى مرحلة ما بعد الرسول، لكن فى ناس كتير بتاخد من أى كتاب اللى يناسب مصالحها و أفكارها، و تنكر تماماً أى حاجه تانيه مش حتناسبها، حتى لو موجوده فى نفس الكتاب، فالعرقيه، و اللى كان مفهومها وقتها بيتمثل فى القبليه، من أكتر النقط اللى سببت الصراعات بين المسلمين الأوائل، و اللى تحولت فيما بعد لمذاهب بتكفر بعضها، و تعالوا ندخل على الأحداث الموثقه.

الحادثه الأولى و حأختصرهالكم بسرعه، كانت بعد وفاة الرسول مباشره، لما تم أجتماع للأنصار فى سقيفة بنى ساعده، و كان الأجتماع بهدف أختيار خليفه للمسلمين يخلف الرسول، و ده تم حتى دون أنتظار دفن الرسول، و تم أختيار سعد بن عباده سيد الخزرج كأمير للمسلمين، فلما وصل أبو بكر و عمر و أبو عبيده بن الجراح، تمت السيطره على الموقف من قبل المهاجرين، و وصول الخلافه لأبى بكر و كل اللى تبعوه من خلفاء راشدين، كانت بزعم أن الخلافه لازم تكون فى قريش، بالرغم من أن مفيش أى سند قرآنى بيدعم المبدأ ده، و بسببه تم أغتيال سعد بن عباده، و نُسبت عملية أغتياله للجن، و خلينى أقولكم بيتين شعر قيلوا وقتها، و برضه تم نسبهم للجن، أه و الله، بيقولوا أن الجن هما اللى كتبوهم عن قتلهم لسعد:

نَحْنُ قَتَلْنَا سَيِّدَ الخَزْرَجِ سَعْدَ بْنَ عُبَادَه

وَرَمَيْنَاهُ بِسَهْمَيْنِ فَلَمْ نُخْطِ فَؤَادَه

ندخل على الحاله التانيه، و هى الأكبر و الأكتر تأثيراً لحد النهارده، و هى أحداث الفتنه الكبرى، و اللى كتب عنها طه حسين كتاب من جزئين بنفس الأسم، و حأختصرهالك بسرعه. لما تولى عثمان بن عفان الخلافه، و هو أصلاً قريشى من بنى أميه، اللى هما أصبحوا الأمويين بعد كده، فكان بيجامل قبيلته بنى أميه فى كل حاجه، بدايةً من أنه كان بيخصصلهم مبالغ كبيره من بيت مال المسلمين، لتوليتهم المناصب الكبيره فى الدوله الأسلاميه، و كان التمييز بيحصل بشكل سافر و واضح، لدرجة أن ده كان أحد أسباب أغتياله، و كانت عملية الأغتيال بتحريض من الثلاثى السيده عائشه، طلحة بن عبيد الله، و الزبير بن العوام، و كانت السيده عائشه

بتنادى فى المسلمين و تقول: "أقتلوا نعثلا فقد كفر" و تقصد بنعثل عثمان بن عفان، و نعثل ده كان رجل يهودى عايش فى المدينه، شبهت السيده عائشه عثمان بن عفان بيه، و ناخد بالنا أن أتنين من المبشرين بالجنه، و زوجة رسول الله، حرضوا على رابع برضه مبشر بالجنه، و كان متجوز أتنين من بنات الرسول.

بعد تولى على بن أبى طالب الخلافه بعد عثمان بن عفان، دخل الخلاف العرقى اللى على الخلافه منحى تانى، بين على و أبناء عمومة الرسول من جهه، و بين الأمويين من جهه تانيه، و تقريباً كل الناس متعرفش -و أنا كنت منهم لفتره قريبه جداً-، أن الحسن بن على بن أبى طالب، تولى الخلافه بعد أبوه لمدة 6 أشهر، لكنه تنازل عنها لمعاويه بن أبى طالب حقناً للدماء، و من بعدها بدأت أهم مشكلتين فى التاريخ الأسلامى يظهروا، أولاً: أن الخلافه أصبحت بالوراثه لفتره طويله جداً بعد كده، و من ده خلال الخلافات المتتابعه بدءاً من الأمويه. ثانياً: أن الدولة الأسلاميه أنقسمت قسمين، سنة و هما الأمويين، و شيعه اللى هما أنصار الحسين و على، بمعنى أن أنقسام الدوله الأسلاميه كان لأسباب قبليه، مش عقائديه خالص.

طيب أنا ليه بذكر المثالين دول تحديداً؟ لأن العرقيه و النظره الطبقيه كانت السبب الفعلى فى أنقسام الأسلام من البدايات، و أنا هنا مش مهم عندى مين اللى مذهبه على حق، و مين اللى على باطل، لكن المهم عندى هو الفكره، هو التمييز، ليه فكرة أن أنا الأحسن، بالرغم من أن فكرة الدين نفسه هى دعوه للمساواه، و أدينا لحد اللحظه دى بنعانى من أثار خلافات، و أسمحلى أقول مطامع حصلت من 1400 سنه، ليومنا هذا، لدرجة أن فى كل الأديان أصبح عدوك الأول هو اللى من دينك بس من مذهب مختلف، و ده بيفكرنى بمثل مصرى بيقول "ما عدوك إلا إبن كارك".

****

النموذجين التانى و التالت من أسوأ التجارب اللى مرت بيها البشريه على مدار تاريخها كله، و اللى بجد أنعدمت فيها الأنسانيه بشكل تام، و خلينى أبدأ الكلام عن النموذج التانى بمسلسل يمكن كتير من اللى فوق الأربعين يفتكروا أيام عرضه على القناه التانيه، و اللى كانت مصر كلها بتنظر الساعه 9 علشان تشوفه، و هو المسلسل

الأمريكى Roots أو الجذور، و اللى أتشهر فى مصر بأسم الشخصيه الرئيسيه فيه و هو "كونتا كنتى".

المسلسل كان بيحكى عن الطرق المهينه و ألا أنسانيه اللى أستخدمها الأمريكان الأوائل، و اللى كان أغلبهم من المهاجريين الأوربيين، فى عملية جلب الكتير من الأفارقة عن طريق الساحل الغربى لأفريقيا لأمريكا، الدوله الناشئه وقتها. كانوا بيربطوا العشرات من رقبتهم فى سلسله واحده و يجروهم، و التعامل طبعاً ألا أدمى مع اللى بيرفض أو بيحاول يهرب، و أزاى كانوا بيتعاملوا على ضهر المراكب وصولاً لأمريكا، طيب كان أيه الهدف من جلب الأفارقه لأمريكا؟

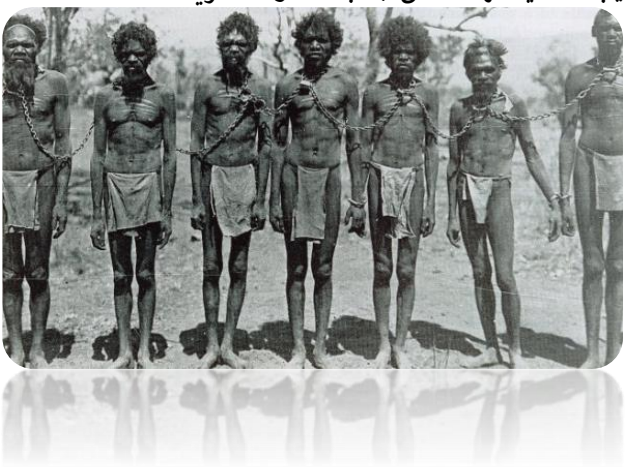

طبعاً الهدف كان علشان يشغلوهم فى بعض الأعمال الوضيعه جداً اللى حيرفضها الأوربيين، بالرغم من أنهم كانوا بيشتغلوها فى بلادهم، أو كجنود يكونوا فى المواجهه، و طبعاً بيكونوا الأكتر عرضه للموت. لكن أنا مش حأكلمك عن الموضوع ده، أنا حأكلمك عن ما هو أفظع.

فى كل من أمريكا أو أستراليا، كان ما زال فى بعض السكان المحليين لحد بدايات القرن ال19، و هما بالنسبه للمهاجرين الأوربيين اللى هاجروا أمريكا و أستراليا مش بشر، لكن زيهم زى الأفارقه مجرد حيوانات، فتم عمل حدايق حيوانات فى أمريكا و أستراليا و بعض بلد أوربا، لكن الحيوانات هنا كانت الأفارقه، أو الهنود الحمر، أو سكان أستراليا الأصليين، فى واحده من أسوء المهازل فى تاريخ الأنسانيه، الزوار كانوا بيتفرجوا عليهم، و هما محبوسين فى أقفاص زى الحيوانات بالضبط.

حنكمل مع أمريكا و اللى كانت العنصريه فيها على أشدها لحد منتصف الستينات تقريباً، لدرجة أن أصحاب البشره السمراء مكانش ينفع يدخلوا مدارس أصحاب البشره البيضاء، أو يدخلوا مطعم البيض بياكلوا فيه، و طبعاً و بالتأكيد مينفعش يتولوا أى مناصب محترمه، و الكلام ده كان بيحصل فى أمريكا لحد من أقل من ستين سنه. الموضوع كبير و طويل جداً، بس حنضطر نكتفى بالجزء ده، و خلينى أدخل معاك على النموذج التالت، و اللى ممكن جداً تكون عارفه، لكن خلينى أشرحه ببعض التفاصيل الزياده.

****

أكتر شخص مصاب بالهوس العرقى فى التاريخ، طبعاً أكيد ممكن تكون أستنتجته و هو أدولف هتلر. هتلر قسم الأعراق و الأجناس البشريه لدرجات، كان على رأسهم الجنس الأرى، و اللى طبعاً بيضم الألمان، و أخرهم العرب ثم اليهود فى ديل القايمه. أسباب كره هتلر لليهود كانت متنوعه، و كان بينها ما هو خاص بالسمعه العامه بأن اليهود خانوا ألمانيا فى الحرب العالميه الأولى، و كانوا أحد أهم أسباب هزيمتها، لحالة الكره العام لليهود فى أوروبا. لكن اللى شدنى هو أحتمالية وجود

أسباب خاصه بهتلر نفسه، خصوصاً مع تأكيد سيرچى لافاروف وزير خارجية روسيا، أن جدود هتلر من ناحية الأب يهود، و أن عنده أسباب أسريه خاصه جداً لحالة الكره العجيبه دى.

هتلر أقام واحده من أكبر المجازر البشريه فى التاريخ و هى الهولوكست، كان بيقوم بحرق اليهود أحياء فى أفران كبيره جداً بدون سبب، و لحد يومنا هذا المانيا بتحاول تقديم كافة الأعتذارات لليهود على ده، و أنا كنت فى ألمانيا من 3 سنين، و دخلت متحف يهودى فى برلين، بيحكى كل المجازر اللى تعرض ليها اليهود فى ألمانيا، و وجود متحف زى ده فى ألمانيا له معانى كتير، و طبعاً صدرت بعد الحرب العالميه التانيه قوانين معاداة الساميه فى أكتر من دوله، و الساميه هنا بالمناسبه نسبة لسام أبن نوح، اللى هو يفترض جد اليهود، لكن برضه يفترض أنه جد العرب كمان.

المهم أن بعد الحرب العالميه التانيه ما خلصت، و اللى تمت خلالها كل الأحداث دى، أُقيمت دولة أسرائيل على حساب الشعب الفلسطينى، و اللى لعبت عنصريه هتلر و إبادته لعدد كبير جداً منهم خلال الحرب، دور كبير فى الأسراع بقيام الدوله الجديده، بعد 3 سنين بس من أنتهاء الحرب، بالرغم من أن العالم كله كان مشغول بالتعافى من أثار الحرب وقتها.

و بالمناسبه دى أنا شفت من حوالى شهر فيلم أسرائيلى، السيناريو بتاعه مبنى على مذكرات شخص يهودى عاش الفتره دى، أقصد فترة بدايات قيام دولة أسرائيل، وقتها كان عنده حوالى 7 أو 8 سنين، و بيقول سواء فى مذكراته أو الفيلم، أن الشعب الفلسطينى أتظلم ظلم بين، و أن كلا الشعبين أتبهدلوا، بس تعالوا نشوف دلوقتى و بعد 75 سنه من أقامه دولة أسرائيل على حساب الشعب الفلسطينى، دول فين و دول فين.

****

كل اللى فات كان تاريخ، فهل فعلاً العنصريه أنتهت تماماً من العالم؟ لأ طبعاً منتهتش، و خلينى أكلمك فى مثالين قائمين لحد يومنا هذا، و كمان مش بعيد عنك خالص، لأن واحد منهم فى صعيد مصر، و الثانى فى السودان، و حأبدأ بالمثال المصرى لأن المثالين على الرغم من تشابهم تماماً، إلا أن التجربه السودانيه تعتبر من حيث

الأسباب و النتايج هى فعلاً الكارثه و الفضيحه الأكبر فى قضية العنصريه، و النتايج اللى ممكن توصل لها.

المثال المصرى بيبدأ من أيام فترة حكم محمد على، و اللى لما غزا السودان علشان يضمها للدوله المصريه، جلب معاه بجانب ما جلب من خيرات السودان، عدد كبير من السودانيين، و ده بهدف إما أنه يضمهم للجيش المصرى نظراً لما يُعرف به السودانيين من أنهم من أفضل الجنود فى العالم، أو لأستغلالهم فى أعمال الزراعه أو غيرها من الأعمال اللى بتحتاج تحمل بدنى. و بالمناسبه فمحمد على و جنوده تعاملوا بنفس الطريقه ألا إنسانيه مع اللى جلبوهم لمصر، زى بالضبط اللى حصل مع الأفارقه اللى هُجروا لأمريكا.

تجاره العبيد، و اللى موجوده فى مصر من زمن بعيد جداً، كانت مستمره للوقت ده، و أستُغل عدد كبير من السودانيين اللى جم مع حملات محمد على على السودان، كعبيد بصك رسمى عند بعض العائلات المصريه، و خاصةً فى محافظات أسيوط، سوهاج و قنا فى الجنوب، و محافظة الشرقيه بس فى الشمال، و كان أمتلاك العائلات دى للعبيد و نسلهم من بعدهم، بشكل رسمى و ورقى تماماً.

لما بدأت الحملات العالميه لأنهاء الرق و العبوديه، ركب محمد على الموجه و قرر أنه ينهى عملية تجارة العبيد. و فى 1 ديسمبر 1837 بعت محمد على رساله لحكمدار السودان خورشيد باشا، بيأمره فيها بإبطال تجارة الرقيق، و قال في رسالته "يجب عليك أن تعلم أني لا أريد ربحا من تجارة لا تشرفني".

و فعلاً فى 4 ديسمبر من سنة 1838 أعلن رسمياً أنه أنهى تجارة الرقيق و العبيد، لكن كأى شئ جذوره ضاربه فى التاريخ، مقدرش محمد على يحقق ده بشكل فعلى، لكن فعلياً -و أقصد بكلمة فعلياً هو المستوى الرسمى بس- تحقق ده على أيد الخديو إسماعيل، و اللى أصدر صك حريه للعبيد بشكل رسمى، يعنى زى ما كان شراهم بشكل ورقى رسمى، عتقهم برضه أصبح بشكل ورقى رسمى، لكن هل ده حقق أى شئ على المستوى الشعبى؟ طبعاً لأ.

فضل العبيد و أولادهم ملك للعائلات الكبرى فى صعيد مصر، بل و كمان و بمنتهى الوحشيه، كان بعضهم -اللى بيتعامل مع سيدات الأسره- بتتم عملية أخصائه من قبل بداية عمله مع الأسره.

ما زال من يُطلق عليهم العبيد موجودين فى مصر لحد النهارده، حتى اللى منهم ساب الخدمه عند العائلات الكبيره، ما زال بيطلق عليه لفظ "عبد"، حتى لو كان أستقل و أصبح أغنى من العائله نفسها، و دى حالات موجوده و منتشره بشكل كبير جداً فى صعيد مصر. ما زال ممنوع تماماً زواجهم من أى عائله أياً كان مستواها، ما زالت النظره لهم نظره دونيه، ما زال التعامل معاهم له حدود، الكلام ده ما زال بيحصل فى مصر، و أنا شفته بنفسى كتير جداً، فهل تتخيل معايا -طبعاً لو مكنتش من المحافظات اللى أنا ذكرتها-، أن ده بيحصل فى مصر ليومنا هذا.

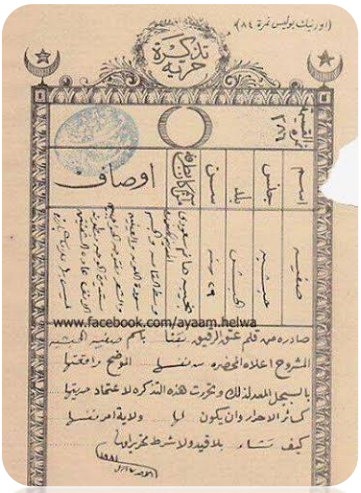

نوصل للمثال التانى، و حنلاقى مثيلة القصة لكن فى السودان، لكن الأغرب أنها بين السودانيين و السودانيين، لكن السودانيين الأولانيين هما الشماليين أصحاب البشره الأفتح نوعاً ما، و السودانيين التانيين هما الجنوبيين أصحاب البشره الأكثر سماراً.

أعتبر الشماليين على مدار التاريخ أن الجنوبيين دول مجرد عبيد، و كانوا فى السودان مش بيشغلوهم غير فى أعمال الخدمه أو الأعمال الوضيعه، و كانوا بيحذروا و بيخوفوا الأطفال من التعامل معاهم، و اللى عمل الفجوه دى بشكل أكبر أن الشماليين أنتموا للعرب بشكل أكبر، بينما الجنوبيين أعتبروا نفسهم أفارقه مش عرب، و خصوصاً أن نسبه كبيره جداً منهم مسيحيين، و أغلبهم مكنش مهتم أنه يعرف يتكلم عربى، و أكتفوا ببعض اللغات المحليه، و اللى عددها أكتر من 60 لغه، أو تعلُم اللغه الأنجليزيه.

فضلت الفجوه تكبر، و الضغط النفسى و الأحساس بالأغتراب عند الجنوبيين يزيد، فبدأت فكرة المطالبه بالأستقلال، و بما أن جنوب السودان هى منجم خيرات، فقامت بعض الدول الخارجيه بدعم و مساعدة الجنوبيين فى دعاوى الأستقلال دى، و اللى نجحت بالفعل، و تم الأعتراف بدولة جنوب السودان رسمياً فى سنة 2011، علشان تخسر دولة السودان بسبب القبليه و العنصريه جزء كبير جداً من أرضها، و عدد كبير و مهم من شعبها، ده غير الشئ الأهم و هو ثرواتها، زى البترول و الدهب و الفضه، و غيرها. أنا بعتبر نموذج السودان ده هو النموذج الكارثى الصارخ لفكرة العنصريه و العرقيه، و اللى وصلت دوله زى السودان لحاله من الأنقسامات، محدش يعرف حتوصل تانى لحد فين.

قبل ما أقفل الجزء ده، عايز أقول أن التمييز العرقى ما زال موجود بيننا بأشكال كتير مختلفه، و حابب أحكى بسرعه عن تجربة صديق نوبى أعرفه بيمثل مسرح، قرر مؤخراً أنه يوقف تعامل مع مؤلف و مخرج مسرحى، و لما سألته ليه، فكانت الأجابه لأنه طول الوقت بيجبنى علشان يعمل أفيهات عليا، و للأسف ده نوع من الكوميديا البذيئه اللى موجوده عندنا من زمان، و أعتقد أنك تفتكر معايا جمله محمد هنيدى الأسوء فى فيلم صعيدى فى الجامعه الأمريكيه، و اللى أنا مش حابب أكررها، بس

للأسف حتى الفن عندنا، و اللى يُفترض أنه أما للثقافه أو للتسليه على أضعف الأيمان، بيرسخ للعنصريه طول الوقت.

أحنا لسه فى مجتمعاتنا كتير جداً من العرقيه الدفينه، بتبان بشده فى حالات الجواز، و رفض كتير من الأسر الأرتباط بأسر تانيه بسبب النظره العرقيه، بتبان بشده فى الجامعات و اللى بعتبرها الخليه المصغره للمجتمع كله، بنلاقى مثلاً أن المسيحيين لهم المجتمع بتاعهم، و النوبيين لهم المجتمع بتاعهم، و اللى جايين من وجه بحرى لهم مجتعهم....إلخ، كل مجتمع قافل على نفسه و مش قادر يختلط مع الأخر غير فى أضيق الحدود، و لو الظروف أضطريته بس.

****

أتكلمنا عن الماضى، أتكلمنا عن الحاضر، أوصل معاك لأخر جزء فى الفصل ده، و هو المره دى خاص بالمستقبل، و اللى حتكون فيه العنصريه أكثر شده من كل اللى فات، لأنها عنصريه أنتقائيه جداً، و ده حيكون له جزء كبير جداً من الكتاب اللى جاى، لكن أنا حأكتفى معاك بذكر نقطه واحده بس، لأنها فعلياً مرتبطه بموضوع الفصل ده.

حأتكلم معاك عن موضوعين، هما ظاهرياً يبدو أنهم مش مرتبطين ببعض، لكن فعلياً الأول فيهم تمهيد للتانى، وكان أول من ربطهم ببعض هى دكتوره مصريه أسمها هبه جمال الدين أتكلمت عنهم و عن الخطر القادم من وراهم فى أكتر من حوار تليفزيونى على عدد من القنوات المصريه، زى صدى البلد مع مصطفى بكرى، و الحدث اليوم مع سيد على، و حلقاتها ما زالت موجوده على الYoutube. فتعال معايا أستعرض معاك الموضوعين و نشوف أيه الرابط بينهم زى ما دكتوره هبه ربطتهم قبل كده.

الموضوع الأول هو أتفاقية الأمم المتحده رقم 169 بشأن الشعوب الأصلية والقبلية في البلدان المستقله، و دى تم توقيعها سنة ،1989 تأكيداً على أتفاقيه أقدم كانت سنة 1957. الأتفاقيه دى بتخص كل الشعوب الأصليه اللى كانت موجوده فى دوله أو أقليم ما، و تم تهميشهم نتيجه أستعمار، أو تكوين دوله فى نفس المكان، زى

أمريكا أو أستراليا، أو ما شابه، و خد بالك معايا من ما شابه دى، و تم تعريف ما هى الشعوب الأصليه فى نقطتين حناخدهم من نص الأتفاقيه نفسها:

تنطبق هذه الاتفاقية علي:

(أ) الشعوب القبلية في البلدان المستقلة، التي تميزها أوضاعها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية عن القطاعات الأخرى من المجتمع الوطني، والتي تنظم مركزها القانوني، كليا أو جزئيا، عادات أو تقاليد خاصة بها، أو قوانين أو لوائح تنظيمية خاصة .

و دول زى الهنود الحمر، أو سكان أستراليا الأصليين.

(ب) الشعوب في البلدان المستقلة، التي تعتبر شعوبا أصلية بسبب انحدارها من السكان الذين كانوا يقطنون البلد أو إقليما جغرافيا ينتمي إليه البلد وقت غزو أو استعمار أو وقت رسم الحدود الحالية للدولة، والتي، أيا كان مركزها القانوني، لا تزال تحتفظ ببعض أو بكامل نظمها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية الخاصة بها.

و الأتفاقيه بتنص على أعطاء الشعوب دى، و اللى تم تعريفها فى النقطتين اللى فاتوا، كتير من حقوقهم اللى سُلبت منهم، بل و تعوضهم مادياً كمان.

حنقف عند الجزء ده من أتفاقيه الشعوب الأصليه، علشان ندخل على الموضوع التانى، و هو مشروع الجينوم. فى البدايه، أعتقد أنك لامس معايا حالة الهوس الموجوده على مستوى العالم من ناس كتير، بأنهم يعملوا تحليل معرفة أنحدار الأصل، و ده طبيعى جداً أن أفراد -حتى لو سبيل التسليه تقوم بعمله-. طبعاً أغلب اللى عملوه بيكتشفوا أن أصلهم مخلط، مش من جذر أو أصل واحد خالص، لأن خلاص مبقاش فيه فى العالم فكرة العرق النقى تماماً. لكن الغريب جداً أن دول -مش أفراد- هى اللى تعمل التحليل ده، و ده أسمه مشروع الجينوم المرجعى، و من بين الدول اللى بدأت تعمل تحليل الجينوم المرجعى مصر، و خلينى أقولك بعض بيانات المشروع، و اللى ذُكرت فى مقال بموقع سكاى نيوز العربيه.

المشروع بدأ فى 2021، و حينتهى تنفيذه نهاية 2025، بتكلفة مبدئية وصلت ل 2 مليار جنيه (128 مليون دولار أميركي).

و فى نفس المقال كان تعريف الجينوم المرجعى: **الجينوم المرجعي (المعروف أيضًا باسم التجميع المرجعي) هو قاعدة بيانات رقمية لتسلسل الحمض النووي، تم تجميعها من قبل العلماء كمثال تمثيلي لمجموعة الجينات في كائن فردي مثالي لأحد الأنواع. وفي النهاية يشبه الجينوم المرجعي فسيفساء ولا يمثل أي فرد، بل يحدد صفات عامة للإثنيات والعرقيات.**

طيب ليه دول كتير فى المنطقه بتعمل تحليل جينوم مرجعى، و خاصة أنه تكاليفه مرتفعه جداً. أيه الفايده اللى حتعود من معرفة أصل سكان مصر أو أى دوله أخرى، و خصوصاً مع كل حالة الأختلاط دى؟ و هل ربط الدكتوره هبه الفقره (ب) من أتفاقية الشعوب الأصليه، و خاصة أنها مش مُحدده أو مربوطه بفتره زمنيه معينه، بمشروع الجينوم المرجعى، و بعرق بيدعى أنه طرد قصراً من بعض المناطق من أكتر من 2000 سنه؟ و هل شعوب أستراليا أو أمريكا الشماليه أو الجنوبيه أستفادوا أى شئ من أتفاقيه الشعوب الأصليه دى، و اللى بقالها أكتر من 33 سنه؟ طيب هى أصلاً معموله لمين؟ و هل كل اللى قالته دكتوره هبه فى أكتر من قناه مصريه، مفيش أى حد تانى واخد باله منه؟

****

فى النهايه، و بعيداً عن كل اللى قلته، فالهوس العرقى، و اللى أصله فى الأساس هو الأنتماء القبلى، أساس جزء كبير من الشرور اللى بتحصل فى العالم، و سواء كان وراه اللى بيخططله، أو هو هوس قبلى أو عرقى عادى، فالنتايج فى الأخر مُدمره للجميع. أحنا لازم نقبل التعايش مع الأخر، و لازم نُقر أن مفيش عرق نقى 100%، زى ما كل تحاليل معرفة أنحدار الأصل بتثبت.

خلينى أضرب مثال صغير ببعض الأعراق اللى أندمجت داخل مصر، بدايةً من عصر محمد على لحد النهارده، يعنى خلال 220 سنه بس، حنلاقى الألبان و الأتراك، حنلاقى اليونانيين، حنلاقى الأرمن، حنلاقى السوريين من فتره كبيره جداً، من نهايات القرن ال19، حنلاقى السودانيين، و مؤخراً الروس و الأوكران اللى أندمجوا من خلال

الزواج مع مصريين، كل دول أندمجوا و تزاوجوا مع المصريين، علشان يجيبولنا ناس بتركيبات جينيه مختلفه و جديده على الشعب المصرى،
لكن فى النهايه أصبحوا مصريين.

25 يوليو 2023

**"هل نجحوا فى تحويلنا عبيد أهوائنا؟
لماذا نعتقد أن أخطائنا قدريه؟"**

تحت السيطره
ج1: فورمة الساحل

فى بعض الأحيان بتتكون فى عقلى فكره موضوع أو مضمون عايز أكتبه، بس مش بعرف ألاقى الصياغه المناسبه التى تصلح لتوصيل فكرتى، و ده بالضبط اللى حصل مع الموضوع اللى عايز أناقشه فى الفصل ده، بقالى شهور بحاول ألاقيله مدخل مش عارف، لحد ما بالصدفه من يومين كنت بسمع مساحه على تويتر، و مساحه ده الأسم اللى أختارته منصة تويتر للpodcast أو أى برنامج صوتى يُبث عليها، و من خلال المساحه اللى سمعتها، كان فى جزء عن شخص تواجد أيام حكم الأسكندر الأكبر، و كان أحد أتباع مذهب أسمه الرواقيه، و هو فيلسوف أسمه ديوجينس.

ديوجينس كان شخص زاهد تماماً فى الحياه، كباقى الرواقيين الكلبيين، أيوه، هو كان من طائفه من الرواقيين أسمهم الكلبيين، و دول كانوا أنصار التوحد مع الطبيعه، زى الهيبيز الى ظهروا فى أمريكا فترة الستينات و أنتشروا فى العالم كله، و زى كتير من المذاهب الشرق أسيويه المتوحده مع الطبيعه.

القصه اللى شدتنى عن ديوجينس، من بين عشرات القصص اللى ذُكرت عنه فى المساحه، أن ديوجينيس كان زاهد و لا يمتلك من الدنيا غير ما يُشبه كوبايه صغيره بيملاها من شلال أو مجرى مائى لما بيعطش. فى أحد المرات شاف ديوجينس طفل صغير كان عايز يشرب، فأستخدم الطفل كفين أيده فى الشرب، زى ما كلنا كنا بنعمل و أحنا صغيرين من أى حنفيه، فديوجينيس لما شاف الطفل بيشرب بالطريقه دى، قال لنفسه طيب ما أنا كمان أقدر أستغنى عن الكوبايه، و بالفعل كسر الكوبايه -و اللى كانت بتُمثل الشئ الوحيد اللى كان بيملكه فى الحياه- علشان ميتحولش لعبد لها، زى ما أستغنى عن كل شئ تانى فى حياته لنفس السبب، أنه ميتحولش لعبد أسير لأى شئ فى الدنيا، أنه ميخليش أى شئ فى الكون يكون مصدر للتحكم فيه.

مش عايز البدايه دى تاخدك لفكره أنى بدعو للتقشف، لأ خالص، بس درس ديوجينيس هو درس مهم جداً، و هو بالضبط الموضوع اللى بقالى شهور عايز أكتب

فيه، لكن مكنتش عارف أصيغه، فشكراً لديوجينيس و أفكاره، و اللى كانت بالفعل الدليل بالنسبالى لأنى أعرف أصيغ أفكار الفصل ده.

بدايةً، فالفكره الرئيسيه اللى عايز أناقشها معاك، هى نفسها الفكره اللى أتبنت عليها فلسفة ديوجينيس، و هى ليه أحنا طول الوقت بنسيب نفسنا نتحول لعبيد كل حاجه حوالينا، و منها المادى و منها المعنوى، لكن فى النهايه أحنا بنسلم نفسنا تماماً، و بنسيب عشرات الأشياء و الأفكار تتحكم فينا، و الأهم فى الموضوع أن كل المسيطرات دى بتكون فعلياً أكاذيب، و فى الأغلب بتكون مترتبالك، أنت مقصود و مُستهدف طول الوقت أنك تكون عبد و أسير، علشان بمنتهى البساطه، تفضل طول الوقت "تحت السيطره".

حاولت أعمل عملية حصر لكل أنواع المسيطرات اللى بتتحكم فى مسارات حيواتنا (جمع حياه)، و بتفرض عليك إتجاهات معينه، حتى لو كنت أنت نفسك مش حاسس بكده، و قدرت أقسمهم لمجموعات تبعاً لطبيعه كل نوع منهم، لكن قررت أكتفى بنوعين فقط، نوع بيمثل نموذج للسيطره عليك بشكل مادى، و مادى هنا تحمل المعنيين لكلمة "مادى"، و النوع التانى بيمثل نوذج السيطره المعنويه. حأتكلم عن النوع الأول فى الفصل ده، و عن النوع التانى فى الفصل التالى، لكن مره تانيه أحب أأكد أن النوعين اللى حنتكلم عنهم هما بس نماذج، لكن فيه عشرات النماذج و الأشكال من أنواع السيطره التانيه، غير اللى حأستعرضها معاك.

أول و أخطر نوع من أنواع المسيطرات، و هو اللى حأتكلم عنه فى الفصل ده، هى المسيطرات الماديه، المسيطرات الملموسه، اللى بتشكل تفاصيل حياتنا اليوميه، و خلينى أشرحلك الفكره، بالشكل اللى أنا شايف أنه الأمثل لشرحها.

مما لاشك فيه، سواء أنت حتسميها نظرية مؤامره أو لأ، سواء كنت حتصدقنى أو لأ، أن فيه إداره بتُحكم عالمنا، و بالطبع لو كنت مش مصدق، فده لن يُغير من الأمر أى شئ، بالفعل فيه إداره بتُحكم و بتتحكم فى عالمنا، إداره بتتحكم فى كل تفاصيل حياتك، بتشكل ملامح تفكيرك، بتحدد كل أختياراتك -اللى أنت بيتهيألك أنها قراراتك- بدايةً من شكل شرابك القصير، لحد نوع دراستك، لأغلب أختياراتك على مدار حياتك. حأشرح معاك ده بيتم أزاى أولاً، و ليه بيتم ثانياً. و بالمناسبه فده بيتم

فى كل أنحاء العالم، بمعنى أن مش أحنا بس كعرب أو كدول عالم تالت المعنيين بالفكره.

****

كالعاده حأرجع للسينما و الدراما الأمريكيه، و اللى ليها معايا أكتر من فصل فى الكتاب القادم. السينما و الدراما الأمريكيه هى طول الوقت جزء دائم من خطة السيطره على عقلك، لكن الغريب أن كل فتره بيرمولك فكره لشئ حيحصل فى العالم بعد ما بين 20 ل 30 سنه، و طبعاً ناس كتير سمعوا أو عارفين قصة عشرات التوقعات اللى أتحققت بعدها بسنين، و ده كان من خلال مسلسل الكارتون الأشهر "The Simpsons" أو "عائلة سيمسون"، لكن أختيارى النهارده حيكون لفيلمين بيحملوا أفكار فلسفيه لشكل العالم اللى أحنا بنعيشه، و أزاى أننا مجرد لعب بيتلعب بيها من أشخاص تانيين. الفيلمين بالرغم من الفارق الزمنى الكبير منهم، و شكل و فكرة كل فيلم فيهم، إلا أن كلا الفيلمين بيوصل نفس الرساله، لكن بألية تنفيذ و فكره مختلفه.

الفيلم الأول كان من إنتاج سنة 1998، للنجم الكبير چيم كارى، واحد من أهم النجوم أصحاب الفكر، و اللى كان دايماً فى أغلب أفلامه عايز يوصل رساله أو وجهة نظر، و أغلب أفلامه كانت يا أما عباره عن رسائل تحذير خفيه، أو تمهيد لأختراعات أو تكنولوجيا جديده، حتظهر فى العالم بعدها بأكتر من 10 سنين، زى مثلاً فيلم Cable Guy 1996، و اللى أتكلم فيه عن فكرة الSmart phone على أنه حيكون أمر واقع فى المستقبل، و حصل ده بعدها ب11 سنه بالضبط لكن حيفضل فيلم "The Truman show" أو "عرض ترومان" إنتاج 1998 زى ما ذكرت، هو الفيلم الأهم فى مسيرة النجم العملاق چيم كارى.

بيحكى الفيلم عن ترومان بيربانك، شخص فى التلاتين من عمره، و يا ريت تاخد بالك معايا من دلالة الأسم Truman، و اللى ممكن تقسمه لTrue man، و اللى معناها الرجل الحقيقى، مجرد مندوب لشركة تأمينات على الحياه، فى مدينه أسمها Seahaven سيهافين، اللى برضه لو قسمناها حنلاقيها Sea haven أو ملاذ البحر. ترومان متجوز من غير أولاد، حياته تقليديه جداً، أمبارح زى النهارده زى بكره.

ترومان عنده عقده من البحر، بسبب موت والده قدام عينيه، لما طلعوا مره و هو صغير رحلة صيد، و حصل وقتها ما يشبه الإعصار، الوالد غرق لكن ترومان العنايه الألهيه أنقذته، علشان تفضل عقدة ترومان مع البحر باقى عمره.

ترومان كان عنده حلم واحد فى حياته، و هو أنه يسافر جزر فيجى و يعيش هناك، لكن كل ما يخطط للسفر، تحصل حاجه تمنعه، و ده لسبب بسيط، و هو أن ترومان تم أختياره من قبل ولادته علشان يبقى بطل مسلسل مستمر على مدار حياته، كل اللى حواليه ممثلين، مدينة Seahaven ما هى إلا أستوديو كبير جداً أتبنى للمسلسل ده، و بيبقى الشخص اللى مش عارف أن كل ده تمثيل هو ترومان نفسه.

لما بيكتشف ترومان الحقيقه، بيدور حوار مهم جداً بينه و بين مخرج العمل -اللى ترومان مش شايفه لكن سامع صوته-، و هنا كان حوار ترومان مع المخرج، أشبه بحوار بين أنسان و ربه، و قاله فيه مخرج العمل أنه حر لو كان عايز يمشى و يسيب الحياه اللى أترسمتله، لكن بيخوفه من العالم الخارجى، بيفهمه أن الحياه اللى أترسمتله هى الأفضل ليه من كل الجوانب، لكن بيكون قرار ترومان أنه لازم هو بنفسه يختار حياته، حتى لو كان حيبدأها لأول مره بعد سن التلاتين.

أما الفيلم التانى فهو الأحدث إنتاجاً و الأشد خطوره، و هو فيلم ""Free Guy أو جاى الحر، الفيلم إنتاج سنة 2021. و بنفس منطق تحليلنا لأسم فيلم The Truman show، حأحلل أسم فيلمFree Guy لأكتر من تحليل. كلمة Free ممكن يكون معناها حر أو حرر، و Guy ممكن ترمز لأسم البطل أو Guy بمعنى شخص، فهنا ممكن الأسم يكون معناه حرر جاى -و هو الأسم الأقرب من وجهة نظرى-، أو جاى الحر، أو شخص حر، و كلمها تمشى مع فكرة الفيلم.

فيلم "Free Guy"، و اللى أُنتج بعد "The Truman Show" ب23 سنه، هو بالفعل بيدخلنا لمرحلة "ليڤيل الوحش"، لأنه نقل الرساله المقصوده فى فيلم چيم كارى لمرحله أخطر و أبعد، و خلينى أحكيلك قصة الفيلم، لو مكنتش بالفعل شفته.

الفيلم بيحكى عن جاى، موظف تللر فى بنك، أعزب، و بنشوف بداية الفيلم هى بالضبط نفس بداية فيلم "The Truman show"، و هى ببساطه أن جاى شخص تقليدى جداً، حياته زى ما التعبير الأمريكى بيقول From 9 to 5، و اللى معناه

موظف بيشتغل 8 ساعات فى اليوم، 5 أيام فى الأسبوع، و زى بداية فيلم "The Truman show"، بيوضح فيلم "Free Guy" أن يوم جاى هو يوم متكرر، أحداث النهارده زى أمبارح زى بكره.

بيبدأ الفيلم بمشاهد لمدينه أسمها Free city أو المدينه الحره، و كلمة حره هنا مش مقصود بيها زى بورسعيد أن مفيهاش جمارك، لأ هو أسم المدينه كده، و حنعرف ليه بعدين، و الناس فى المدينه منقسمين لفئتين، الأبطال و الناس العاديين، و بتعرف تفرق بين الفئتين، بأن الأبطال هما بس اللى لابسين نظارات شمسيه طول الوقت. الأبطال لهم قدرات غير عاديه، لكن بيكون أستخدامها فى أغلب الوقت فى أعمال غير أخلاقيه، بدايةً من السرقه لما هو أكبر.

بطل فيلمنا جاى مش من الأبطال، لكن من الناس العاديه اللى بتتضرب و بتتسرق كل يوم، و زى ترومان بالضبط، فجاى عمره ما خرج من مدينته Free city، لحد ما بيكتشف يوم زى ما ترومان أكتشف، أنه مجرد NPC فى لعبه زى Free fire و PubG و The Sims و هى لعبه أسمها Free city، و NPC معناها Non player character، يعنى الشخصيات اللى الناس مبتلعبش بيها فى اللعبه، الشخصيات اللى كل دورها أنها تكون مفعول به، يعنى تتضرب، تتسرق..إلخ.

و زى ما ترومان ثار على وضعه و رفضه، جاى بيقود ثوره لكل الNPC's، و بيغير كل التخطيط اللى وضعه مالك الشركه المنتجه للعبه، و البرمجه اللى عملها كل الprogrammers اللى كتبوا أكواد اللعبه.

****

طيب بعد ما أستعرضنا سريعاً قصة الفيلمين، أنا عايز أوصل معاك لأيه؟ الأجابه ببساطه أن السينما الأمريكيه -اللى أنا مش بحبها على الأطلاق- هى أحد أهم أدوات الترويج، سواء لتسويق و ترويج أفكار مطلوب أنها تنتشر، أو أنها نوع من التنبيه لحاجات كتير حتحصل فى المستقبل. التنبيه هنا مش بهدف التحذير -علشان حضرتك تاخد بالك-، لأ خالص، لكن الهدف هو تأهيلك نفسياً للمرحله اللى لسه حتيجى. أما تالت من أشكال الترويج فبيكون توصيف حاله بشكل غير مباشر، زى الفيلمين اللى أحنا أستعرضناهم، و زى فيلم "Eyes Wide Shut" من إنتاج سنة

1999، من بطولة توم كروز و نيكول كيدمان، و أخراج الرائع ستانلى كوبريك، و ده الفيلم اللى تسبب فى موت مخرجه بطريقه غامضه قبل عرض الفيلم سينمائياً، و كان السبب برضه فيى طلاق توم كروز و نيكول كيدمان بعد تصوير الفيلم و عرضه بفتره صغيره جداً.

طيب الفيلمين برغم الفارق الزمنى الكبير بينهم عايزين يوصلولنا أيه؟ ببساطه أن أكتر من 85 أو 90% من البشر هما مجرد لعب بيتلعب بيها، و دى الجمله اللى أنا قلتها فى أول الفصل، و هى أن مش أنت اللى بتختار، أنت بتختار من بين المتاح ليك أختياره، و أن أحنا كلنا بيتم التحكم فينا و فى مسارات حيواتنا "جمع حياه"، و دى حقيقه شئنا أم أبينا لازم نعترف بيها، و أن أحنا أصبحنا فقط أدوات بيتلعب بيها، عن طريق تحويلنا لكائنات إستهلاكيه طول الوقت، كائنات بتدور حوالين نفسها على مدار عمرها كله، و أى محاولات لتغيير المسار ده، أو أى محاوله للخروج عن الإطار المحدد حتى لو كان بإكتشاف أو أختراع يخدم البشريه، دايماً بتنتهى بموت غامض للشخص اللى بيحاول، زى الموت الغامض و المريب لنيقولا تسلا، العالم اللى كان حيغير وجه الكون، و اللى أكتشف كهرباء بدون أى تكلفه من الطبيعه، و ده فى مقابل تحويل توماس أديسون، و اللى سرق أغلب الأختراعات المنسوبه له لأيقونه، و زى العالمه المصريه سميره موسى، و زى جون كنيدى و مايكل چاكسون، أو الطبيب الصينى لى وينليانج، و اللى كان أول من أكتشف فيروس الكوفيد 19 فى بدايات تماماً، و أنتهت حياته بعدها بأسابيع بالكوفيد نفسه، و زى عدم ظهور أى علاج حقيقى للأورام السرطانيه لحد النهارده، و ما شابه.

الفكره ببساطه أن من بعد الحرب العالميه التانيه، و اللى أنتهت سنة 1945، بدأ العالم يتحول لشكل جديد تماماً، أول ملامحه هو تعميق الفجوه بين الدول المتقدمه و الدول الناميه أو النايمه، و ده طبعاً لسببين لا يخفوا على أحد. الأول علشان تفضل الدول الناميه سوق أو مستهلك كبير لمنتجات الدول المتقدمه، أصل طبعاً مفيش شخص حيعمل منتج ملوش سوق. أما السبب التانى الأكتر كارثيه فهو أن أغلب الدول الناميه هى اللى بيحتوى باطن أراضها على الثروات، و الثروات دى بتتمثل فى المواد الخام اللى بتحتاجها أغلب الصناعات، خصوصاً البترول و المعادن، و طبعاً الدهب، و اللى هو أحد الأسباب الرئيسيه للحرب اللى دايره فى السودان حالياً.

فطبعاً طول ما الدول النامية مش بتصنع، طول ما الدول المتقدمه قادره تاخد الثروات دى بأبخس الأسعار، و للأسف ده بالفعل تحقق، و منجاش من عمليه النوم فى العسل دى، غير بعض دول الشرق الأقصى أو النمور الأسيويه.

تانى ملمح هو عملية الGlobalization أو العولمه، و اللى هى بأختصار غير مخل خطة طمس هوية كل الشعوب و الأعراق، و تحويل العالم كله لشكل واحد، الخطه اللى سموها العولمه، لكن هو فى الحقيقه "Americanization" أو أمركه، و ده عن طريق تحويل كل الناس للنموذج الأمريكى "شكلاً"، سواء فى اللبس أو الأكل أو الLifestyle أو الثقافه، بحيث يتحول الناس فى العالم كله لشكل واحد، و ده بيتحقق عن طريق نشر المبادئ لرأسماليه، و اللى هى الشكل الوحيد اللى حيقدر يحقق عملية الأمركه دى، و حتى دول زى اليابان و كوريا الجنوبيه، بالفعل تحولت للشكل ده، و بدأت عمليات طمس هوياتها الأصليه بشكل تدريجى سريع جداً.

****

طبعاً فيه ملامح تغيير تانيه كتير، لكن مش حتخدمنا فى موضوع فصلنا، علشان كده مش حاذكرها لعدم الأطاله، لكن حاكتفى منها بملمح واحد حيكون مدخلنا لأول حاله من حالات السيطره، و الملمح ده مرتبط أو مأخوذ من قلب عملية العولمه أو الأمركه، و هى فكرة تحويل أغلب سكان كوكب الأرض لكائنات أستهلاكيه، كائنات تعيش للشراء فقط، و اللى حتشتريه النهارده، حتدورله على بديل تانى بكره علشان تشتريه، و تفضل على كده لأخر يوم فى عمرك، علشان يفضل محور حياتك هو السؤال الدائم "حأشترى أيه النهارده؟".

خلينى أديك مثال بسيط منتشر جداً الفتره دى. بقالى أكتر من 6 أشهر كل ما أدخل شركه من شركات المحمول لعمل أى خدمه أنا محتاجها، بسمع نفس الجمله "أيه رأى حضرتك عندنا خطوط جديده عليها عرض حلو جداً"، أرد عليه أنى بالفعل معايا خطين، و الخطين دول مربوط عليهم كل شئ فى حياتى، فيفضل الموظف يعددلك فى مزايا الأنظمه الجديده، و أنك ممكن تنقل كل بياناتك بسهوله، و بالمناسبه فالمزايا دى بيكون أقصاها 3 أشهر. و ينسى الموظف تماماً الخدمه اللى أنت دخلت علشانها، و يركز فى موضوع الخطوط الجديده، لدرجه بتوصل لفرضها عليك أحياناً

فى شركه معينه، و بتضطر تقبل أحياناً، علشان يتعملك الخدمه اللى أنت أساساً داخل تطلبها، طيب ليه ده بيحصل؟

فيه نوعين من الأسباب، السبب الظاهرى هو أن كل شركه عايزه توصل لأكبر عدد خطوط أتباعت من الشركه، حتى لو الرقم كان وهمى، بس علشان يقولوا مثلاً أحنا عندنا 10 مليون مشترك، فتفضل الشركه تحاول تبيع فى خطوط طول الوقت، و متستهونش بالمبلغ -اللى ممكن تشوفه بسيط- الخاص بتمن الخط الجديد.

أما السبب الخفى، و اللى بيستهدفه من هم يتحكمون فى الشركات دى، و بيستخدموه للوصول لأهدافهم، فهى فكرة أنك تفضل طول الوقت فى دايرة الشرا، لأن عادة مفيش شخص بيشترى خط كل شهرين و لا تلاته، يعنى أنا مثلاً الخطوط اللى معايا بقالها أكتر من 17 سنه، و ده طبعاً كارثى بالنسبه لأى شركه، مش بس بالنسبه لفكرة بيع الخطوط، لكن بالنسبه للمنظومه اللى عايزاك تفضل تحت السيطره طول الوقت، حتى لو كان عن طريق التغيير و الشرا لخط موبايل.

مثال تانى بيحصل لكتير من الناس الأيام دى، خصوصاً اللى عندهم مرتب واضح و ثابت، و هى فكرة تهافت البنوك على أنها تديلك قرض، و تلاقى 3 أو 4 موظفين من بنوك مختلفه يكلموك و يعددولك فى سهولة تقسيط القرض، و يحاول الموظف بكل الطرق أنه يعملك كم من الأغراءات بشكل غير طبيعى، كأنه هو اللى عايز يستلف منك.

مثال ثالت و ده الأكثر وضوحاً، و هو أنتشار شركات و طرق التقسيط بشكل غير طبيعى خلال الفتره الأخيره، علشان حتى اللى مش قادر يشترى، يلاقى طريقه تمكنه من ده، بالعكس ده التقسيط حيخليه يبدأ يفكر فى شرا حاجات مكانتش فى دايره أولوياته أصلاً، بس أصل سهولة الدفع -حتى لو كنت حتدفع تمن الحاجه مرتين-، هو الهدف، فتلاقى عينيك رايحه على الڤتارين طول الوقت، و أكيد حتضعف قدام حاجه منهم ممكن متكونش محتاجها قوى، أو كانت خارج دايرة أهتمامتك.

طيب أيه تانى عندنا من وسايل تحقيق السيطره الكامله عليك، من خلال فكرة تحويلك لكائن أستهلاكى؟ أنا حتكلم دلوقتى فى موضوع فى منتهى الخطوره، سواء فى ألية تنفيذه، أو أبعاده الصحيه و الأجتماعيه، و الموضوع اللى حأتكلم فيه من أخطر

الوسايل اللى أتُبعت لتحقيق أغراض كتير، كلها للأسف أسوأ من بعضها، و خلينى أتكلم معاك فى وهم كارثة "The Perfect Body" أو الجسم المثالى، و اللى أحنا كمصريين سميناه أسم لطيف كعادتنا، و هو "فورمة الساحل"، طيب أيه قصة فورمة الساحل، و أيه أبعادها الخفيه؟

حنرجع مع بعض كام فقره، و نوصل لتانى ملمح من ملامح التغيير اللى تمت بعد الحرب العالميه التانيه، و هو الGlobalization أو العولمه، و اللى أتفقت معاك على تسميتها أمركه، طيب أيه علاقة فورمة الساحل بالأمركه دى؟ لأ دى ليها علاقه و علاقه وثيقه جداً.

الشكل المثالى أو فورمة الساحل، هى جزء من خطط كتير جداً، حأستعرضها معاك كلها، لكن حأبدأ بفكرة طمس الهويه، و هنا الهويه المقصوده هى هويه على مستويين، الأول المستوى العرقى و الثقافى، و التانى المستوى الأنسانى الشخصى. مفهوم و مقاييس الجمال بتختلف من بلد للتانيه، و من عصر للتانى، يعنى لحد النهارده فى بلد لسه متأمركتش بالقدر الكافى و هى موريتانيا، جمال المرأه بيقاس بوزنها الزائد، و كنت لسه شايف فيلم موريتانى بيتكلم عن الموضوع ده. و ده برضه كان المفهوم السائد فى مصر يمكن لحد بدايات الخمسينات، و تقدر تتأكد من كلامى من خلال الأفلام القديمه. الكلام ده مكنش فى مصر أو الدول العربيه و بس، لكن تقدر تتأكد منه من خلال عشرات الرسومات الكلاسيكيه لرسامى عصور النهضه و ما بعدها.

طيب أيه الأهداف المطلوبه من تحويل الناس فى العالم كله لهوس الجسم المثالى؟ تعال معايا نستعرضها مع بعض:

أولاً زى ما قلت طمس الهويه، بتحويل الناس سواء سيدات و دلوقتى كمان الرجال لشكل واحد بس يكون هو المقبول و المطلوب، و أحياناً كتير بيكون من معايير قبولك فى بعض الوظايف، و لازم تاخد بالك أن تحويل الشكل ده مش مرتبط بس بالبنيه الجسديه، لأ هو بيتبعه كمان style للبس، أمال تبقى فورمة الساحل أزاى، مش لازم تبينها؟ و هنا أصبح الرجال قبل السيدات بيتجهوا للملابس الضيقه اللى حتبين العضلات، و اللى طبعاً بدأت تبقى هى الموضه.

الشخص اللى خارج منظومة فورمة الساحل، يعنى اللى مش بيحب اللبس الضيق الSkinny، أو شكل جسمه مش حيسمح بيها، مش حيلاقى بسهوله اللى هو عايزه، الأذواق أصبحت أغلبها فى أتجاه واحد، المقاسات أصبحت صغيره جداً، لدرجة أن المقاسات نفسها تعريفها صغر، يعنى الLarge بتاع دلوقتى هو الMedium بتاع 10 سنين فاتوا، و هكذا، و بالتالى يا تدخل فى المنظومه و تصبح واحد من ملايين الرجال أو السيدات اللى بقوا شبه بعض، يا حتعانى من كل حاجه.

يدخل معانا فى موضوع طمس الهويه جزء خفى بس هو فى غاية الأهميه، و بيتمثل فى سلوكيات ما بعد الوصول للجسم المثالى أو فورمة الساحل، بتبدأ مرحلة إظهار هذا الجسم بطرق مختلفه، و أكسسوارات و تفاصيل تناسب أيه الجزء اللى حيبان، يعنى هى الناس حتعمل كل ده علشان تخبيه؟ طبعاً لأ.

هنا تبدأ تفاصيل كتير تظهر، عمرها ما كانت من تقاليدنا أو سلوكياتنا قبل كده، زى عمليات أزاله الشعر بالليزر للرجال، طبعاً علشان نبين تفاصيل العضلات، زى ما بيعمل لاعبو كمال الأجسام فى البطولات، و ده سلوك كارثى و غريب علينا جداً، و أذكر من 3 سنين قابلت صحفيه -بتكتب فى واحده من المواقع الصحفيه المهمه جداً- فى ورشة عمل، و كانت عامله تحقيق صحفى عن الموضوع ده، و بتدافع عن الفكره بشكل غريب جداً، و أعتبرت أن رفضى للفكره سلوك غير حضارى. كمان طبعاً ظهرت فكره الTattoo أو الوشم، و هى و إن كانت موضوع مستقل بذاته، لكن نقدر برضه نربطه برضه بفكرة هوس الجسم المثالى.

بالنسبه للبنات لازم برضه يُظهروا هذا "الجسم المثالى" و ده طبعاً بيكون عن طريق الملابس القصيره، و خاصة القصيره من فوق، و اللى حتُظهر منطقة البطن، و ده بدأ ينتشر حتى فى الشارع، و معاه بدأت تظهر فكرة الحلق فى أماكن غريبه و غير معتاده فى الجسم، زى البطن، و طبعاً ده أكيد مرتبط بفكرة أن الجسم يكون مثالى. كل التفاصيل دى و أكتر هى بنود بسيطه جداً فى عملية طمس هويتك الثقافيه من خلال بس وهم "الجسم المثالى".

ثانياً أو تانى الأهداف، هو عملية تحويلك لكائن بيصرف طول الوقت على الوصول للجسم المثالى، أو طبعاً الحفاظ على الجسم المثالى اللى أنت وصلتله، و الصرف ده

بيتم من خلال أربع أماكن للصرف، أولهم طبى، من خلال عمليات كارثيه زى شفط الدهون و تكميم المعده، عمليات ضررها الطبى أضعاف نفعها، و دى بتكون المرحله الأولى.

ننتقل للمرحله التانيه، و اللى فيها 3 أشكال للصرف، أدويه و مكملات غذائيه كارثية الضرر، و كتير منها مش بيكون مُعتمد من أى هيئه طبيه محليه أو عالميه، و طبعاً الأنترنت مليان بأعلانات لبيعها، ده غير توافرها بسهوله فى أماكن و محلات كتير، ثانياً الصرف على نظام غذائى مفيهوش كل العناصر الغذائيه، و كمان غالى جداً، بس كلمة السر "Low calories" أو "قليل السعرات الحراريه". و أخيراً رياضه معلبه، و زى كل ما سبق ذكره، ضررها أكتر من نفعها، و هى الGym، و نبعد طبعاً عن الرياضه الصحيحه، و اللى فعلاً بتكون مجديه و صحيه، زى المشى و الجرى و العجل...إلخ.

كده يبقى تانى هدف من الأهداف، و هو أنك تفضل تصرف طول عمرك للوصول أو للحفاظ على شكل جسم مثالى أتحقق، لأنك طالما دخلت فى الدايره المغلقه دى، حتفضل تلف أو تلفى فيها طول العمر، و كارثه بقى لو الوزن زاد نص كيلو.

****

قبل ما ندخل على باقى الأهداف، لازم أأكد على موضوع أتكلمت عنه فى فصل تانى، بس نظراً لأن ترتيب الفصول فى الكتاب مش بترتيب كتابتها، فالفصل موجود فى الأخر، و الموضوع ده هو برضه واحد من أهم مواضيع كتابى القادم، و هو موضوع "الملیار الذهبى"، و اللى ممكن تكون سمعت عنه، و ممكن تكون فاكره نظرية مؤامره، بس زى ما كتبت عنه فى فصل تانى، ففلاديمير پوتين نفسه أكد الحقيقه دى، أن فى مؤامره لتقليل سكان العالم من 8 مليار لمیار واحد بس، و دى بدعوى أن ثروات الأرض قربت تخلص، و مش حتكفى كل العدد ده من البشر، طيب أيه علاقة فورمة الساحل بموضوع الملیار الذهبى؟

خطة الملیار الذهبى بتهدف لتقليل عدد البشر، طيب التقليل دى ييجى أزاى، أكيد مش حييجى فى يوم و ليله، لكن حييجى بالتدريج، و على مدى زمنى مش قصير،

و أكيد برضه مش حيتم بعمليات قتل، لكن حيتم من خلال تفاصيل حياتيه كتير، حتزود نسبة الوفيات و تقلل المواليد.

تزويد الوفيات طبعاً بيتم عن طريق نشر العنف، الحروب الأهليه، الأوبئه، نقل بعض الصناعات المسببه لكتير من الأمراض القاتله لدول ناميه، زى صناعات السيراميك و الأسمنت، نشر فكرة الأنتحار...إلخ.

طيب كل اللى فات ده ملوش علاقه بموضوع هوس "الجسم المثالى"، طيب أيه اللى له علاقه؟ اللى له علاقه هو تقليل المواليد، و ده بيتم برضه بأشكال كتير، زى نشر فكرة المثليه، زى تقليل نسبة الخصوبه، زيادة نسب الطلاق، و السببين الأخيرين دول هما اللى حيخصونا فى موضوعنا.

أغلب الأدويه و المكملات اللى بتتاخد للوصول بسرعه جداً للشكل المثالى، هى أدويه زى ما قلنا مش معتمده من أى هيئه طبيه محليه أو عالميه، و كل الأدويه دى و بلا أستثناء لها أعراض جانبيه، و من أهم الأعراض الجانبيه دى هو أن كتير منها بيتسبب فى العقم، و ده بيكون التأثير الصحى المباشر اللى بيسببه هوس "الجسم المثالى" على فكره تقليل نسبة المواليد.

فيه نوع تانى من التأثير، و هو التأثير الغير مباشر، و ده بيعتمد على العامل النفسى، و نقدر هنا نقسمه لقسمين، أثر هوس الجسم المثالى على العلاقه بين الأزواج، خاصةً من جانب الرجال، و التانى تأثير التنمر أو حتى العامل النفسى على الأشخاص اللى مش بيمتلكوا "الجسم المثالى"، و خاصة من جانب السيدات، و بالأخص البنات اللى لسه متزوجوش.

القسم الأول هو أن كل راجل -أياً كان مظهره و أمكانياته-، و سواء كان متزوج أو لأ، أصبح عنده هوس بالبنت ذات الجسم المثالى، فلو كان متزوج، بيفضل طول الوقت يعمل مقارنه بين زوجته، و بين البنات الكتير اللى بيشوفهم فى التليفزيون، على الأنترنت، و فى الشارع، حتى لو كان هو مش براد بيت Brad Pitt -و طبعاً عمره ما حيكون-، و حتى لو كانت أمكانياته الماديه متسمحش أن مراته تشترى حتى صباع روج، لكن برضه حيبقى بالنسباله الغلط منها، و حيبدأ طول الوقت يعقد مقارانات ظالمه، فبتبدأ شيئاً فشيئاً العلاقه بينهم تفتُر. فى نفس الوقت، ممكن مراته نفسها

تبدأ تتطالبه بفلوس علشان تقدر تبقى زيهم، المهم أن فى النهايه، الموضوع بيوصل للخلافات، و اللى أحياناً كتير بتوصل لأنهاء كتير من الزيجات، بسبب شكل الزوجه، اللى مش زى "فورمة الساحل" المطلوبه.

القسم التانى و هو العامل النفسى، و أزاى أن البنت اللى معندهاش مواصفات "الجسم المثالى" بتعانى نفسياً، سواء بينها و بين نفسها، لما بتقارن بينها و بين صاحبات "الجسم المثالى"، أو من التنمر سواء المباشر أو غير المباشر، و التنمر المباشر ده موجود بقوه فى المدارس، خاصة المرحله الثانويه، و ممكن تفتكر معايا من كام شهر، قصة الطالبه اللى كانت فى المرحله الثانويه و أنتحرت بسبب تنمر البنات عليها بسبب شكلها. كان فى مشهد قاسى جداً فى مسلسل الغرفه 207 لفلاش باك للفنانه سلوى عثمان لما كانت طالبه فى المرحله المدرسيه، و البنات بيتنمروا عليها بسبب زيادة وزنها، و المشهد مع قسوته بالنسبالى، لكن هو حقيقى و بيحصل طول الوقت.

طيب الأسباب السالف ذكرها، مش كفيله تقلل أعداد البشر، سواء بتوقف الإنجاب بسبب حالات الطلاق، أو الأنتحار المبكر؟ أنا عارف أن حضرتك ممكن تعتبر أن فكرة الملیار الذهبى دى "نظرية مؤامره"، لكن للمره التالته حاأكد أن عدم تصديقك أو معرفتك لشئ، لا يعنى أبداً أنه مش موجود.

****

موضوع "الجسم المثالى" حياخدنا لشكل تانى من أشكال السيطره، و هو سيطرة الUp to date و اللى أسمها الدارج هو "الموضه". اللبس و الأكسسوارات و ما يتبعها، هى من أكتر العناصر اللى الناس بتصرف فيها بعد الأكل طبعاً، و ممكن لو أنت بتشوف أفلام قديمه، حتكتشف أن زمان الراجل العادى كان ممكن كل اللبس اللى عنده هو بدلتين بيبدل فيهم، و البنت بتفصل فستان كل سنه، و ده كنا بنسمعه فى كتير من حوارات أفلامنا القديمه. طيب أزاى التغيير الكبير ده حصل، و اللى خلى بنات كتير أعرفهم قدراتهم الماليه مش عاليه، لكن لازم تقريباً بيجيبوا ملابس كل شهر، أزاى وصلنا للمرحله دى.

نبدأ من مرحلة بدايات القرن العشرين لحد منتصفه تقريباً، و أنا هنا حأتكلم عن دولنا العربيه، و حأدى مثال بمصر، و اللى كانت مع 4 أو 5 بلدان عربيه فقط، هما الأكثر تطوراً فى الجزئيه دى و بعض الطبقات فيها قادره تتابع تغييرات الموضه، وقتها كانت مصادر مُتابعة الموضه هى بس مجلات الموضه، و كانت أغلب الناس بتفصل، مش بتشترى جاهز إلا فيما ندر، و الأهم من كل ده، أن كان معدل تغير الموضه بطىء جداً، طيب أزاى النقله الكبيره دى بدأت تحصل؟

مع ظهور التليفزيون، و اللى بالتدريج بدأ يدخل كل البيوت، و زى ما الأنترنت كان رفاهيه فى البدايه، و تحول لجزء لا يتجزء من حياتك، بدأ التليفزيون بالتدريج يغزو حياتنا، لحد ما أصبح فى الثمانينات من القرن العشرين عنصر أساسى فى الغالبيه العظمى من البيوت المصريه، جزء من خطة الزواج، و أعنى بيها الحاجات اللى حيتم شراها للبيت قبل الزواج.

التليفزيون كان أول مرحلة غزو للعقليات، تبعه التطورات الطبيعيه اللى بتعقُب أى أختراع، بعد التليفزيون ظهر الڤيديو و من بعده القنوات الفضائيه و الDVD، و أخيراً الYoutube و ما شابه، و أصبح الناس Up to date أو على مواكبه بكل متغيرات الموضه فى العالم لحظه بلحظه.

كل الأختراعات دى كانت وسايل مساعده لفكرة نشر الهوس بالموضه، فكانت النتيجه أن معدلات التغير فى الموضه أصبحت سنويه، و طبعاً سنويه دى المقصود بيها كل فصل من فصول السنه، بمعنى أن كل سنه بتظهر لنا 4 متغيرات فى الموضه، تبعاً للأربع فصول، و وصل الأمر لأن الملابس الصيفى مثلاً اللى البنت حتشتريها السنه دى، السنه الجايه حتكون موضتها راحت. و هنا بيوت الأزياء الكبرى، و من وراها الجهات اللى بتديرها، عرفوا أزاى يجبروا أغلب الناس، و خاصة السيدات، على فكرة التغيير المستمر، بدايةً من الملابس، للنظارات الشمسيه، لأبسط الأكسسوارات، بس المهم تفضل تدور فى دايرة عملية الشرا طول الوقت.

طيب بالنسبه للناس اللى قدراتها الماديه مش حتقدر على كل هذا الكم من الصرف، هل ممكن يتسابوا كده؟ لأ طبعاً، بالعكس، فهذه الشريحه هى الأكثر أستهدافاً، و من هنا ظهرت فكرة الHigh Copy و الCopy، و اللى عمرنا ما سمعنا

أن الشركات الأصليه بتحاربهم، بالعكس ده أغلب الوقت الCopy بيكون عليه نفس شعار المنتج الأصلى، و كل ده مقصود، علشان اللى مش قادر مادياً، يلاقى نفسه برضه قادر على متابعة الموضه طول الوقت زى القادر، و داخل فى نفس المفرمه، لكن كل واحد بحسب قدراته، و أحب أأكد مره تانيه، أن الهدف مش بيكون بس المكسب المادى، لكن الهدف الرئيسى بيكون أنك تفضل دايماً تحت السيطره.

****

أوصل معاك لأخر شكل من أشكال السيطره الماديه فى فصلنا، و هو الأهم و الأخطر و الأكثر تأثيراً من كل ما سبق، علشان كده أجلته لأخر الفصل، و لازم أعترف أنى شخصياً من الناس المقصوده فى هذا الجزء، و هو السيطره التكنولوجيه، سيطرة أنك تكون عبد للتكنولوجيا و خصوصاً تطبيقات الموبايل طول الوقت.

بدايةً، أنا مش شخص له أى علاقه بتطبيقات الSocial media على الأطلاق، و أقصى علاقتى بيهم هو WhatsApp علشان أبعت ملفات للأشخاص اللى مش بيتعاملوا مع فكرة الEmails، و الMessenger علشان أتواصل تليفونياً مع بعض الناس اللى عايشين بره مصر و بس، علشان كده أخدت قرار فى الصيف اللى فات أنى أخوض تجربة أنى أرجع للموبايل القديم، موبايل مش Smart Phone، و بالفعل أشتريت واحد، و عشت بيه لمدة حوالى شهرين، لكن التجربه فشلت تماماً، ليه؟

لأن ببساطه حياتنا كلها أصبحت مجموعه من التطبيقات، فمعرفتش أتعامل بدون مجموعه تطبيقات بحتاجها كل يوم، الأولى فئة تطبيقات وسائل النقل و حجز القطارات و الباصات أو سيارات الأجره. و التانيه التطبيقات البنكيه اللى كانت بتوفر عليا مشاوير البنك، و اللى أصبحت -خصوصاً بعد فيروس الكوفيد 19- ضروريه جداً، و كان علشان تعمل خدمه بسيطه في البنك، ممكن تضيع ساعتين أو تلاته غير وقت المشوار، ده غير فكرة حجز الشهر العقارى أو كل المصالح الحكوميه، أو تقديم إقرارك الضريبى، و اللى أصبح بعضها ضروره من خلال التطبيقات و بس.

ببساطة ففكرة الSmart phone، و اللى أصبح بيدير كل حياتنا، فكره فى منتهى الخطوره، على قد ما سهل علينا عشرات التفاصيل الحياتيه، و على قد ما وفر لنا وقت كبير، على قد ما أضراره مئات الأضعاف مقارنةً بالمميزات اللى قدمهالنا، و

خليني أبدأ من أخر سبب أجبرنى على الرجوع لأستخدام Smart phone مره تانيه، و هى أن أصبح فيه ضروريات فى حياتك مش حتقدر تعملها من غيره، و تعال معايا أحكيلك الحكايه من الأول.

ظهرت خدمة الهاتف المحمول فى مصر فى أواخر سنة 1995 و بدايات 1996، و كانت تابعه لوزارة الأتصالات، و كانت بنظام أشتراك شهرى عالى جداً وقتها، و الأشتراك كان لا يشمل أى مكالمات، يعنى حتدفع الأشتراك و معاه تكلفة المكالمات. فخلال الفتره دى كان التليفون المحمول دليل على ثراء فاحش، و مع صفوة المجتمع المصرى و بس.

بعدها بسنتين بس، يعنى فى سنة 1998 أشترى نجيب ساويرس الشبكه بأبراجها، و سماها وقتها "موبينيل"، فى الفتره دى أعلن نجيب ساويرس أنه حيخلى كل شخص فى مصر معاه موبايل، و خلى الSlogan أو شعار شركته "المحمول فى يد الجميع"، وقتها أنا أستغربت جداً، يعنى أيه اللى حيخلى واحده زى البياعه اللى فارشه على الأرض فى الشارع، ولا عامل نظافه، و لا حتى طالب فى مدرسه يمسك موبايل، و أنا هنا مش قصدى التقليل من أى مهنه على الأطلاق، لكن قصدى أنى متخيلتش أن حيكون عندهم أحتياج لوجود موبايل معاهم من الأساس.

بس كعادة نجيب ساويرس، اللى عمره ما قال كلمه و هو مش عارف ما ورائياتها، حقق ما أعلنه حرفياً، و فى خلال حوالى 11 سنه، تحديداً فى 2009، كان بالفعل أكتر من 72% من سكان مصر معاهم موبايل، وصلت ل90% سنة 2010، و ده من خلال الأحصائيات الحكوميه الموثقه، و أعتقد أن فعلاً النسبه حالياً تكاد تكون قربت توصل 100%.

الموبايل خلال أقل من عشرين سنه أنا عشتهم، و تابعت خلالهم تطور أستخدام الموبايل فى مصر و العالم كله، أصبح أهم وسيله للسيطره على العقول بكافة الأشكال، الغالبيه العظمى من الناس أصبحت تحت سيطرة الموبايل تماماً، و خاصة الفئه المستهدفه و هى الشباب تحت سن العشرين. فيا ترى كان أيه الهدف الأساسى من وجود ال الSmart phone و اللى نوه عنه بشكل واضح النجم چيم كارى فى فيلم Cable Guy 1996، قبل ما يظهر بالفعل بحوالى 11 أو 12 سنه، ده طبعاً غير

التنويهات الكتيره المستتره فى المسلسل الكارتونى The Simpsons أو عائلة سيمسون.

المحمول زى ما أعتقد هو الوسيله الأهم للوصول للمرحله الأخيره من مراحل السيطره على البشريه ككل، و السيطره هنا لها أكتر من أسلوب، و كلها للأسف أسوء و أخطر من بعض، و خلينى أستعرضهم معاك -و بشكل تصاعدى قدر الأمكان- تبعاً لخطورتهم.

أول أشكال السيطره حتكون بتحويلك لألة شراء دائمه، بمعنى أنك حتفضل تشترى طول الوقت، و حتكون البدايه طبعاً شراء الجهاز نفسه، و الجهاز اللى حتشتريه لازم يكون قادر على تحمل كل التطبيقات اللى أنت عايز تنزلها من المتجر، فبنلاقى أن الشباب بالأخص، بيتجهوا لشرا أعلى الموبايلات أمكانياتاً، و طبعاً حتكون أغلاها سعراً، و الكارثه أن بعد فتره فى حدود سنتين أو تلاته على أحسن تقدير، بيكون حصل خلالهم تطور كبير للتطبيقات، فبالتالى أمكانيات الموبايل بتكون أقل من اللى التطبيقات محتاجاه، فبيبدأ الشخص فى البحث عن موبايل يناسب أحتياجات التطبيقات دى بعد تطويرها، أو لظهور تطبيقات جديده محتاجه Hardware أو أمكانيات موبايل بشكل أعلى، و أنا متخيل أن الأحتياج للتغيير قريب جداً حيبقى بشكل سنوى.

من خلال مئات الألاف من التطبيقات، بتكون فيه برضه مئات الألاف من الوسائل اللى حتجبرك على الدفع طول الوقت، حاخد واحد من أخطرها، و هو الألعاب. أنا كتير بروح أقعد مع صديق ليا فى المحل اللى بيديره فى منطقة المهندسين، و هو عنده هناك أكتر من ماكينه من ماكينات الدفع الألكترونى، و أنا من عادتى متابعه سلوكيات الناس، فأكتشفت أن نسبة الشباب اللى بتدخل علشان تحول رصيد للألعاب Online مش قليله، و ده طبعاً بيكون علشان تشترى حاجه حتحتاجها داخل اللعبه نفسها، و ده بيتحول عند الشباب -زى ما ذكرت فى فصل سابق- لنوع من الأدمان. أفتكر لعبه كانت ظهرت من فتره كبيره، و بصراحه أنا مش عارف هى لسه موجوده و لا لأ، و كان أسمها "المزرعه السعيده"، اللعبه دى تحولت عند كتير من الناس لما يشبه الأدمان، كنت بلاقى ناس كل دقيقين تفتح الموبايل علشان تتطمن على الزرع اللى زارعينه فى اللعبه، و طرح و لا لأ، بجد أنا كنت وقتها

بستغرب تلك الحاله من الهبل و ألا معقوليه. فدلوقتى بدأت مرحلة أنك لازم تدفع علشان تكمل فى اللعبه، حتدفع علشان تكسب، حتدفع علشان علشان تشترى أكسسوارات...إلخ، و ده المبدأ اللى بنى عليه مارك زوكربيرج فكرة The Metaverse الميتافيرس، أنك حتدفع طول الوقت، أن الميتافيرس حيكون متجر مفتوح طول الوقت لشراء عالم أفتراضى.

نوع تالت من أنواع السيطره عن طريق تحويلك لألة شراء دائمه، و هو التسوق عبر الأنترنت، و التسوق هنا له شكلين، شكل مهذب و أنيق و رسمى، و ده بيكون عن طريق التطبيقات الرئيسيه، اللى الناس أصبحت بتشترى أغلب أحتياجاتها من خلالها. ده بجانب البيع الألكترونى اللى تحولت له أغلب المتاجر، سواء كانت ملابس، أدوات كهربائيه، أكل، أو حتى بقاله. أنا شخص مش قادر أتخيل لحد دلوقتى أنى ممكن أشترى أى قطعة ملابس من غير ما أقيسها و أشوف شكلها عليا، و برضه مش قادر أتخيل أنى أقدر أشترى بقاله أو خضروات، من غير ما أنزل بنفسى، لأن طول عمرى بتعامل مع نزلة السوبر ماركت كنوع من الفسحه و تغيير الجو.

و أخيراً و فى نفس الأطار المهذب الأنيق، فالأنترنت برضه سمح لكل شخص بيعمل أى منتج يدوى، بيقدم أى نوع من الخدمه، أو حتى عايز يتاجر بأى شكل، أنه يعمل ده بأريحيه كامله، من غير عناء وجود محل و أجراءات تسجيل...، يمكن بعض الدول قررت أنها تعمل نوع من السيطره على الفكره دى، علشان الناس متعملش أقتصاد موازى خارج المنظومه الأقتصاديه الحكوميه، لكن الأنترنت نفسه معملش على التجاره الألكترونيه أى قيود، هو بس أحياناً بيشاركك فى جزء من المكسب.

أوصل معاك لرابع نوع من أنواع السيطره عن طريق تحويلك لألة شراء دائمه، بس الأول أحب أشرلحك شئ بسيط، فى علم الProject Management أو إدارة المشروعات، هناك ما يُسمى سياسة الPush notifications أو الأشعارات المدفوعه، و مدفوعه هنا مقصود بيها أنها بتتزقلك علشان تشوفها غصب عنك، و ده طبعاً كلنا لامسينه، سواء على الYoutube، أثناء الGames، أو حتى الأعلانات الثابته اللى بتظهرلك و أحياناً بتكون مغطيه على الخبر أو الموضوع اللى أنت عايز تقرأه، و دى أخطر نقطه عايز أتكلم عنها فى الفصل ده كله

الكلام اللى قلناه فى ال3 أنواع اللى فاتت من طرق تحويلك لماكينة دفع، كان بيمثل الشكل مهذب و أنيق و رسمى، فماذا عن الشكل الغير رسمى؟ تعال معايا ناخد الموضوع بالتدريج و خطوه خطوه.

الأعلانات اللى بتظهرلنا دى بتكون أعلانات Tailored و الكلمه دى معناها متفصله على مقاسك، بمعنى أن كل كلمه حضرتك بتستخدمها فى محركات البحث، بتتحول لKeyword أو كلمه دلاليه عند المحرك البحثى، علشان تبدأ تصنفك، يعنى مثلاً شخص بيدور على مواقع رياضيه أغلب الوقت، غير شخص بيدور على مشاهدة أفلام، غير بنت بتدور على ملابس، و طبعاً مع الكلمه الدلاليه بيكون فى عامل أخر بيتم التعامل معاه، و هو موقعك الجغرافى، ده غير المعلومات الخاصه بيك، زى عمرك، الچندر بتاعك (ذكر أو أنثى)، ...إلخ، و من كل المعلومات دى، بتبدأ الأعلانات اللى بتخص أهتماماتك تحاصرك.

بيكون قدام حضرتك أختيارين، يا تقبل فكرة الأعلانات، و اللى طبعاً حيكون لها أثر كبير فى توجيه عقلك الباطن للشرا، أو أنك تدفع أشتراك شهرى على المواقع اللى أنت بتدخل عليها -اللى الأعلانات بتحاصرك من خلالها- علشان تمنع وصول الأعلانات لك. و هنا هو نجح و أجبرك على الدفع علشان الأعلانات متقطعش الGame اللى حضرتك بتلعبه، أو الفيديو اللى كنت بتشوفه إلخ. بالضبط زى ما تكون بتدفع فلوس لشخص بيضايقك علشان يبطل يضايقك.

اللى أنا قلته ده، و بالرغم من كونه بيخترق خصوصياتك من خلال تسجيل كل كلمه أنت بتكتبها، لكن لسه باعتبره برضه فى إطار الشكل المهذب الأنيق الرسمى، لكن حيكون مدخلنا لما يمكن أن نُطلق عليه "ليڤيل الوحش"، المستوى ألا أدمى من التعامل معاك و التدخل فى خصوصياتك، علشان يتم التحكم فى حياتك كلها من خلال نفس تجربة سياسة الPush notifications أو الأشعارات المدفوعه، عن طريق برضه فكرة الكلمات الدلاليه، لكن بشكل تانى أسوأ بكتير، و لا يحترم أى نوع من الخصوصيه.

طبعاً حضرتك أكيد مريت بتجربه أنك تكون تكون بتتكلم مع شخص ما عن موضوع أو سلعه معينه، و الموبايل يكون جنبك، و بعدها على طول أول ما تمسك

الموبايل، تطلعلك أعلانات عن السلعه دى. فى البدايه حتستغرب فكرة توارد الخواطر الغريب دى، لكن مع تكراره، حتبدأ تكتشف أن طول ما أنت فاتح الأنترنت، فكل كلامك بيتسجل، و بيتعمله فلتر فى لحظتها، علشان بعدها بثوانى يفاجئك أعلان أو أعلانات عن نفس الموضوع أو المُنتج، اللى أنت كنت لسه بتتكلم عنه. و الأغرب أن الذكاء الأصطناعى بيميز صوتك من صوت الشخص اللى بتتكلم معاه!!!!!

التجربه دى هى المستوى الأول من مستويات مراقبتك و تحليل كلامك، و فيها أفترضنا أن كل الكلام اللى بنقوله و الموبايل مفتوح جنبنا بيتسجل و يتحلل، طيب هل الموضوع وقف عند كده و بس؟

المستوى التانى بييجى لما تكتشف أن الكلام ده بيحصل حتى و الأنترنت مقفول، أما المستوى التالت و هو الأغرب و الأكثر رعباً، فهو أن ده بيحصل حتى لو الموبايل مقفول، و كمان مفيهوش شريحه، و ده معناه حاجتين أخطر من بعض، الأولى أن أى جهاز Smart phone واصل بالأنترنت طول الوقت، مش محتاج شريحة Data. و الحاجه التانيه أن الموبايل بيسجلك طول الوقت كل كلمه أنت بتقولها، و أحب أأكد أن المستوى التالت ده، و هو أن الموبايل حتى و هو مقفول عارف أنت قلت أيه، و بيحوله لKey words أو كلمات دلاليه بيعرضلك بعدها أعلانات عن نفس الشئ اللى أنت أتكلمت فيه، تجربة مريت بيها أكتر من مره، و بأكدلك أنها حقيقيه 100%.

فيه مستوى ما بعد كل المستويات دى، بس حيكون كلامى عنه فى الكتاب اللى الجاى، و هو مستوى قراءة عقلك، و ده موضوع حقيقى و بيحصل بجد، يعنى السيطره وصلت لمرحلة قراءة العقول و كمان التحكم فيه. طبعاً المشروع ده لسه فى مرحلة الBeta version، أو التجربه، بس أصبح موجود، و ممكن ناس كتير تبدأ تفكر فى شئ، بعدها مباشرة يلاقوا اللى فكروا فيه على الموبايل أو الأنترنت. التقنيه دى كانت بدايتها من فتره كبيره جداً، من 1953، و أستخدمتها المخابرات الأمريكيه، و كان أسمها MK ultra mind control، بس طبعاً أحنا حالياً فى مرحله أعلى بكتير جداً من مرحلة غسيل المخ اللى بدأت بيها من 70 سنه.

****

كل الكلام اللى فات ده بيمثل بس أول شكل من أشكال السيطره بأستخدام هذا الجهاز الشيطانى المُسمى "الSmart phone"، و هو الشكل اللى بيوصل أى مستخدم من مستخدمى الموبايل لتحويله زى ما قلنا ل"ماكينة شراء دائمه"، لكن طبعاً هذا الجهاز الشيطانى برضه مخليك طول الوقت تحت السيطره بأشكال تانيه كتير جداً، تعال معايا نستعرضها بشكل سريع.

تانى شكل من أشكال السيطره بيتمثل فى فكرة السيطرة الكامله على وقتك و تركيزك، و اللى خلانا نشوف المشهد الغريب اللى عمرى ما تخيلت أنى حاشوفه فى حياتى، لما تلاقى أربع أو خمس أشخاص مجتمعين مع بعض، و كل واحد فيهم ماسك موبايله و تركيزه الكامل فيه، و ممكن المجموعه دى تقعد مع بعض 3 أو 4 ساعات كامله، من غير ما يدور بينهم أى حوار، أو فكرة الطالب اللى ممكن تلاقيه أثناء المحاضره ماسك الموبايل طول المحاضره، و تركيزه بس فى مواقع التواصل الأجتماعى، و المُحاضر اللى واقف قدامه، كأنه مش موجود.

موقف مهم جداً و دال جداً حصلى عند واحد من محلات الفول و الطعميه الشهيره، و اللى دايماً عليه ضغط كبير. كنت واقف مره عند الكاشير و كانت بنت، و طلبت حاجات بطلبها من هناك بشكل شبه يومى. البنت كان فى أيديها موبايل مرفعتش عينيها من عليه، فمن غير حتى ما تبصلى، قالتلى معندناش الطلب ده، قلتلها أنا بطلبه كل يوم، أصرت أن مفيش عندهم طلب زى ده، قلتلها ما أنتى لو سيبتى الموبايل اللى فى أيدك حتلاقيه، برضه أصرت على كلامها، فقررت أنى لازم أجيب المسئول عن الورديه، و خليته يطلعلها الطلب من البرنامج اللى موجود على الشاشه اللى قدامها، و أتمنى أنها تكون أتجازت بأى شكل من الأشكال، مش رغبةً منى فى أذيتها، بس علشان مفيش حد بيتعلم -للأسف- من غير ما يتقرص.

ببساطه، فأشكال التواصل الأجتماعى الموجوده كلها، بدايةً من نشر خبر -سواء عام أو خاص-، لنشر الصور الخاصه، لمتابعه الVlogs أو الفيديوهات الدوريه اللى كتير من الناس بتعملها، أصبحت نوع من الأدمان الحقيقى للناس، الغالبيه العظمى من الناس أدمنت المتابعه بس، بمعنى أنهم تحولوا لمتلقيين سلبيين طول الوقت، و الجزء الباقى من الناس، و هو الجزء الأقوى و الأقل عدداً، أدمن فكرة أن الناس

تتابعه، أنه يكون محور أهتمام و تركيز الناس، أنه يبقى Influencer أو مؤثر، و دى طبعاً بالنسباله بتكون خطوه مهمه على طريق الفلوس، بعد مرحلة الشهره.

حنسيب الشخصيه اللى قررت تبقى مؤثره و محور أهتمام، لأن الكلام عنها حييجى فى الجزء الأخير، و حنركز على الشخصيه اللى بتُمثل فكرة المتلقى السلبى طول الوقت، الشخصيه اللى بتصحى من النوم تدور على الموبايل علشان تفتح عينيها عليه، و هو النموذج اللى بيمثل الغالبيه العظمى من الناس حالياً.

فى البدايه خلينى أجاوبك على سؤال، هو أيه الهدف من وراء وصول الغالبيه العظمى من الناس للتحول لكونهم "متلقى سلبى"؟

الأجابه تشمل جوانب كتيره، منها المادى، و هو دايماً بيكون وسيله لغايه أبعد، و ده بيكمُن فى أن الصفحات اللى هذا الشخص متواجد عليها طول الوقت، ما هى إلا قتارين عرض لعشرات الأنواع من السلع، سواء بيع مباشر، زى الصفحات اللى بتبيع منتجات بشكل مباشر، أو غير مباشر، عن طريق الأعلانات اللى بتقابل الشخص طول الوقت، و من هنا بنرجع تانى لفكرة تحويلك لماكينة شراء دائمه، الفكره الأهم دايماً، و اللى بتخليك طول الوقت بتصرف فى حاجات، ممكن فعلاً ميكنش لها أى أهميه حقيقيه عندك، لكن هناك هدف دائم بأنك تكون طول الوقت معندكش أكتفاء باللى عندك بس، بأنك تدور فى ساقية الشرا طول الوقت.

تانى سبب هو نشر الأفكار اللى عايزين يوصلوها، و ده من خلال تواجدك الدائم على مواقع التواصل الأجتماعى، فممكن تلاقى خبر يجذبك لصفحه تانيه متكنش مُتابع لها، تبدأ النداهه تندهك و تقرأ موضوع ورا موضوع، تبدأ الفكره تشدك..و هكذا، و فى النهايه فدايماً أنت مُستهدف، و دايماً هما عارفين يستهدفوك أمتى .....و أزاى.

تالت سبب له علاقة بفكرة المليار الذهبى، حتقولى أزاى، هما حيموتونى من على مواقع التواصل الأجتماعى، أقولك لأ، بس ده ممكن يتم من خلالك أنت بطريقتين. أولهم زى ما أنا لسه ذاكر فى السبب اللى فات، و هى نشر الأفكار، و طبعاً كلنا سمعنا عن لعبة "الحوت الأزرق"، أو صفحات بتنشر أفكار تدعو للأنتحار، و الموضوع ده منتشر بشكل كبير جداً فى البلدان الأعلى مستوى أجتماعى و دخل. أو برضه عن

طريق أستدراجك للدخول فى جماعات دينيه مسلحه، و طبعاً الأمثله كتير جداً. أو نشر الأفكار اللى بتحرض على الطائفيه و العرقيه، و اللى بيتبعها فى الأغلب حروب أهليه.

كل اللى فات ده بيُمثل بس بعض نماذج الطريقه الأولى، أما الطريقه التانيه فهى الأخطر و الأبعد و الأكثر عمقاً، و هى فكرة أنعزال الناس عن بعض، فكرة التباعد الأحتماعى اللى بتحصل عن طريق مواقع التواصل الأجتماعى، و طبعاً أنت ممكن تكون سمعت عن "Metaverse" أو الميتافيرس، و اللى أنا لسه ذكره من شويه، و هو الشكل الجديد اللى حيتحوله الFacebook، و اللى الشركه كلها أتغير أسمها له، فأصبحت كلمة الميتافيرس أسم للشركه و تقنيه فى نفس الوقت.

بأختصار فالتقنيه دى حتحول عالمنا كله لعالم أفتراضى، و اللى بدوره حيسبب أقصى تباعد للناس عن بعض، لأن التعليم، الشرا، الرياضه، السياحه، كل شئ حيكون أفتراضى، كل شخص على الميتافيرس حيبنى العالم اللى نفسه يعيش فيه -بس بشكل أفتراضى-، و طبعاً كل ده مش حيكون ببلاش، حيكون طبعاً فيه دفع، بس دفع بسيط و فى متناول اليد، فى مقابل أنك حتعيش الحياه اللى نفسك فيها، و حتبدأ تصدق نفسك شويه بشويه، لأن مش أنت بس اللى حتكون عايش بالشكل ده، مليارات البشر على كوكب الأرض برضه حتكون عايشه زيك.

طيب ده علاقته بأيه بفكرة المليار الذهبى و تقليل عدد سكان الأرض، ببساطه التباعد و الأنعزاليه حيكون معناهم أن بالتدريج الأرتباطات الأجتماعيه و منها الزواج حتقل، و بالتالى عدد سكان العالم حيقل، و عايز أأكد أن تجربة الكوفيد 19 أو الكورونا، و اللى عزلت سكان العالم عن بعض لمدة تقريباً سنتين، ما هى إلا جزء من التمهيد للمرحله اللى جايه دى.

****

تالت شكل من أشكال السيطره، و هو أخر موضوع فى الفصل ده، بيتمثل فى فكرة السيطرة الكامله على طموحاتك و تحويل مسار حياتك، و خاصة عند الشباب الصغير ما بين 13 ل25 تقريباً، و القضاء شبه التام على فكرة أن أى شاب من الأجيال

الجديده يكون له طموح علمى بأى شكل، مع تحويلك لمسخ أو أراجوز، بس بمقابل، المهم....أنك مستخدمش عقلك.....متفكرش.

حأبدأ الحكايه معاك من زمان جداً، و على مستوى العالم كله، و مره تانيه حتكون مع بداية ظهور التليفزيون و دخوله كل بيت. قبل التليفزيون كان كلاً من السينما و كرة القدم ملهمش غير و سيله واحده لمشاهدتهم، و هى بالتأكيد أنك تنزل بنفسك، و تروح دار العرض أو الأستاد، فكانت طبعاً نسبة المشاهده مش حتزيد عن عدد كراسى الأستاد، لأن المباراه مش بتم غير مره واحده، أو عدد الأشخاص اللى حتروح و تشوف الفيلم داخل دور العرض.

دخل التليفزيون و تقريباً وصل كل بيت فى كل مكان فى العالم، فبدأ عدد اللى ممكن يشوفوا فيلم ما -حتى لو بعد نزوله فى السينما بسنين-، يتحول من عشرات الألاف لعشرات الملايين، و نفس الحكايه فى مباريات كرة القدم، و طبعاً بما أن المشاهد مش بيتحرك من بيته، و لا حتى بيدفع جنيه فى المشاهده، و بما أن فيه قاعده بتقول أن أكتر الحاجات اللى عليها أقبال هى المجانيه، فبدأت من هنا تظهر أهمية الأعلانات و الرعاه.

و مع ظهور الرعايه و الأعلانات، بدأت أجور لاعبى كرة القدم و الممثلين تزيد بشكل غير متناسب مع باقى المهن و الوظائف -الأكثر أهميه بالتأكيد-، فأصبح مفيش وجه مقارنه تماماً بين اللى بياخده لاعب الكره أو الممثل، و اللى بياخده دكتور أو مهندس أو محاسب عادى. و من هنا حأبدأ تحويل الموضوع من الشكل العالمى للمحليه، و حأتكلم عن تجربة مصر، و طبعاً ما شابهها من دول، زى دول شمال أفريقيا.

للأسف فى مصر العلم ملوش سعر، و مش عايز أقول ملوش قيمه، و ده اللى حول كليه فى غاية الأهميه زى كلية علوم، لكليه بتخرج مدرسين ثانوى، بدلاً من أنها تخرج علماء، يكفى أن حتى يومنا يومنا هذا، كل الأستكشافات الأثريه و عمليات التنقيب اللى بتم فى أغلب دولنا، بتكون أما أوروبيه، أو أمريكيه، أو يابانيه.

كان ليا تجربة إنتداب لمده سنه فى واحده من أهم هيئات البحث العلمى فى مصر، و صُدمت فى السنه دى من وضع واحده من أعلى الهيئات العلميه فمصر، طبعاً ده

يتوازى معاه إنخفاض الميزانيه المخصصه للبحث العلمى ككل، فبالتدريج أصبح إتجاه الغالبيه العظمى من الناس للشغل اللى بيجيب فلوس، و خصوصاً مع الظاهره الخطيره اللى مصر بتعانى منها، و هى أن الغالبيه العظمى من الناس بتشتغل فى غير مؤهلها، فأصبح الطلبه بيدوروا دايماً على أسهل شهاده ممكن يحصلوا عليها، لأن كله فى النهايه محصل بعضه.

بدايةً، تقريباً من منتصف التسعينات حصل التغيير ده، و اللى تزامن و تأثر بظهور 3 ظواهر فى غاية الأهميه، غيرت بشكل كبير نموذج الحياه فى مصر. الأولى كانت بداية الأحتراف الفعلى فى كرة القدم فى مصر، و ده معناه أن لاعب كرة القدم أصبحت مهنته الوحيده هى كرة القدم، و أصبح اللاعبين اللى بيلعبوا فى أندية الدورى الممتاز -و اللى طبعاً هما دول اللى الناس عارفاهم-، بيقبضوا بالملايين.

فى نفس الوقت كانت المسلسلات الدراميه فى أوج مجدها، و اللى تزامنت مع الظاهره المهمه جداً التانيه، و هى ظهور الفضائيات، فبرضه أصبح الممثلين النجوم بياخدوا بالملايين، ناهيك عن الشكل الأسطورى اللى بدأ يظهر عليه لاعبى كرة القدم و الممثلين و طبعاً المطربين، لأن التلميع ده بيعلى سعرهم، و سواء دول أو دول، فكان دايماً فى إدارة كامله وراهم بتحركهم و ترسملهم كل خطوه بيعملوها، زى ما سبق و ذكرت فى فصل "مسار كايروكى الأجبارى". طيب أيه دخل الحكايه الطويله اللى أنا حكتها كلها بموضوع الموبايل؟ حأبدأ أربط معاك الموضوعين ببعض.

من منتصف التسعينات أصبح فى هوس من أغلب الناس -سواء من بعض أولياء الأمور أو الأبناء نفسهم- أن الأولاد يكونوا أما لاعبى كرة القدم، أو مطربين و ممثلين، و غالباً بيكون الهدف من فكرة الغناء، أن هو أو هى يتحولوا للتمثيل بعد كده، و ده طبعاً أما رغبة فى الشهره أو الفلوس، أو الأتنين مع بعض. كل ده طبعاً تزامن مع الأنحدار التدريجى المستمر فى مستوى التعليم فى مصر، سواء مدرسى أو جامعى.

و تزامناً مع الظاهرتين السابقتين، ظهرت الظاهره التالته الأهم من الأتنين، و هى تغير نمط و شكل الوظايف فى مصر، و خاصة بعد ظهور الموبايل، و معاه أتشقلب الهرم الأجتماعى-المادى فى مصر. بدأت تظهر وظايف كتيره Out of nowhere أو من العدم، زى خدمة العملاء أو الTele marketing، و فكرة الDelivery، و

الشيف فى مطاعم الFast food، و صيانة الموبايلات، و كلها بدأت مرحلة الأنتشار من الفتره دى، و معاها عشرات المهن التانيه المرتبطه بالتطور اللى حصل. و بدأ الشباب يلاقى منافذ تانيه للعمل، خارج الأطر السابقه، و اللى كان أقصاها قبل كده العمل فى فندق فى الغردقه أو شرم الشيخ.

من هنا زادت المعايير أنقلاباً، و أصبحت الأجيال الجديده اللى طالعه فى قمة البرجماتيه، و اللى ممكن أختصرها بالتعبير الشهير "اللى تكسب به ألعبه"، فبدأ الشباب يدور على أيه اللى حيجبله فلوس، بدايةً من التمثيل و كرة القدم، لكل الوظايف الجديده، و اللى كانت خارج الأطار التقليدى للوظايف القديمه، و اللى كلها بعيده عن العلم المعرفى التقليدى، لكن ليها علومها و قوانينها و ألياتها الجديده، و أنا هنا بتكلم عن جيل مدته حوالى 15 سنه، من أواخر التسعينيات، لحد تقريباً 2013 أو 2014، وقت ما أصبح الSmart phone حقيقه واقعه فى مصر.

الأجيال الجديده بدأت تلاقى أنها ممكن تكسب من بيتها، و هى لسه عندها 17 أو 18 سنه، و بأقل مجهود، و بمبالغ شهريه والده نفسه ممكن ميعرفش يدخلها فى سنه، هى كل القصه أنك تظهر و تقدم محتوى. طبعاً فى ناس كتير جداً بتقدم محتوى مفيد، و أنا بأعتبر نفسى واحد منهم، لكن الغالبيه العظمى بتقدم لا شئ، بالعكس هى بتقدم تنازلات أكتر ما بتقدم محتوى، و ده طبعاً الأسرع وصولاً، و الأكثر أنتشاراً.

الموبايل وفر لمئات الملايين من الناس فى العالم كله فرصة المكسب السهل البسيط، و كل ده و أنت كمان فى بيتك، و مش بطريقه واحده لكن بأكتر من طريقه، بالكتابه، بأعادة نشر أخبار، برفع صور، بأنك تكون صاحب محتوى، بأنك تكون أداة تنفيذ لمحتوى مطلوب، بأنك تطلع Live على الهوا تقول أى حاجه، بأنك تغامر بشوية فلوس فى بورصة العملات الرقميه، و بعشرات الوسائل الأخرى.

الوسائل دى بتتنوع فى درجة قيمتها، بس فى النهايه كلها بتحقق دخل، و للأسف كل ما كانت درجة المحتوى تافهه و مفيهاش مجهود، كل ما زادت نسبة مشاهداتك، و بالتالى نسبة دخلك. أغلب الناس فى العالم كله بشكل عام، و فى الدول منخفضة المستوى الأجتماعى بشكل خاص، الطموح الرئيسى لها هو الماده.. الفلوس، و أحب أوضح أن ده و عن خبره موجود برضه بين الأجيال الجديده فى بعض الدول

المتقدمه، لكن فى النهايه هناك عندهم فى توازن، ما زال فيه ناس بتهتم بأنواع أخرى من الطموح. لكن فى بلادنا، و مع إنخفاض مستويات الدخل بصوره مخيفه، فطبعاً بتتضائل لحد ما تختفى أى طموحات تانيه محتاجه وقت و مجهود للوصول بس لمرحلة الأستقرار المادى.

ظهور التطبيقات اللى بتكسبك بشكل سريع، و بطريقه مفيهاش أى أبداع، بل غالباً بتكون بطريقه مهينه، مش ظهور أعتباطى، بل جزء من تخطيط منظم جداً، زى تقليد مقاطع فيديو، أو أنك تطلع Live تقول أى كلام، و أحياناً تصرفات لا أخلاقيه، أو أنك تعرض حياتك الشخصيه سواء بشكل حقيقى أو كاذب، للدرجه اللى وصلت سيده من حوالى شهر أنها تقول كلام صادم عن أولادها، و الحمد لله أنها تم أتهامها و أحتمال تتحاكم، علشان تكون عبره و عظه للأخرين. اللى بيحصل حالياً تغيير كارثى فى المفاهيم و الأخلاقيات، و أنا حتى هذه اللحظه مش واضحلى، هل التطبيقات دى ذاتها بتحقق أى نوع من الربح، و لا هو الهدف منها توجيه الأجيال الجديده لأتجاهات جديده بتطمُس هويتهم، بتقتل أى طموح علمى، بتزود العنف و الأفكار الجنسيه و المفاهيم الخاطئه و بس.

فى النهايه، و بعد الفصل الطويل جداً ده، فأنا مش حأقدر أوجهلك أى نصايح، أنت لازم تكون الدليل لنفسك، حاول بس تفكر قبل ما تجرى ورا أى ظاهره، هل هى مناسبه لك؟ هل فيه هدف من وراها؟ حاول دايماً يكون تفكيرك نابع من عقلك، متبقاش تابع طول الوقت، و فى النهايه أنت اللى حتحصد نتايج أفعالك.

26 مايو 2023

**"هل من الممنوع أن نصنع مبادئنا بأنفسنا؟
هل يجب أن نصدق دائماً ما يقال لنا؟
كيف نمنع تلك الموجات الخفيه من أختراقنا؟"**

تحت السيطره
ج2: صناعة الوهم (أصنام و تابوهات)

فى الفصل اللى فات بدأت معاك رحلة ندور فيها مع بعض، عن بعض من الأشكال و الوسايل التى بيتم بيها السيطره على حياتنا و أختياراتنا، و خصصت الفصل اللى فات عن نوع من أنواع السيطره، و هى السيطره اللى بتخليك على مدار حياتك بتدفع علشان تشترى طول الوقت، و ممكن اللى تشتريه النهارده، تلاقى أنك محتاج تشترى غيره بكره، و ممكن كمان توصل السيطره عليك لأنها تدفعك أنك تشترى حاجات ممكن تكون مش محتاجلها بشكل حقيقى، بس هما عارفين طول الوقت أزاى يسوقوا بضاعتهم، أزاى يخلوك تشترى حتى اللى مش ضرورى بالنسبالك، و لو كنت مضغوط مادياً.

الفصل ده حأتكلم معاك فى إتجاه تانى خالص، إتجاه مفيهوش أى ضغط أو دفع فلوس -غير بمزاجك-، إتجاه بيتبنى على تشكيل قناعاتك، أو اللى أنت بيتهيألك أنها قناعاتك.

عايز أبدأ معاك لأول مره بتحليل العنوان اللى أنا أخترته للفصل ده، الفصل أسمه مكون من 3 أجزاء؛ عنوان رئيسى، عنوان تحت العنوان الرئيسى، و عنوان فرعى، و تعال أحلل معاك كل واحد من العناوين التلاته، علشان يكون التحليل ده مدخل سريع للفصل.

العنوان الرئيسى "تحت السيطره" و اللى مكمل معانا من الفصل السابق، زى ما سبق و ذكرت، هو عنوان بيفكرك أن أحنا طول الوقت موضوعين تحت التحكم، و ده بيتم عن طريق وسايل كتير، سميتها معاك المسيطرات، و أخترت من كل الوسايل دى نوعين، نوع مادى أتكلمنا عنه فى الفصل السابق، و نوع معنوى حنتكلم عنه فى الفصل ده.

ندخل على العنوان اللى تحت العنوان الرئيسى و هو "صناعة الوهم". بدايةً، فكلمة الوهم دائماً ما بترتبط بالعقل، بأشياء -سواء كانت ماديه أو معنويه- أنت

بتعتقد بوجودها، بس هى فى الحقيقيه مش موجوده، بأفكار ممكن تتصدرلك، لكن هى مش حقيقيه، لكن ممكن أنت تبنى حياتك كلها عليها، بأحلام ممكن تكون بتتمنى تعيشها، بس هى بالفعل مش حقيقيه.

أوصل معاك لأخر عنوان، و هو العنوان الفرعى "أصنام و تابوهات"، و هنا تبدأ الأمور توضح بشكل كبير. أنا قسمت عملية صناعة الوهم العقلى ده لفئتين، و الفئتين بيمثلوا بالضبط طرفى مقص، كل فئه فيهم على النقيض تماماً، لكن بما أنى شبهتهم بطرفى مقص، فالمقص دايماً بيكون مُثبت من نقطه واحده فى النص، و بيدار بأيد واحده، و مش حاحرق لك أيه الفئتين اللى أنا حأتكلم عنهم دلوقتى، لكن كل اللى حأقدر أوضحه، أن الفئتين بيهدفوا لوصولولك لمرحلة الExtreme، أو التطرف بمعناه الأشمل، علشان كده أحياناً كتير بنلاقى أشخاص بتنتقل من فئه منهم للفئه العكسيه تماماً بشكل مفاجئ، مع أنهم فعلياً طرفى نقيض، و كالعاده حأدلل بفيلم رائع، و الأهم أنه فيلم مصرى على الفكره دى، بس لما نوصلها.

****

فى البدايه حأتكلم برضه عن فيلم، بس فيلم تانى غير اللى أنا لسه ذكره، زى ما بدأت العديد من الفصول اللى فاتت، لكن لأول مره حأدلل على فيلم و أقول أنه فيلم سئ جداً، و كنت خصصتله حلقة فى واحد من برامجى السابقه على القناه، و أنا مهتم أنى أوضح أن مبدأ التدليل بعمل فنى، بيكون لتوضيح الفكره بشكل أكبر، فحتى لو كان الفيلم سئ جداً، و حأقول ليه هو سئ، لكنه تناول الفكره من وجهة نظره، و تحليلى لليه هو سئ، هو بالفعل جزء من توضيحى للفكره.

الفيلم المره دى هو فيلم تسجيلى، و أحب بس أوضحلك يعنى أيه فيلم تسجيلى، و أيه هو الفرق بين الفيلم الوثائقى و التسجيلى، بما أن إخراج أفلام تسجيليه كان هو أكتر عمل قمت بيه على مدار حياتى، فمهم جداً أنك تفهم معايا معنى مصطلح "فيلم تسجيلى"، و الفرق بينه و بينه "فيلم وثائقى" قبل ما أبدأ.

الفيلم التسجيلى، و زى ما هو واضح من أسمه، هو فيلم بيصور أو بيسجل بشكل محايد بعض الأحداث اللى بتحصل بشكل حقيقى فى الحياه، السيناريو الخاص بيه مش بيكون فيه أى نوع من الFiction أو الخيال، إنما بيعتمد على تصوير أو تسجيل

الأحداث الحقيقيه، أو حياة شخص أو أشخاص، أو حتى توثيق لحدث أو لحظةً ما، زى مثلاً الأفلام اللى بتتكلم عن البعثات الأستكشافيه للأثار، أو أحداث ثوره، أو ما شابه من أفلام.

أحياناً بيكون فى نوع من الأفلام الوسيطه بينه و بين الأفلام الروائيه العاديه، و هو نوع أسمه "Docudrama"، و اللى واضح من أسمه أنه مزيج ما بين الفيلم التسجيلى "Documentary"، و الفيلم الدرامى "Drama". فى النوع ده بيتم تمثيل بعض المشاهد داخل الفيلم التسجيلى، طيب ليه بيتم الجزء التمثيلى؟ علشان ممكن تكون فيه بعض الأحداث اللى تمت فى الماضى، و من المهم أنها تظهر فى الفيلم، سواء لنفس الأشخاص اللى موجودين فى الفيلم، أو لأشخاص توفوا، ففى الحاله دى بيتم تصوير أجزاء دراميه أو تمثيليه، سواء بنفس الأشخاص الحقيقين، أو بالأستعانه بممثلين.

كده أكون وضحت معنى الفيلم التسجيلى، أما الوثائقى، فهو فيلم بيعتمد بصوره كبيره على الوثائق و الأحصائيات و المواد الأرشيفيه، و لقاءات حواريه مع أشخاص مسئولين أو معنيين بالموضوع، و مش بيعتمد على تصوير أحداث فعليه بتتم. و كده أكون قربتلك الفكره بشكل كبير، و ندخل بقى فى الكلام عن الفيلم.

الفيلم هو "فى سبع سنين" من إنتاج قناة الجزيرة فى أوائل سنة 2019، و الفيلم مزيج من الأنواع التلاته اللى أنا لسه ذاكرهم، يعنى هو يبدو أنه فيلم تسجيلى فى ظاهره، و بالفعل فيه جزء تسجيلى مهم فى النصف التانى من الفيلم، لكن فى نفس الوقت هو فيه أجزاء Docudrama، و أجزاء وثائقيه، إذن ففيلمنا كان مزيج من الأنواع التلاته، و دى يمكن تكون من نقاط القوه القليله جداً فيه، لكن خلينى الأول أشرحلك هو الفيلم بيتكلم عن أيه، قبل ما أبدأ أعددلك عيوب الفيلم الكارثيه.

الفيلم تم تصويره فى سنة 2018، يعنى بعد 7 سنين من ثورة يناير 2011، و من هنا كان أسم الفيلم. الفيلم بيتكلم من وجهة نظره على المتغير اللى طرأ على كتير من الشباب خلال فترة السبع سنين اللى تلت ثورة يناير 2011، و خاصةً بعض الشباب أصحاب توجه دينى معين، و تأثير أحداث يونيو 2013 و تغير الحكم فى مصر عليهم،

و إتجاه بعضهم للجهاد المسلح فى سوريا، و المجموعه دى بتُمثل النص التانى من أحداث الفيلم.

النص الأول بيتكلم عن شباب كان مسلم، لكن ترك الديانه الأسلاميه، و أنا مش بقتنع تماماً بتعبير "إلحاد" لأنه تعبير بلا معنى، و بفضل دايماً إستخدام تعبير "ترك الدين"، لأن تعبير إلحاد ببساطه ليس له أى أصل لغوى، خاصةً أن الجذر اللغوى له و هو "لحد" معناهاه دفن أو حفر حفره، و أنا مش عارف أساس إستخدام اللفظ كتعبير عن ترك الدين أيه. المجموعه دى بتُمثل النص الأول من الفيلم.

الفيلم ببساطه هو عباره عن مجموعة لقاءات مع تاركى الدين فى القاهره فى النص الأول من الفيلم، و دول أولاد و بنات، و مجموعة لقاءات مع الشباب اللى إتجه لسوريا بأى وسيلة ما للجهاد المسلح، و ده تم تصويره فى سوريا، و طبعاً دول أولاد بس، و كان كلهم ملثمين.

بعد كده، و فى نهاية الفيلم، بيرجع تانى لجزء تاركى الدين، و ده بيتم من خلال بعض الجمل المهمه الملهمه و ذات الدلاله، و بعدها بيتم إستعراض بعض الأحصائيات اللى قام بيها محمد ماهر عقل، منتج و مقدم و راوى الفيلم، علشان يعملنا مشهدين فى أخر الفيلم ملهمش أى لزمه، الأول مشهد صغير جداً لشاب مصرى مسيحى، برضه ترك الدين، و التانى عباره عن لقطه لمحمد ماهر بيخبط راسه فى حيطه عليها مجموعة أحصائيات، مع صوت أغنية أم كلثوم "فات الميعاد"، و المعنى طبعاً واضح.

أسف لو كنت طولت شويه فى شرح الفيلم، بس الفيلم ده تحديداً و عملية شرحه، فيها جزء مهم جداً من اللى عايز أوصله فى الفصل ده، و خلينى أبدأ معاك مرحلة نقد الفيلم.

بدايةً، فالفيلم من نوعية الأفلام التسجيليه اللى بتمميز بوجود مرافق على مدار الفيلم، الشخص دى بيعمل الحوارات و التعليق الصوتى، بيكون أقرب لدليل أو Guide معاك يبسطلك الأمور، و ده بتعمله الBBC بنجاح كبير جداً، و خصوصاً فى الأفلام التسجيليه العلميه. الشخص ده يُفترض دايماً أنه بيكون من عوامل نجاح الفيلم، لأن الناس بترتبط بيه لأنه بيكون الدليل بتاعها على مدار الفيلم، و هنا

الموضوع بيكون سلاح ذو حدين، يا ينجح الفيلم، يا أما لو هو مش فاهم دوره كويس، فبياخد الفيلم لشكل تانى خالص، و دى أول غلطه فى الفيلم، أن محمد ماهر عقل مكنش فاهم دوره على الأطلاق، بس يمكن بما أنه من فريق الأنتاج، و غالباً أنه صاحب فكرة الفيلم، فكان بيعمل اللى هو عايزه، مش اللى الفيلم محتاجه على الأطلاق، و ده حأوضحه سريعاً فى مجموعة نقط.

أول غلطه وقع فيها، أنه مفهمش الفارق الكبير بين حلقه فى برنامج و فيلم تسجيلى، فبالتالى مفهمش الفارق بين دوره و بين أى مقدم برامج. بدايةً، فحلقه فى برنامج يومى أو أسبوعى غالباً بتعتمد على Trend أو على إهتمام الناس فى الفتره دى، فبالتالى هى بتنتهى بالنسبه للمشاهد بمجرد ما بيشوفها. أما الفيلم التسجيلى أو الوثائقى، و اللى بيعتبر زى كتاب، بس كتاب مرئى، فبالتالى بيفضل مرجع حتى لو عدى عليه سنين، و أنا فعلاً بعمل ده فى شغلى طول الوقت، إنى أحياناً برجع لأفلام تسجيليه قديمه بتوثق مرحله فاتت، فهنا محمد ماهر عقل و المخرج محمد رشيدى، وقعوا فى خطأ تحويل جزء كبير من الفيلم لحلقه فى برنامج بنوعية الأسئله و أسلوب الحوار اللى كان مُتبع طول الفيلم.

تانى غلطه أنه مفهمش برضه أنه مش مذيع، بمعنى أنه مش دوره يحاور و ينقد و يقاطع الضيف، ده موجود فى البرامج، حتى لو أنا كنت برفضه، لكنه أصبح عُرف فى الشكل البرامجى، لأن الشكل ده بيعلى المشاهدات، أما فى الفيلم التسجيلى فميجبش أن رأيك الخاص يظهر خالص، وجهة نظرك لنفسك، لأن المفروض أنك عامل الفيلم علشان تشرح وجهة نظر الأخر، مش علشان تقطعه و تشرح وجهة نظرك و تجاربك الشخصيه، الفيلم التسجيلى مفروض يكون وثيقه، مش وجهات نظر.

أوصل لأخر نقطه فى نقض الفيلم، و دى بيشترك فيها صانعى الفيلم، المخرج محمد رشيدى، و محمد ماهر عقل، منتج و مقدم و راوى الفيلم، و هى أيه الهدف من الفيلم؟ و هل أختياراتهم فى الفيلم مناسبه للهدف؟ و هل برضه نوعية الأسئله مناسبه للهدف؟

الأجابات على الأسئله دى هى أهم ما يخص الفيلم، و لو بدأناها بالتدريج، فطبعاً لازم أى فيلم تسجيلى يكون فيه هدف من صناعته، وجهة نظر محتاج صناع الفيلم

يقدموها، فلو حاولنا نجاوب عليها من خلال اللى شفناه من الفيلم، فحتكون الأجابه هى أنهم حاولوا يوصلوا وجهة نظرهم أن ما حدث بعد ثورة يناير2011، و من بعدها يونيو 2013، غير فى كتير من توجهات الشباب المصرى، و الفكره أو وجهة النظر دى مقبوله جداً، لكن هل عرفوا يحققوها فى الفيلم؟ ده ياخدنى للسؤال التانى، و هو هل أختيارهم فى الحالات اللى قدموها كانت مناسبه للطرح و وجهة النظر اللى حاولوا يوصلوها؟ الأجابه القاطعه لأ.

طيب... لأ ليه؟ أنهم قسموا الشباب لشريحتين فقط، الأولى من تركوا الدين، و التانيه اللى توجهوا للكفاح المسلح فى سوريا. بداية الأمر أساساً أن الفئه الأولى لا تصلح للطرح اللى حاولو يطروحوه، بمعنى أنه لا توجد علاقه لأحداث البلد من بعيد أو من قريب بفكرة ترك الدين. بدايةً، فظاهرة ترك الدين موجوده بقالها أكتر من 60 سنه، و كانت منشره جداً فترة الستينات و أوائل السبعينات، و مؤخراً هى منتشره جداً، و من قبل 2011، و بالتأكيد مش بسبب الأحداث التى بتحصل، لكن بسبب زياده فرصه القراءه و المعرفه من خلال الأنترنت، و النقطه دى أنا شارحها بشكل أكبر فى أخر فصل فى الكتاب.

إذن ففئة اللى تركوا الدين كانت أختيار خاطئ تماماً، و مش هى الأتجاه المضاد للفئه اللى شالت السلاح فى سوريا. و أخيراً طبعاً كانت نوعية الأسئله و فرض الرأى من جانب المحاور، اللى نسى أنه بيعمل فيلم تسجيلى، لأن المطلوب من الشخص اللى بيناقش ظاهرة ما، أنه بيعرض أراء أصحابها، مش رأيه الشخصى.

طيب الفيلم، و اللى أنا بأعتذرلك أنى طولت شويتين فى الكلام عنه حيوصلنا لأيه؟ حيوصلنا لفكرة عمليات غسيل المخ اللى بتم لكتير من الناس بشكل عام، و للشباب بشكل خاص، علشان يبدأوا ينخرطوا فى إتجاهات متطرفه و لها أيدولوچيات معينه، و الأتجاهات دى دايماً بيكون هدفها خروجك عن المسار الطبيعى، و الدخول فى أشكال من التطرف فى كلا الأتجاهين المعاكسين.

****

فى الأول أنا عايز أوضح وجهة نظر شخصيه، و هى أنى لا أعتبر من ترك الدين دايماً شخص مؤدلچ، أو شخص بيتبع تيار معين، و أنا هنا بأقصد أى دين، لأن ببساطه

مفيش حركه أو تيار أو ما شابه أسمه تاركى الدين، بالعكس فتاركى الدين لهم 4 فئات تبعاً لما وصل إليه عقل كل منهم، و من بينهم الربوبيين و ألا أداريين، و الفئتين دول بيكونوا من الأشخاص اللى معترفين أن عقلهم لسه موصلهمش للحقيقه المطلقه، فبس حبيت أوضح أن تاركى الدين مش من الفئات اللى حأتكلم عنها فى الفصل ده، لأنهم أشخاص مش بيكونوا واقعين تحت تأثير غير تأثير عقلهم.

أنا زى ما قسمت فى العنوان الفرعى الفئات اللى حأتكلم عنها لفئتين، فئة من وقعوا تحت تأثير الأصنام، و فئة من وقعوا تحت تأثير التابوهات، و حابدأ بالفئة التانيه، فئة من وقعوا تحت تأثير التابوهات.

بدايةً، يعنى أيه مصطلح "تابوهات" للى ميعرفوش؟ تابوهات تعنى محرمات. طيب يعنى أيه محرمات؟ المحرمات هى سلوكيات أو عادات أو أشياء منعها الشخص عن نفسه لأعتقاده أنها غلط. التابو (مفرد تابوهات) مش شرط يكون سببه دينى، و تعال معايا ناخد مثال بمنطقه مهمه جداً فى مصر، و بعض تابوهاتها، المبنيه على ثقافه متوارثه، و مش عقيده دينيه.

النوبه منطقه شديده الثراء الثقافى، لأنها ببساطه أثرت و تأثرت بكل الحضارات و الأديان اللى مرت بيها، فتأثرت بالحضاره المصريه القديمه، و تأثرت برضه بتحولها من عبادة الألهه المصريه القديمه، لليهوديه، للمسيحيه للأسلام. فى كل مرحله من مراحل التحول أخد النوبيين جزء من عبادات هذه الديانه، و تحولت عندهم لعاده خاصه بيهم. حأضرب مثال أن النوبيين عندهم طقس أشبه بالتعميد المسيحى أو الصابئى (نسبةً للديانه الصابئيه)، بيُمارس لحد وقتنا هذا فى بعض القرى اللى متغيرش مكانها، و ما زالت مطله على النيل.

ندخل على المهم، و حنلاقى فى النوبه و حتى وقتنا هذا، فى كتير من القرى -سواء اللى لسه فى مكانها، أو قرى التهجير-، مازالت السيده اللى زوجها بيتوفى، بتقوم بكل الطقوس اللى حأذكرها، و الطقوس دى مينفعش الزوجه ترفضها، لأنها أصبحت طقوس غير قابله للنقد أو النقض.

أولاً حلاقة شعرها تماماً، و ممنوع أستخدام المرايا، ثانياً متولعش نار فى بيتها أثناء فترة الحداد، يعنى بمعنى أوضح متطبخش، و الجيران هما اللى يجيبولها أكلها، ثالثاً

متخرجش من بيتها لمده أربع أشهر كامله، رابعاً تفضل لابسه الأسود باقى عمرها كله. الأربع طقوس دول، و اللى حتقدر تتأكد منهم لأنهم مذكورين فى أكتر من مقال و بحث، معاهم طقس خامس سمعته بس من صديق نوبى لما زوج عمته توفى، و هو أن أثناء فترة الحداد مينفعش زوجة المتوفى تنام على سرير أو أعلى حاجه عاليه، لكن بتفرش على الأرض و تنام.

طبعاً الطقوس و العادات دى بتنقرض شويه بشويه، لكن هى ما زالت موجوده فى بعض القرى، و ده شئ كافى بالنسبالى للتدليل على الفكره اللى أنا عايز أوصلها.

طيب الزوجه اللى متعملش كده يبقى أيه موقفها؟ بتكون كسرت التابوهات أو المحرمات، و اللى ما زالت معمول بيها فى كتير من قرى التهجير، أو القرى اللى متغيرش مكانها، و بتكون بنفس قوة و تأثير المُحرم الدينى.

طيب السلوكيات دى مش منبعها دينى، لكن منبعها عادات و تقاليد، لكن أصبحت تابوهات أو محرمات، و اللى يخالفها يُعتبر أثم، لأنها خلاص أصبحت فى العرف "تابوهات".

طيب منين بتيجى التابوهات بشكل عام؟ التابوهات بتيجى من المُعتقدات. و هنا حنبدأ نفسر معنى كلمة "مُعتقد" و مفهومها، لأن هنا المعنى غير مفهوم تماماً.

كلمة "عقيده" فى معجم المعانى الجامع شرحها "الحُكم الذى لا يُقبل الشك فيه لدى مُعتقده"، بمعنى أبسط أنه هو الرأى الذى يصل إليه عقل الشخص، و أصبح عنده قناعه تامه بأنه صح، سواء الرأى ده كان دينى أو غير دينى، زى بالضبط ما بنسمع كتير مصطلح "العقيده العسكريه"، علشان كده أنا حيكون إستخدامى ليها بشكلها الأشمل، مش الدينى بس.

و من العقيده برضه بييجى مصطلح "مُعتقد"، و هنا المصطلح بيوصلنا دلالتين أهم من بعض، الأولى مصطلح "العقيده"، بمعنى أن "المُعتقد" ده هو عقيده عند الشخص، لكن فى نفس الوقت، هى عقيده مش مبنيه على دليل، بمعنى أنه حُكم أو مبدأ الشخص مؤمن به، لكن بدون أى أثبتات تصل لدرجه الدليل القاطع، و الأثبات

على كده هو إستخدامنا الدائم لتعبير "أنا أعتقد"، لما نكون عايزين نقول رأينا، لكن مش متأكدين تماماً من صحته.

كده أكون وصلتلك المعنى الفعلى لكلمة مُعتقد، لكن للأسف المفهوم الدارج للكلمه دايماً بيكون مرادفه "الدين"، لكن فعلياً لا كلمة "العقيده" أو المُعتقد" مرادفها الدين بس.

بدايةً، و أول نقطه حناقشها فى مفهوم "المُعتقد" حيكون الأديان، لكن مش فى أصل الدين، لكن فى الأضافات اللى أتجمعت على مدار السنين، و أصبحت دلوقتى بتُمثل أكتر من 75% من الدين، و أسمحيلى أنى أضرب أمثله حياتيه كلنا عايشنا، و أقتبس كلامى من حلقه من واحد من البرامج اللى كتبتها، و أتقدمت على قناتى على الYoutube، و كانت بتناقش الموضوع اللى عايز أتكلم فيه، لكن من زاويه و وجهة نظر مختلفه.

"الأضافات اللى بتدخل على الدين، و شويه شويه بتصبح جزء منه لها نوعين، النوع الأول بيكون عباره عن أضافه بيقررها الحاكم أو تكون فى مصلحته، و فجأه بيطلعلها أى سند يقول أنها من صلب الدين، و هنا حأضرب مثالين، واحد أسلامى، و الثانى مسيحى، و الأتنين كانوا فى فترات تاريخيه قريبه، بما يعنى أنها التعديل تم بعد ظهور المسيحيه بحوالى 2000سنه، أو بعد ظهور الأسلام بأكتر من 1400 سنه، و الغريب أن المثالين بيعدلوا فى موضوع شائك جداً، و هو الزواج، يعنى موضوع المتضرر فيه بتكون أسره كامله، مش فرد، و تعال نستعرض مع بعض المثالين.

المثال الأول كان أول قانون ظهر فى مصر فى الألفيه الجديده، بمعنى أنه كان القانون الأول فى مصر لسنة 2000، يعنى من حوالى 23 سنه، فإللى فيكم أكبر من 35 ممكن يفتكر ظهور هذا القانون الدينى، و اللى بظهوره تم تحليل شئ مكنش له أى وجود قبل كده.

القانون اللى حأتكلم عليه طبعاً هو قانون الخلع، و اللى صدر نهائياً سنة 2000، بعد ما تمت الموافقه عليه دينياً، و طلع بعد كده أنه من صميم حقوق المرأه فى الأسلام. طيب ده يجرنا لسؤال، هل ما قبل سنة 2000 كان هو اللى مش صح،

و كنا بنحرم المرأة من حق المفروض أنه شرعى، و لا القانون هو اللى غلط، و بيحلل شئ مش موجود فى الدين أصلاً، و بالتالى ممكن يسبب مشاكل أكبر؟ طبعاً أسئله ملهاش أى أجابات، و لا فيه أى شخص على وجه الأرض حيفيدك فيها. لكن من المؤكد أن القانون أُصدر لأسباب سياسيه، لأن الفتره اللى ظهر خلالها، كان فى توجه نسوى كبير، فبغض النظر عن سؤال هو القانون ده صح و لا غلط، و لا شرعى أو غير شرعى، لكن فى النهايه القانون ظهر لتوجه ما.

و على الجانب الأخر، حدث شئ مشابه فى الكنيسه الأرثوذكسيه المصريه، حأحاول أشرحه بسرعه. خلال فترة تولى البابا كيرولس الرابع، من 1853 لحد 1961، بدأت الدوله المصريه تفكر فى وجود قوانين للأحوال الشخصيه، و طبعاً عُهد للبابا كيرولس الرابع -و اللى لُقب بأبو الأصلاح- تنظيم قانون الأحوال الشخصيه للمسيحيين، و من ضمنه طبعاً الطلاق، فكان فى القانون اللى أصدره البابا كيرولس الرابع، أكتر من عله أو سبب للطلاق، بمعنى السماح لطلب الطلاق من الطرفين لأكتر من سبب أو عله.

القانون تم أعتماده مره تانيه من خلال المجلس الملى فى عهد البابا يؤانس التاسع عشر سنة 1933، و فضلت أسباب طلب الطلاق زى ما أقرها البابا كيرولس الرابع. لكن لما تولى البابا شنوده كرسى الباباويه سنة 1971، كان من أول قراراته تعديل القانون الخاص بالطلاق، و أصبح السبب الوحيد للطلاق فى المسيحيه من وقتها هو "علة الزنا". ده حياخدنى لنفس السؤال السابق، هو مين فيهم الصح؟ كلا الثلاثه تولوا كرسى الباباويه، يعنى أعلى مرتبه كنسيه، لكن كما يقال "هناك تأويل فى فهم النص"، و هنا النص كان عباره عن أيه فى الأنجيل خاصه بالطلاق.

طبعاً عندى عشرات الأمثله الأخرى على التفاصيل اللى دخلت الأديان، سواء الأسلامى -بدايةً من الخلافة العباسى-، أو المسيحى -بدايةً من الأمبراطور الرومانى قسطنطين العظيم-، و كل تفصيله بتزيد، من جيل لجيل بتتحول لركن من أركان الدين، و المشكله أن الناس لا تقرأ، الناس بتسمع اللى بيتقالها عليه و بس."

النموذج التانى هو التشريع أو السنه اللى بيسنها أو يشرعها عالم ما، و فجأه بتتحول لجزء من الدين، زى مثلاً شروط شرعيه الزواج، و حاديكم مثال بسيط بمسأله فقهيه شهيره، 2 من أشهر علماء الدين أصحاب المذاهب أختلفوا فيها، و رأى كل واحد فيهم عكس التانى، و أحنا مش عارفين الصح فين، مع أن الحلال بين و الحرام بين، و خلينى بسرعه أقولك أيه هى المسأله، و أنت لوحدك حتستنج الرأيين. المسأله هى هل يجوز يمين الطلاق اللى حيرميه رجل على زوجته و هو فى حالة سكر، و لا يعى ما يقول؟ بمعنى هل يُعتبر يمين الطلاق فى حالة سكر الزواج و هو بيرميه سارى؟ طبعاً فى رأى قال يجوز، و رأى قال لا يجوز، و أنت بقى تختار الرأى اللى يعجبك."

عايز أدلل على كلامى بجمله شديدة الخطوره قالها شيخ الأزهر الشيخ أحمد الطيب من أربع سنين فى الأحتفال بالمولد النبوى، و هى أن السنه تُمثل أكتر من تلت أرباع الدين فى التشريع، بمعنى أن القرآن يُمثل فقط ربع مصادر التشريع، بمعنى أخر أن الدين الأسلامى حالياً أكتر من تلت أرباعه مش موجود نصه فى القرآن، و لا تعليق.

طيب من الأمثله اللى أنا ذكرتها دى كلها، أنا عايز أوصل لأيه؟ ببساطه عايز أوصل لنقطه فى منتهى الخطوره، و بتتلخص فى فكرة أن الأنسان بشكل عام بيميل لفكرة الدين، و أنا سافرت أكتر من دوله و شفت طقوس العباده فى أديان مختلفه، و أكتشفت أنها عقيده مترسخه داخل نفسية قطاع كبير جداً من البشر، و خاصة فى البلدان ذات البعد التاريخى، البلاد اللى ليها حضاره و تاريخ ممتد، و الدين فيها كان جزء من الحضاره، زى مصر و الهند و المكسيك. الشخصيه دى من السهل جداً الدخول لها طول الوقت من مدخل الدين، و زى ما كارل ماركس -الشيوعى- قال: "الدين أفيون الشعوب".

إذن فالدين -أى دين- بيُستخدم طول الوقت لتمرير قرارات لصالح حاكم، لإخضاع الناس بكافة الأشكال لأحكام تخدم مصالحه، و حأدلل بأكتر مثال أنا بدلل بيه فى مناقشاتى مع أى شخص، مثال أنا مسميه "المثال الكومبو"، لأن فيه نوعين من الأخطأ، الكدب و التدليس بأسم الدين، و ده عن طريق التفسير الخاطئ لأيه، و فى نفس الوقت الأمر المباشر للناس بالأنصياع التام لفئة من يسموا خطأً "علماء الدين"، لأن تعبير علماء هنا خاطئ جداً.

المثال هو التفسير المتعارف عليه لجزء من الأية 43 من سورة النحل اللى بيقول: "فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ". بدايةً، زى ما أنا لسه ذاكر، فده جزء من أيه، مش أيه كامله، و اللى بيفسرها كان واجب عليه أنه يقرأ الأيه الكامله، و هى زى ما قلت فى سورة النحل، أيه رقم 43: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُون".

قصة الأيه و تفسيرها كما هو موجود فى كل كتب التفسير الكبرى، و كمان للى عايز يتأكد، ممكن يدور على تفسير الأيه من الشيخ الشعراوى، و التفسير بيقول ببساطه أن لما بُعث الرسول، أنكر العرب أنه رسول من الله، و كان سبب أعتراضهم أن أزاى الله يُرسل بشر مثلنا، فجاوبهم القرآن أن كل الأمم السابقه من يهود و نصارى، و اللى كانوا عايشين بينهم فى الجزيره العربيه، كان كل أنبيائهم من البشر برضه. و بالمناسبه فكلمة "الذكر" فى القرآن، دايماً معناها الكتب السابقه لليهود و النصارى. و لو عايز تتأكد من كلامى، ده الموقع الرسمى لجامعة الملك سعود، و اللى بيُمثل أهم موقع لتفسير القرآن، و فيه تفسير لكل أيه من كافة كتب التفاسير و أسباب النزول http://quran.ksu.edu.sa/، و كمان ممكن تراجع تفسير الشيخ الشعراوى لنفس الأيه.

طيب معنى كده أن مشايخنا أما مدلسين، أو مش عارفين، و الكارثتين أكبر، و أنا بأميل دايماً للأختيار التانى "مش عارفين"، لأن ببساطه الدراسه الأزهريه مهتمه فقط بالأحاديث و الفقه و التشريع و أستنباط الأحكام، تفسير القرآن و أسباب النزول يكاد يكون ملوش أى أهتمام فى الدراسه الأزهريه، لكن الغريب أن دايماً كان الأهتمام بالقرآن بييجى من المستشرقين، و كفايه أن عندنا طول الوقت مسابقات لحفظ القرآن، و مفيش مسابقه واحده على مدار التاريخ لتفسيره أو فهمه.

فى نهاية كلامى عن السيطره عن طريق الدين، و أرجع و أأكد أنى هنا أقصد أى دين، أن هذا النوع من السيطره، من أهم وسائل التحكم فى البشر، فالدين كان دايماً مُستغل كأهم وسيله لحكم الناس، و كان فى أوروبا لحد القرون الوسطى، سلطة البابا أعلى من سلطة الحاكم، لحد بدايات عصور الأصلاح. نقطتين متشابهتين، و احده منهم مؤكده تماماً و التانيه مش مؤكده بنسبة 100%، أن الأزهر -و دى النقطة المؤكده- فى القرن ال19، فى عهد محمد على، رفض تماماً طباعة المصحف، بأعتبار الطباعه

بدعه، لكن محمد على أصر و كسب المعركه فى النهايه، و طبع أول نسخه من المصحف سنة 1932.

من قبل الأزهر برضه كانت الكنيسه الكاثوليكيه فى أوربا -و دى اللى مش مؤكده قوى-، رفضت برضه فى البدايه فكرة طباعة الكتاب المقدس.

السبب فى الحالتين بسيط جداً، أن قبل الطباعه كان عدد النسخ -سواء القرآن أو الكتاب المقدس- قليله جداً، لأنها يدويه، ففكرة أنتشار الكتب المقدسه -سواء القرآن أو الكتاب المقدس- مع كل الناس، و سهولة الحصول عليها، معناها طبعاً تقلص كبير جداً فى السلطه و القداسه الخاصه بالمشايخ أو الهيكل البابوى، و أنهيار جزء كبير جداً من القدسيه الرهيبه اللى كانوا بيمتلكوها قبل ظهور إختراع الطباعه.

****

أوصل معاك لجزء لLevel 2 أو المستوى الأعلى، و أطلع معاك خطوه لفوق، و لسه مكملين مع بعض بالسيطره عن طريق الدين، و كنا أتفقنا فيما سبق بأن الدين أصبح وسيله لخضوع كتير من الناس لأحكام و أوامر بأسم الدين، و تبليغ رسايل للناس عن طريق الدين، كل ده حتى لو كان عندى عليه كثير من الأعتراضات، لأنه بيحول شعوبنا لشعوب خاضعه و نايمه طول الوقت، و بعيده كل البعد عن اللى بيحصل فى العالم من حواليها، لأن الناس بتكون مشغوله طول الوقت بسفاسف الأمور، لكن ضررها بيتحمله كل شخص مع نفسه، أو مع أسرته اللى بيورثها أو بيفرض عليها نفس الأفكار.

فى المرحله دى حاوصل معاك لما هو أبعد، لمستوى علاقتك بالأخر اللى مش على نفس دينك، و أحياناً اللى على دينك لكن مش على نفس مذهبك، و أزاى عملية غسيل المخ و التغييب اللى بيعيش فيها هذا الشخص المضحوك عليه، حتوصلنا لما هو أبعد من كده بكتير، و ده كان السبب الرئيسى فى أستعراض فيلم "فى سبع سنين" فى أول الفصل.

خلينى برضه أتكلم معاك بس عن الأديان الأبراهيميه، و اللى حفاجئك أنها أربع أديان مش تلاته، و خلينى أذكرلك من القرآن أولاً، ثم من المسيحيه ثانياً. نبدأ من

سورة البقره، الأيه 62 " إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر"، و نفس الأيه موجوده فى سورة المائده، الأيه 69 " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" مع فرق واحد و هو رفع كلمة الصابئون بدلاً من جرها. و هناك عشرات التفاسير تخص ليه الأيتين اللى متشابهين حرفياً، لكن هنا كلمة الصابئين، و هنا الصابئون، ممكن حضرتك ترجعلها. كمان وردت كلمة الصابئين مره تالته فى سورة الحج.

الصابئون هم إتباع ديانة "الصابئه"، و نفتكر دايماً فى بعض الأفلام الدينيه القديمه، أستُخدمت كلمة "أصبئت" بشكل خاطئ جداً، و كان معاها الخاطئ في الأفلام دى "خرجت عن المله"، لكن فعلياً هى معناها الدخول فى ديانه الصابئه. و على فكره هما ما زالوا موجودين، لكن بأعداد قليله جداً فى العراق.

من المسيحيه أحب أوضح أن يوحنا المعمدان، و اللى قام بعملية تعميد المسيح بنفسه، هو أحد أهم أنبياء الصابئه، و هو فعلياً أخر أنبيائهم، و هو معروف أسلامياً بأسم النبى يحيى، و الشئ بالشئ يُذكر، فطقس التعميد المسيحى، هو فى الأساس طقس صابئى بيُمارس لحد النهارده، و التعميد بيتم فى نهر، و ده اللى قام بيه يوحنا المعمدان مع المسيح. و الصابئه يُفترض أنها أقدم حتى من اليهوديه، ده بحسب عقيدتهم الحاليه، و أن أول أنبيائهم هو شيث بن أدم.

أسف للأستطراد فى موضوع الصابئه، بس هو موضوع مهم حبيت أدلل بيه على جهل الناس بأشياء كتير فى صلب العقيده، و أرجع معاك لموضوعنا الأساسى، و خليني معاك أكتفى بالديانات الأبراهيميه التلاته، و ننسى الصابئه لأنهم بعيدين شويه عن الموضوع، فالأساس العقائدى فى الديانات التلاته، و اللى يفترض فى الأساس أن كل دين منهم بيكمل ما سبقه، هو أن محدش يؤمن بالديانتين الأخريتين، و ممكن برضه حضرتك تتأكد بنفسك من النقطه دى علشان ما أطولش عليك.

كمان بيكون داخل كل ديانه فيه طايفتين أو تلاته رئيستين، و تحت كل منهم عشرات الطوايف الأصغر، و الأختلافات أحياناً بتوصل لمفهوم العقيده نفسها. كل ده مفيهوش مشكله لو كل فصيل فى حاله، لكن للأسف فيه كتير من الفصايل لا

تكتفى بالأختلاف العقائدى، و مبدأ "لكم دينكم و لى دينى"، لكن أحياناً بتعتقد بعض الفصايل أن محاربه الأخر جزء من مرضاة الله.

أوعى تفتكر معايا أن كل من يدعى "الجهاد فى سبيل الله" بيعمل كده لأعتقاده الأيمانى بس، لكن ورا أى حركه جهاديه، بيكون فيه دايماً 4 مستويات من الأشخاص، 3 منهم مستفيدين، وصلواً للمستوى للرابع المضحوك عليه دائماً بأسم الدين، و اللى بيكون الأداه التنفيذيه فى النهايه.

خلينى قبل ما أدخل فى ضرب أمثله من العصر الحديث، أرجع بيكم لقصه من التاريخ، هى حقيقى مش مؤكده، بس أنا أميل لأسباب كتير أنى أصدقها، خصوصاً كمان لسماعها من أكتر من مصدر محل ثقه بالنسبالى، و حتى لو كانت من ضرب الخيال -و إن كنت أشك-، فهى حكايه لطيفه تستحق السمع، بتضربلك مثال بكيفية أستخدام فكرة الشهادة و ضمان الجنه، طبعاً بما فيها من ملذات و حور عين، لأستغلال كتير من الأشخاص فى تنفيذ مخططات ممكن تودى بحياتهم، و فى نفس الوقت تحقق أطماع اللى بيضحكوا عليهم بأسم الدين طول الوقت، و القصه هى لفرقه أسلاميه شهيره جداً فى التاريخ الأسلامى أسمها "الطائفه الأسماعيليه، و الشهيره بأسم الحشاشين، و حنعرف مع بعض سبب التسميتين.

بدايةً، فالطائفه هى فرقة شيعيه، و أسم "الطائفه الأسماعيليه" جه بسبب إيمانهم بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، بعد أبوه الإمام الصادق، ورفض بعضهم التسليم بأنه مات فى عهد أبوه، و أدعوا بأنّ الإعلان عن موته و جنازته، كانت تقيه من أبوه الإمام الصادق، و تقيه نقدر نقول أن معناها خدعه، و الهدف منها الحفاظ عليه و إخفائه عن عيون العباسيين، اللى كانوا عايزين يقتلوه.

أتقسمت الطائفه الأسماعيليه لفرق كتير، كان من بينهم الفاطميين اللى حكموا مصر فتره كبيره، و من الفرق التانيه اللى أنقسمت لها الطائفة الأسماعيليه، كانت فرقة الحشاشين، و اللى أسسها " الحسن بن الصباح الإسماعيلى"، أما عن أسباب تسميتهم ب"الحشاشين" فبيُذكر سببين، الأول أنهم كانوا بيختفوا لأعدائهم فى الحشائش، يعنى زى ما بنقول فى مصر "بيلبدولهم فى الدره"، و الموضوع ده سواء حقيقى أو مش حقيقى، بس بالتأكيد أن مش هو ده سبب الحقيقى للتسميه، السبب

الحقيقى هو تعاطيهم الحشاشين، و يقال أن تعاطيهم الحشيش كان بيتم قبل خوض أى معركه، علشان يوصلوا لنوع من التخدير العقلى، يوصل الخايف منهم لحاله من عدم الشعور بأى شئ، فمحدش فيهم يفكر فى التراجع، و الحشيش حيكون سبب الحكايه اللى خلتنى أذكر فرقة الحشاشين.

حسن الصباح أقام 35 سنه هو و أتباعه من الحشاشين فى قلعه أسمها "ألموت" فى أيران، و معنى "ألموت" مش الموت، لكن معناها عش العقاب، و هو طائر شبه النسر، حسن الصباح مخرجش من القلعه أبداً طول ال35 سنه ، لأن يُشاع أن داخل القلعه كان أشبه بالجنه، و فيها كل شئ، المهم أوصل بيكم للنقطه المهمه، و هى أنه يُقال أن حسن الصباح كان قبل أى عمليه أو هجوم على أى أعداء، كان بيخلط أكل أتباعه بالحشيش من غير ما يعرفوا، فلما كانوا بيوصلوا لمرحلة ألا وعى، كان بيجيبلهم داخل القلعه بنات فى غاية الجمال أثناء فترة غيابهم عن الوعى، و ده كان بيتم فى وسط الجناين اللى جوه القلعه، فكان بيقدر يقنعهم بعد ما بيفوقوا من أثر المخدر، أنهم شافوا الجنه و الحور العين، فبعدها على طول أول ما بيرجعوا لوضعهم الذهنى الطبيعى، بيتحول كل الأتباع لجنود بتحارب طلباً للشهاده، علشان طبعاً يروحوا الجنه -اللى بيفترض أنهم شافوها كرؤيه- و يشوفوا بالتأكيد الحور العين. و الحور العين كانوا دايماً من أهم وسائل الجذب للجماعات الجهاديه لحد يومنا هذا، و بالمناسبه، فكريم عبد العزيز حيكون بطل مسلسل بيتكلم عن الحشاشين، حينزل فى رمضان 2024.

و بالمناسبه فكلمة Assassin و اللى ليها نفس المعنيين فى اللغتين الأنجليزيه و الفرنسيه، و المعنيين هما "قاتل" أو "حشاش" فالكلمه جايه من أسم الطايفه و هو "الحشاشين"، و طبعاً أكيد أنت ملاحظ معايا التقارب الكبير فى الكلمتين.

نرجع مره تانيه للعصر الحديث، و الأربع مستويات من الناس اللى بتوصلنا لفكرة الجماعات الجهاديه، و نبدأ بالمستوى الأول المستفيد، و هما الفئه اللى سميناها فى الفصل اللى فات "الحكومه الخفيه للعالم"، اللى هما بالفعل مجلس إدارة العالم، و اللى بيحددوا أيه يحصل فين و أمتى، و ده بيكون لأهداف بعيدة المدى فى خططهم المستقبليه، فتكوين جماعات جهاديه بيكون الهدف منه تحقيق أغراضهم طول الوقت.

المستوى التانى من المستفيدين بيكون دايماً دول كبرى، زى أمريكا مثلاً، اللى الجماعات الجهاديه خدمت مصالحها طول الوقت بأكتر من شكل، سواء مباشر أو غير مباشر، زى مثلاً حرب الجماعات الجهاديه بالوكاله عن أمريكا ضد الأتحاد السوفيتى فى أفغانستان، و كلمة حرب بالوكاله معناها أن دوله زى أمريكا صدرت دوله أو جماعه فى حرب هى عايزه تخوضها، لكن قدرت تخلى الدوله أو الجماعه دى تحارب نيابة عنها، و الحرب دى بتخدم مصالحها هى بس، لكن بدون ما أمريكا تبعت جندى أمريكى واحد، زى ما بيحصل حاليا بين أوكرانيا روسيا ، و اللى تعتبر أوكرانيا فيها بتحارب بالوكاله لصالح أمريكا، و هكذا.

المستوى التالت من المستفيدين هما رؤساء الجماعات نفسهم، مُدعى الدين، و اللى بالفعل بيكسبوا مليارات بدون طبعاً ما يتحركوا من كراسيهم، لكن بيستخدموا أمكانياتهم الجباره فى السيطره على عقول ألاف الشباب و حشدهم، و القيام بعملية غسيل مخ كامل ليهم، لدرجه بتوصلهم لكل اللى كلنا بنشوفه فى الأخبار أو بنسمع عنه، و الفئه التالته من المستفيدين بتتكون من تاس حقيقى عندها موهبه نادره، و هى فكرة الأقناع و السيطره، و من بعدها قدرة الحشد، لكن هل هما مؤمنين بما ينادوا بيه، و اللى بالطبع مش بيعملوه بنفسهم؟ أشك طبعاً.

المستوى الرابع طبعاً بيكون ألاف الشباب المضحوك عليها و المغيبه، و اللى بيتم أختيارهم بعنايه بعد دراسة ظروفهم و أستغلالها، و الحكايات عندنا كتير جداً، و فى النهايه هما بيكونوا أدوات تنفيذ بس، محدش فيهم بيستفيد حاجه، غير بس حلم الجنه، و طبعاً الحور العين.

فى النهايه الناس دى بتتحول -زى ما قلنا- لناس مش بتمارس دينها و بس، لكن لناس بتكفر و بتقتل كل من يخالف معتقدها، سواء من ديانه تانيه أو حتى نفس الديانه لكن مش معاه على نفس الخط، و اللى بيحصل ده طبعاً واحده من الأهداف الكبرى ل"الحكومه الخفيه للعالم"، لأنه من جهه بيشعل صراعات فى المناطق اللى غالباً فيها الثروات، ثانياً ده بيساهم بشكل كبير جداً فى تقليل عدد سكان العالم، و طبعاً ده من أهم الأهداف، فهنا كانت فكرة المحرمات الدينيه أو "التابوهات" هى المدخل، فهل اللى بينخرط فى جماعه من الجماعات الجهاديه بيبقى واصله كل التفاصيل دى؟ مره تانيه أشك.

****

طيب هل السيطره الدينيه بيكون ده شكلها الوحيد؟ هل "التابوهات" حتقف بس عند فكرة الأديان المتعارف عليها؟ لأ طبعاً، لأن أحياناً كتير بتكون فيه سيطره فى الأتجاه المعاكس تماماً، و هى فى شكل مخالف للأديان المتعارف عليها، سواء كانت فى شكل توجهات لزعزعة فكرة الدين، و دى معنديش فيها أى مشكله، لأن أتباعها بيكونوا مسالمين و مفيش منهم أى مشاكل، و كده كده حرية العقيده مكفوله للجميع، لكن الخطر دايماً بييجى من أتباع فكر غريب أو شاذ، و بيمارس طقوس فيها كتير من اللا أدميه، و ده برضه مش بيتم كده من نفسه، و برضه بيكون وراه تخطيط من "الحكومه الخفيه للعالم"، و خلينى أضرب مثال بتاريخ عبادة الشر -المُتمثل في عبادة الشيطان طبعاً- فى العالم فى العصر الحديث.

أدوارد ألكساندر كراولى، المولود فى أنجلترا سنة 1875، و اللى سمى نفسه بعد كده "الياستر كراولى" كان مؤسس أول و أهم جماعه دينيه لعبادة الشيطان فى العالم فى العصر الحديث. كراولى اللى نشأ فى أسره أنجيليه مسيحيه غنيه، شعر من طفولته بنفور للدين. و فى سنه 1904 زار مصر، و أتأثر جداً بالحضاره المصريه القديمه و أسرارها، و كانت الزياره دى هى مدخله لكتابة كتابه الأول "كتاب القانون"، و بعدها ب3 سنين كانت بداية جماعتة السريه، و اللى سماها "النجم الفضى"، و من سنة 1909 بدأ كراولى تعاليمه، و اللى سماها "الأعتدال".

كراولى سمى نفسه "الوحش 666"، و دى تسميه موجوده فى الكتاب المقدس، العهد الجديد، فى سفر الرؤيه، و كتير من المفسرين للكتاب المقدس بينسبوها للمسيح الدجال أو شيطان أخر الزمان،

أتأثر كراولى بكتير من التعاليم الدينيه الشرق أسيويه، و الجماعات الخاصه فى أنحاء العالم، و كان أول من أهتم ب"التاروت"، و بدأت تعاليم كراولى الغريبه و الشاذه تنتشر فى العالم كله، بسبب كتره سفرياته و تنقلاته.

الكلام عن كراولى كتير جداً، لكن خلينى أطير معاك كام سنه، و نوصل لفترة الستينيات من القرن الماضى، مع الشخص اللى أسس فعلاً ما يسمى بال"Satanism" أو عبادة الشيطان، و كلمة Satan هى نفسها كلمة شيطان

بالعربى، و هو أنطونى ليڤى الأمريكى، و المولود سنة 1930، و اللى أسس ما سُمى ب"كنيسة الشيطان" فى 30 أبريل 1960.

ليڤى و مشروعه أتدعموا بطرق خفيه كتير جداً، منها اللقاءات الكتيره اللى ظهر فيها على شاشات التليفزيون الأمريكى، عشرات الأفلام التسجيليه اللى صورت ما يحدث من طقوس داخل كنيسته، بالرغم من أن فيها طقوس أباحيه كتير جداً أعلى حتى من 18+، لكن تم تصوير الأفلام، و هى موجوده ليومنا هذا، و أنا تقريباً شفتها كلها. الكتب اللى أتكتبت عنه، و خلينا نعترف بأمانه أن أحياناً الهجوم على شئ معين، بيكون حافز للناس أنها تحاول تكتشف الشئ ده، و ممكن كمان تجربه.

المهم أن فى سنة 1969 أصدر ليڤى كتابه المقدس "The satanic bible"، أو الكتاب المقدس للشيطان، و كان ليڤى مصر أنهم مش بيعبدوا الشيطان، لكن بيعبدوا ما سماه "His infernal majesty" أو صاحب الجلاله الجهنميه.

عبادة الشيطان و ربطها بأنواع معينه من الموسيقى خاصة "Heavy metal" و هى الموسيقات ذات الأيقاع الصاخب الرتيب أو المتكرر، و طبعاً مع المخدرات، بدأت تنتشر فى العالم بفعل فاعل، حتى لو كانت مش هى نفس تعاليم ليڤى، لكن كان المهم هو نشر الثقافه نفسها، و كان فى قضيه شهيره فى مصر سنة 1997، تم فيها القبض على مئات الشباب فى أحد الحفلات فى قصر البارون فى مصر الجديده -وقت ما كان لسه مهجور-، بدعوى أنهم من عبدة الشيطان، طبعاً كلهم طلعوا براءه بعد كده، لأن الفكره اللى وصلت مصر من عباده الشيطان كانت هى الطقوس المجنونه، مش الفكر العقائدى نفسه.

المهم اللى عايز أوصله أن نفس اللى دعموا الفكر الدينى المتطرف، و حمل السلاح لخدمة أهدافهم، هما نفسهم اللى بيدعموا الأفكار الدينيه أو خلينا نقول "أللا دينيه" الشاذه، و برضه لخدمة أهدافهم، المهم هو وصول الشباب -و هما طبعاً الفئه المستهدفه-، لمرحلة التطرف الفكرى، و التطرف ده بيخليهم يقبلوا تغيير الفطره أو المعتقد اللى أتربوا عليه، فيقوموا بعمل حاجات كان إستحاله يعملوها فى حالتهم الأنسانيه العاديه، زى القتل أو تقديم قرابين بشريه، و ده المطلوب منهم، و جزء من

الوسائل اللى بتحقق أهداف من يحكمون العالم، طيب هل بس دى الأشكال اللى تم أختيارها لتحقيق اهدافهم؟

لأ فى أشكال تانيه كتير من التطرف لخدمة أهدافهم، و تعالوا نوصل لشكل حديث كلنا شايفينه الفتره دى، و هى فكرة "نشر المثليه الجنسيه" بكل الوسائل الممكنه، و غرس الفكره فى الأطفال الصغيرين اللى لسه شخصيتهم بتتشكل، فمن السهوله أنك توصللهم الفكره فى المرحله دى.

الشكل الحديث هو نشر فكرة المثليه الجنسيه بشقيها، الرجالى و النسائى، و ترسيخ فكرة أن ده شكل طبيعى من أشكال العلاقات الأنسانيه، و دعم المثليين بكل الوسائل لنشر أفكارهم، بالأضافه لأخطر حاجه، و هى نشر فكرة أن المثليه شئ طبيعى، و ده من خلال كل حاجه بتوصل للأطفال، سواء أفلام، لعب، حتى الرسومات اللى على الكراسات، و ده طبعاً له أهداف كتير، الكتاب ده مش مختص بيها، لكن كنا أتكلمنا على بعضها فى فصل تانى، لكن أنا بكلمك على نتايجها، و اللى حتبدأ تشكله على الأجيال الجديده، و تعال معايا نبدأ بالسؤال الأهم، هل المثليه مرض عضوى أم نفسى.

فى سنة 1961، ظهر فيلم أمريكى فى غاية الأهميه أسمه " The children's hour" أو "ساعة الأطفال" و كان من بطولة أتنين من أهم نجمات العالم فى الفتره دى، و هما أودرى هيبورن و شيرلى ماكلين، و كان بيتكلم عن مدرستين فى مدرسة بنات طلعت عليهم أشاعه أنهم على علاقه ببعض. الفيلم بيصور نظرة المجتمع كله لهم، و أزاى حياتهم أدمرت بسبب الأشاعه دى -اللى لم تكن حقيقيه-، بس اللى يخصنى من الموضوع ده، هو أن من 60 سنه بس، و يمكن كمان فضلت لفترات أقرب من كده، كانت فكرة المثليه الجنسيه منبوذه تماماً من أكتر مجتمعات العالم حريه، و هى أمريكا.

طيب أنا عايز أوصل لأيه؟ عايز أوصل أن أجابة سؤالى أن بالفعل السببين موجودين، السبب الفسيولوجى، و السبب النفسى، يعنى بالفعل فى ناس كتير بتولد و عندها مشاكل فى أجهزتها التناسليه، أو أضطرابات هرمونيه، فبتغير من التركيبه الفسيولوجيه لجسمهم، و بالتالى ميولهم الجنسيه.

بالنسبه للأسباب النفسيه فهى كتير جداً، و خلينى أضرب مثال بالنسبه للرجال، و هو التعرض لأعتداء جنسى فى مرحله مبكره، و بيتهيألى رواية "عمارة يعقوبيان"، و طبعاً الفيلم اللى أتعمل منها، حللوا المشكله بشكل دقيق جداً. طبعاً ده غير الكبت الجنسى فى الأماكن اللى بيكون فيها رجاله بس، زى السجون و الأصلاحيات، و خصوصاً الأصلاحيات، فالكبت ده للأسف بيولد نتايج غلط، و تكون نتيجته أنحرافات جنسيه.

بالنسبه للنساء فالموضوع حالياً أصبح أسهل، و أتذكر أن مره بنت أتكلمت معايا فى أنها بدأت تفكر فى الأتجاه ده لأن كل الأولاد خاينين، و ده كان بعد أكتر من تجربه فاشله. الأسباب كتير جداً، لكن كلها بتقول أن نسبة المرض النفسى أكتر بمراحل من المرض العضوى أو الفسيولوجى.

لكن اللى بيحصل فى الفتره الحاليه، هو محاوله بكل الطرق لنشر فكرة أن ده طبيعى، و مش عيب أو حرام أو غلط، و النشر ده بيتم بقوه بين الأطفال، علشان ينشأوا على فكرة أن ده عادى و طبيعى، أو بين المراهقين، و هو السن المتمرد اللى بيحب يجرب كل حاجه، و فى النهايه فسواء دول أو دول، فهما بيمثلوا الفئه المستهدفه للفكر ده، أما الفئات الأكبر، فبيتم محاولة تعويدهم على فكرة "قبول الأخر"، عن طريق التكرار، و دى طريقه متجربه و مضمونه، و تم بالفعل تعويد عيوننا و عقولنا على حاجات كتير، عمرها ما كانت تناسب عادتنا و تقاليدنا، ده غير أن الفئات الأكبر لهم وسائل و أفكار تانيه توصل للمخطط المطلوب للعالم، الخاص بتقليل عدد السكان، بعضها أتكلمت عنه فى الفصل اللى فات.

فى نهاية الجزء ده من الفصل، فنشر أى أفكار متطرفه -أياً كان شكل تطرفها-، هو عمليه منظمه لأخراجك عن الشكل المألوف و الطبيعى، و بما أنك لو أستجبت لأشكال التطرف دى حتكسر تابوهاتك الأصليه، و تبدأ تدخل فى شكل جديد من التابوهات المُصنعه و المُعده مخصوص علشانك، فأنت حتبدأ تنفذ حاجات عمرها ما كانت تخطرلك على بال، و هو المطلوب، أنك تتحول لأداه و لضحيه فى نفس الوقت لتنفيذ مخططات أنت اللى خسران فيها طول الوقت.

****

أوصل معاك للنص التانى و الأخير من الفصل ده، و أوعدك أنه ححاول مطولش فيه، و هو ما سميته "الأصنام"، و تعال أدخل معاك بسرعه و بدون مقدمات فى تفاصيل الموضوع.

كلمة Idol فى اللغه الأنجليزيه لها معنيين بعاد جداً عن بعض، لكن أنا دايماً بتسأل هل لما كلمه واحده فى أى لغه بيكون لها أكتر من معنى مختلفين عن بعض بيكون من قبيل الصدفه، و لا كل المعانى بيكون لها جذر مشترك، أو معانى منبثقه من بعضها، و خلينى أرجع للكلمه اللى أنا أخترتها، و اللى هى موضوع الجزء ده من الفصل، و نشوف المعانى المختلفه لها، و مدى أرتباطهم ببعض.

المعنى الأول للكلمه هو صنم أو معبود، تمام، طيب أيه هو المعنى التانى؟ المعنى التانى هو محبوب أو معبود الجماهير، يعنى لما يكون فيه نجم Super star و أغلب الناس بتحبه، و له المهاوويس بتوعه، فده بيتسمى برضه Idol، و زى ما قلت هنا حيكون معناها محبوب أو معبود الجماهير، و نفتكر كلنا فيلم مصرى شهير بطولة عبد الحليم حافظ و شاديه، كان أسمه "معبودة الجماهير"، و ده يأكد تطابق الفكره فى اللغتين و الثقافتين الأنجليزيه و العربيه، و هى فكرة أن النجم محبوب الجماهير، هو أشبه بصنم بتعبده الجماهير، و دى فكره و إن كانت غريبه و مُنفره، لكن لو فكرت فيها معايا شوية، حتلاقيها حقيقيه بنسبه كبيره جداً، لأن النجم ال Super Star أحياناً بيتحول لصنم بتعبده جماهيره، مش لازم العباده تكون بالصوره اللى أنت متخيلها، لكن العباده بتقليده فى كل حاجه، بسماع كل اللى بيقولوه كأنه وحى، بأن فيه ناس ممكن تموت نفسها علشان تحضر حفله لمطرب، إلخ....

أعتقد أن واحده من أهم نقاط التحول فى تاريخ البشريه، كانت هى الحرب العالميه التانيه، بعدها بدأت حاجات كتير فى سياسيات من يحكمون العالم تتغير، خصوصاً كمان بعد العشرات من حركات الأستقلال اللى نجحت فيها دول أفريقيا و أسيا، فبدأت قوة الدولتين الأهم فى العالم وقتها و هما أنجلترا و فرنسا تتراجع، و تحل محلهم القوه الجديده متمثله فى أمريكا و الأتحاد السوفيتى، بأفكار أستعماريه جديده لكل قوه من القوتين الجدد.

أمريكا كانت سياستها هى غزو العالم بأفكارها، لحد ما وصلنا لما يُسمى العولمه، و اللى أنا سمتها "الأمركه"، و بما أن غزو أمريكا -و هى دوله فى الأساس مُصنعه-، و من وراها صانعيها، -و اللى بيمثلوا مجلس إدارة العالم-، غزو فكرى هدفه نشر الأفكار، فكان لازم من شكل جديد لرسل يقوموا بنشر الأفكار دى على مستوى العالم، و هدم كل الثوابت الفكريه و العادات و التقاليد القديمه، و اللى من وجهة نظرهم لازم تتغير.

تَمثل الرسل دول فى فكرة الSuper stars فى كل المجالات، الرسل اللى حينشروا الأفكار الجديده فى كل المجالات، حتى الدين، يعنى بدأنا فى النصف قرن الأخير نشوف فكرة رجل الدين النجم، سواء فى الأسلام أو المسيحيه، و طبعاً ساعد على كده ظهور التليفزيون و ما بعده من وسائل نشر الأفكار، و رجل الدين النجم، و اللى بيخاطب جمهوره بشكل يناسب العصر، الهدف من ظهوره هو تغيير الأفكار، و تغيير الأفكار لازم يتم بصوره تدريجيه، علشان الناس متحسش بالتغيير ده، و طبعاً لو كنت أكبر من 35 سنه حتفتكر معايا أشهر نموذج تم أختياره أسلامياً لبدايات إحداث التغيير، الداعيه اللى قلب مصر فى بدايه الألفيه بشكل جديد للدعوه الدينيه، بمفاهيم و شكل جديد تماماً للدين، و طبعاً خلال سنوات بسيطه أصبح Super star و أتبعه الملايين -الغالبيه العظمى فيهم من النساء-، لأنه كان عارف يخاطب النساء صح، كان عارف يدخلهم منين، و بالفعل نجح فى تغيير مفاهيم و قيم كتير، بالنسبه للفئه المستهدفه اللى أتبعته، و معاها تم تغيير فى كتير من تفاصيل المظاهر الدينيه المرتبطه بنفس الفئه، و اللى بدورها نشرتها للفئات التانيه، و أصبح التغيير ده هو السائد فى يومنا هذا.

بعد كده تحول مشروعه الدينى لمشروع تجارى، جمع من خلال تبرعات الناس المليارات، و ده لأنه تحول لIdol، معبود الناس مصدقاه من غير عقل، و محدش طبعاً كان بيتابع مصير التبرعات دى أيه، و فى النهايه خد وقته، و زيه زى أى صنم بيتصنع، بياخد وقته و بينتهى بعد ما بيكون حقق الهدف المطلوب منه، و هى ده فكرة الIdol أو الSuper star، بيلمع لفتره و بعد كده بيختفى تماماً، لكن بعد تحقيق الهدف منه.

و على الجانب الأخر من الشاطئ أو الجانب المسيحى، تم مؤخراً تلميع و تنجيم فئه مهمه جداً، و هى فئة من يسمون بالعابرين، و مصطلح العابرين لو كنت مش عارفه، فهو مصطلح تم أختياره حديثاً لتسمية المتحولين من الأسلام للمسيحيه، و بدأ تنجيم بعض اللى لهم كاريزما من بين العابرين دول، و اللى تم تهجيرهم لأوروبا و أمريكا، بدعوى طبعاً أنهم مُعرضين للخطر فى بلادهم.

و على رأس العابرين دول، عابر من دوله من دول المغرب العربى، أصبح Idol، نجم Super star حقيقى، و بيتعمله برامج من أكتر من عشر سنين للهجوم على الأسلام -بأعتباره مسلم سابق عنده كتير من الخفايا عن الأسلام-، و بيتعمله عشرات المناظرات عديمة الجدوى، لكن فى النهايه هو حقق الهدف منه، و أنا شايف أنه حالياً دخل مرحلة النهايه لأنه أصبح معندوش أى جديد يقدمه، و خلاص قريب حينتهى زى المثال الأول اللى أنا لسه ذاكره، لأن اللى بينجم هؤلاء الIdols، بيكون محتاج يحقق من وراهم هدف معين فى فتره معينه، و بس.

بس سؤال هل الهدف من تنجيم العابرين تبشيرى؟ بمعنى هل الهدف هو تحويل كتير من المسلمين للمسيحيه؟ الأجابه لأ طبعاً. الهدف الأساسى من وجهة نظرى من برامج هؤلاء العابرين مش نشر المسيحيه على الأطلاق، لكن زعزعة الأسلام، من خلال هذا الكم من التفاصيل اللى بيتكلم فيها هذا العابر أو غيره، و طرحه لعشرات الأسئله لمشاهديه محدودى الثقافه فى دينهم. طيب سؤال تانى، هل هذا العابر و غيره من اللى بيقدموا برامج على قنوات مسيحيه بيشوفهم مسلمين؟ الأجابه القطعيه نعم، لأن دول هما الفئه المستهدفه أصلاً، فلو من يدير المعركه من الخلف مش متأكد من تحقيق هدفه، مكنش صرف كل الصرف ده.

سؤال تالت و أخير، هل الهدف هو هدم الأسلام؟ الأجابه القطعيه لأ، لكن الهدف هو هدم ثوابتك، لأن من يدير المعركه لا يهمه أسلام و لا مسيحيه، لكن يهمه أنه يشكك فى ثوابتك أولاً، لحد ما يخليك تهدمها بنفسك، و هو ده الهدف النهائى المطلوب من كل القصه دى، أولاً هدم الثوابت، ثانياً كسر أنتمائك لأى شئ أنت تنتميله، سواء دينى أو قومى أو وطنى، أو حتى عرقى أو أجتماعى أو موروث ثقافى.

طيب سؤال سريع قبل ما ننتقل لشكل أو نموذج تانى، هل شكل رجل الدين الSuper star موجود فى مجتماعتنا أحنا بس؟ الأجابه لأ، ده موجود فى كل المجتمعات، بما فيها أمريكا نفسها، و فى أمريكا تحديداً هو موجود و منتشر بشكل كبير جداً، لكن فى كل مكان بيكون رجل الدين المُصنع له هدف مختلف مطلوب توصيله، فالشكل دايماً هو هو، لكن الهدف دايماً بيختلف من مجتمع لمجتمع تانى.

****

شكل تالت من أشكال الIdols، و أنا بعتبره فى الترتيب رقم 2 من حيث الخطوره و التأثير، و ييجى فى الترتيب بالنسبالى بعد أخر نموذج حأذكره، لأنه الوحيد من كل النماذج اللى ذكرتها أو حأذكرها هو اللى بيوصلك لحد مكانك، مش أنت اللى بتدور عليه علشان تروحله، و هو المذيع أو مقدم البرامج النجم الSuper star، و اللى بيدخل بيتك من خلال برامجه تقريباً بشكل يومى، و ده الIdol اللى هدفه أنه يبثلك السموم الفكريه -سواء كانت سياسيه أو فكريه أيدولوجيه أو غيره- جوه العسل اللى يُفترض أنه بيقدمهولك.

كل كلمة بتتقال فى أى Talk show يومى أو برنامج حتى لو مش على الهوا، بتكون مترتبه و متراجعه و متحدد الهدف منها أيه، أغلب الكلام بيكون رسايل خفيه، حتدخل عقلك الباطن من غير ما تشعر، و شويه شويه مع تكرار الرسايل بشكل يومى، بتلاقى نفسك تأثرت و بدأت فى مرحلة تقبل الرساله، و ممكن لو أنت من النوع المُتكلم، تلاقى نفسك بترددها على أنها أفكارك أنت.

الهدف من النوع ده من الIdols هو تغيير أفكارك السياسه أو الأيدولوجيه زى ما سبق و ذكرت، و النوع ده من تغيير الأفكار هو بالفعل أخطر بكتير من تغيير الأفكار الدينيه، لأنه أولاً بيتم على مستوى جماعى -مش فردى- زى التغيير الدينى، ثانياً بيتم عن طريق رسايل خفيه طول الوقت، مش عن طريق توجيه مباشر، و فى النهايه عواقبه أخطر بكتير. علشان كده بيكون الSuper star عمره أطول فى مشوار النجوميه من كل اللى ذكرتهم و حأذكرهم، لأن النوع ده بيشتغل على المدى الطويل، و أحياناً الطويل جداً لتغيير الأفكار.

الشكل الرابع من أشكال الSuper star هو الشكل التقليدى المتعارف عليه، و هو النجم السينيمائى، لكن هنا الIdol بيلعب دوره بشكل غير مباشر، و ده بيكون عن طريق تحويله لأيقونه من خلال أدواره، و غالباً النجم الIdol بيكون Super star صاحب أدوار متشابهه، يعنى دايماً بيطلع بطل، أو حرامى أو بلطجى، أو حتى عبيط، أو أمرأه قويه بيجرى وراها كل الرجال. الشكل ده بدأ ظهوره فى السينما العالميه تقريباً من الخمسينيات من القرن اللى فات، و بدأ عندنا تقريباً من الستينينات من نفس القرن، و بيتهيألى نماذج الممثلين الSuper stars المنمطين عندنا فى السينما المصريه كتير جداً. طيب أيه الهدف من ده، و أزاى التنميط ده بيوصل الرساله المطلوبه؟

بدايةً، الأجابه هى ملحوظه صغيره لازم تلاحظها معايا، أن أكتر الأفلام جماهيرية و تحقيقاً للأيرادات دايماً بتكون الأفلام اللى بتحمل قدر كبير من العنف و الجنس و الجريمه و المخدرات، و خصوصاً لما بطل الفيلم بيكون بطل، حتى لو بطل بلطجى أو حرامى أو حتى عبيط، البطوله هنا بيكون معناها أنه بينتصر على كل اللى حواليه، فده نموذج بتتوحد معاها شخصية المشاهد، لأن دايماً النفس البشريه بتحب حاجتين، أولاً كل ما هو ممنوع، و ده بيتحقق فى الفيلم، ثانياً فكرة البطوله و أنك تكون منتصر دايماً على كل اللى حواليك.

النوع ده من الأفلام بيجذب جداً فئة المراهقين و العشرينات، و هما الفئه المستهدفه، فبيتحقق عن طريق الفيلم 3 أهداف: أولاً، نشر ثقافة الجنس أو المخدرات من خلال أحداث الفيلم. ثانيا، نشر العنف من خلال التوحد مع بطل الفيلم. ثالثاً، نشر أى أفكار مطلوب نشرها زى المثليه، الأفكار اللى ضد الأديان و القيم، التصديق بالشعوذه و السحر، و ممكن ده يكون نشره بأبسط صوره، زى ملابس البطل أو البطله، تسريحة شعره، تعاملات الشخصيه مع اللى حواليه فى الفيلم...إلخ. عشرات التفاصيل اللى بتقدر توصل كل الأفكار المطلوب نشرها، و لاحظ معايا أزاى بقالنا حوالى 12 سنه مستوى العنف بيزيد عندنا لدرجة أكتر من حادثه قتل خلال السنين اللى فاتت تتم فى الشارع، و أخرها و ممرش عليها أسبوع هى حادثة قتل بنت أسمها فريده على أيد أخوها فى الشارع فى بورسعيد، و قبلها نيره فى المنصوره، و قبلها حادثة الأسماعيليه، لاحظ معايا تنوع المحافظات، كل ده كان

أحد نتايج أفلام و مسلسلات العنف اللى بنشوفها طول الوقت، و أخرها طبعاً مسلسل ما زال يعرض حالياً.

إذن فتأثير الدراما كسينما و كمسلسلات، له دور رئيسى فى توصيل كل الرسايل المطلوب توصيلها، و تحقيق الأهداف بأسرع شكل ممكن، و هنا بيكون الIdol دوره من خلال أعماله، و برضه حأقول أن عمر الSuper star Idol بيستمر، طالما هو لسه فى المرحله العمريه و الجسديه اللى حتسمحله بتوصيل الرسايل، أما بعد كده، فبدوره بينتهى بشكل قاطع.

****

الشكل الرابع من أشكال الSuper star هو المطرب الHero، و ده دوره بيختلف تماماً عن مثيله الممثل، بالعكس ده تأثيره بيكون أكبر بمراحل، خصوصاً فى المرحله الأخيره، بعد ظهور الأنترنت، و حأشرح ليه فى وسط كلامى.

المطرب غير الممثل من زمان لفكرة أنه أكثر أحتكاكاً بالجمهور، و ده من خلال الحفلات، المطرب الSuper star بيكون أيقونه فى كل شئ، شعره، لبسه، أكسسواراته، و أفتكر كويس و أنا صغير، فى التسعينيات من القرن اللى فات، أن ملابس عمرو دياب فى بوسترات كل ألبوم جديد أو ڤيديو كليب جديد، كانت هى الموضه اللى بتنزل فى المحلات بعدها مباشرة، و طبعاً تسريحات شعره اللى كان بيغيرها من ألبوم للتانى، كنت بلاقى تانى يوم كل الشباب عاملاها، و ده شئ طبيعى فى مجتمعاتنا، أن نجم أيقونى زى عمرو دياب، كان وسيله لتغيير الذوق العام للشباب، طول الوقت، و يمكن عمرو دياب بما أنه نجم غالى جداً، فده أتحقق معاه من خلال كليباته و بوستراته بس، لأن حفلاته طول عمرها غاليه، و مخصصه لطبقه معينه و بس، هو تعمد يحافظ على ده طول الوقت، لكن خلينا نشوف أيه الفرق بين عمرو دياب فترة التسعينيات و أوائل الألفينات، و بين نجوم ما بعد الYoutube؟

الناس اللى قررت تغنى فى المرحله الأخيره، و حتلاحظ أن أكتر من 95% منهم من الذكور، و ده له سبب واحد، أن مبقاش فيه شركات أنتاج زى لحد بدايات الألفينات، فاللى شايف فى نفسه أنه عايز يغنى، لازم يكلف بنفسه الأغانى بتاعته، بدايةً من الكلمات للألحان للتوزيع للأستوديو، و لو كمان فيه ڤيديو كليب، فدول أنقسموا

قسمين، قسم صغير جداً حاول يمشى فى سكة عمرو دياب و تامر حسنى و حماقى، و دول منجحوش، لأن النوع ده من الغنا حينتهى بأنتهاء الأجيال دى، أما النوع التانى و هما الأكتر، ففهموها صح، فبما أنهم حيكلفوا الأغانى بنفسهم، ففهموا أيه المطلوب علشان ينجحوا، لأن الموضوع بالنسبالهم بيزنس، فبدأ أغلبهم يكتب بنفسه، و كتاباتهم جت من البيئات اللى هما جايين منها، و بدأت الألحان -ده لو كان فيه لحن، إن مكنش مسروق- و التوزيعات الموسيقيه تتعمل تحت بير السلم زى ما بنقول، فظهرت أغانى كلها ألات أيقاعيه عاليه، و كلام أغلبه تحريض على العنف، و بما أن الفيديو كليبات معلهاش أى رقابه، منها للYoutube على طول، فأصبحت الفيديوهات فيها كتير من الحاجات الخارجه عن المألوف أو القيم المجتمعيه.

و من هنا كان أختيار Idol جديد فى مجال الموسيقى حيحقق نتايج مبهره، أولاً لأن الشباب حيشوفه حقيقى واحد منهم، لأن هو كده بالفعل، ثانياً هو بالفعل مُحمل بكتير من الرسايل المطلوبه، و خصوصاً العنف، فتشكيله علشان يبقى Super star بصيغه شعبيه سهل، و بالفعل بدأنا نشوف نموذج بيطلع بسرعة الصاروخ، و قادر يحقق التغيير المطلوب فى المرحله دى، بصوره أفضل بكتير من النجوم أصحاب الشكل الكلاسيكى، و بدأ ده يظهر فى حفلاته، فى لبسه، فى تلميعه علشان يبقى من نجوم الصف الأول، حتى لو كان مش شكلهم فى الغنا أو أى حاجه.

اللى أنا قلته عن الشكل ده و إن كان الكلام عن الوسط الغنائى فى مصر، إلا أنه ينطبق على العالم كله، لأن المتغير بيحصل فى العالم كله، و إحنا جزء من العالم، بنتأثر بكل المتغيرات اللى بتحصل فيه، لكن أنا دايماً بقرب الفكره بنماذج مصريه، لأن فى الأخر مجتمعاتنا هى اللى تهمنى فى الكلام عنها.

****

أوصل معاك للشكل السادس و الأخير، و هو زى ما كنت ذكرت، هو الأخطر بكل ما تحمله الكلمه من معنى، و بالرغم من أنه أحدث الأشكال، إلا أن حداثته دى تعنى أنه أكتر الأشكال قرباً للأجيال الصغيره، لأنه متوائم معاهم تماماً، و طبعاً ممكن تكون أستنتجت معايا أنى بتكلم عن الIdol الجديد، و هو أو و هى Super star وسائل التواصل الأجتماعى.

خطورة هذا ال Idol تكمن فى تفصيلتين فى غاية الأهميه، الأولى فى كون هذا الSuper star، هو شخص طالع من قلب البيئه اللى مشاهدينه منها، و معندوش أى موهبه خاصه، سواء غنا، تمثيل أو أى حاجه، لكنه قدر بأشياء بسيطه جداً يحقق هدفين مطلوبين عند أى شاب أو شابه فى المرحله دى، و هما الشهره و الثروه، و مين مننا مبيحلمش بالهدفين دول، إذاً فهذا الIdol أصبح قدوه لكل أقرانه فى نفس المرحله العمريه، فبالطبع حتتلاشى مع هذه الأهداف سهلة التحقيق أى طموحات علميه، و الكلام ده سبق و ذكرته فى واحد من الفصول اللى فاتت.

مكمن الخطوره التانى، و هو يمكن يكون الأكثر كارثيه، هو المحتوى اللى بيقدمه أو بتقدمه الSuper star، و ما فيه من خلل أخلاقى و بعد عن قيم مجتمعيه أتربينا عليها، و عايز أأكد أنى دايماً بتكلم عن القيم المجتمعيه مش الدينيه، لأن الأديان بتختلف، لكن الراسخ معانا كلنا هو البيئه اللى بنتربى فيها، و هى دى الأساس، يعنى قيم المسلم المصرى لا تختلف عن قيم المسيحى المصرى فما يخص ما يمكن أننا نسميه Code of Ethics أو الكود الأخلاقى لمجتمعنا، فاللى بيحصل من هذا الشكل السادس من أشكال الIdols، هو تدمير ممنهج لكل القيم الأصليه و الأصيله عند الشعوب، و على فكره هو ده الهدف الأساسى، لأن أنت لو خسرت قيم مجتمعك، فى النهايه بسهوله حتخسر أنتمائك للمكان اللى أنت فيه، و هى دى النتيجه المطلوب الوصول ليها، تدمير الأنتماء.

نجم وسائل التواصل الأجتماعى هو أخطر وسيله للسيطره على عقليتك وصللها من يحكمون العالم على مدار التاريخ، و بما أنه واحد مننا، فليه أنا كمان موصلش زيه، و بالتالى حيكون عند أى شخص بيتابعه الأستعداد الكامل لعمل أى حاجه، فى سبيل تحقيق الهدفين اللى حققهم هذا الIdol، و هما الشهره و الثروه.

****

طيب فى النهايه و سريعاً جداً أنا عايز أوصل لأيه؟ عايز أوصل معاك للوسائل اللى بتُتخذ علشان تغيرلك من أفكارك و من عقيدتك، و العقيده زى ما قلت قبل كده مش مرادفها "الدين"، لكن مرادفها ما تعتقده و تؤمن به، أنا عارف أن أخر شئ أى شخص بيحبه هو أنه يسمع نصيحه، علشان كده مش حأنصح، لكن حأقولك خد

بالك، ركز فى اللى بيتقالك، خلى قرارتك عقلانيه، مش مدفوعه بأى عواطف، فكر صح قبل ما تجرب أى حاجه جديده، و شوف هل هى مناسبه لك و لا لأ، علشان كل خطوه بتاخدها فى أى أتجاه، بيكون حقيقى صعب جداً معاها الرجوع لورا مره تانيه.

22 سبتمبر 2023

"ربما لم يكن لنا الحق في أختيار أن نخوض تجربة الحياه، فهل يحق لنا إتخاذ القرار فى تركها وقتما نشاء؟"

حقك فى الأنتحار

من أكتر من 27سنه أتفرجت على فيلم أمريكى أثر فيا بشكل كبير جداً، الفيلم كان أنتاج سنة 1946، يعنى مر عليه حوالى 77 سنه ، لكن الفكره اللى ناقشها الفيلم مهمه جداً، و مازالت قابله للنقاش لحد النهارده، الفيلم أسمه It’s a wonderful life أو أنها حياة رائعه، و كان من بطولة و إخراج أتنين من أهم نجوم التمثيل و الأخراج فى تاريخ السينما العالميه، و هما النجم جيمس ستيوارت، و المخرج الكبير فرانك كابرا. الفيلم فضل عالق في ذهنى طول السنين دى لعبقرية فكرته، و أخيرا جه الوقت المناسب علشان أتكلم عنه، و أناقش معاكم من خلاله واحده من أهم الظواهر الحياتيه على مدار التاريخ، و هى زى ما أنا بحب أسميها "فقدان الرغبه فى أكمال الحياه".

فى نظريه بيلوجيه مهمه جداً أسمها "نظرية التوازن الطبيعى"، و هى بتتمحور فى فكرة أن الكائنات الموجوده فى الكون وازنه بعضها، بمعنى أن لو فصيل معين من الكائنات زى الضفادع مثلاً أنقرض، حتتأثر معاه كائنات كتير جداً تانيه سواء بألأنقراض برضه أو بزيادة العدد بصوره مخيفه. طيب أيه علاقة النظريه دى بالفيلم؟ خلينى أشرحلك ببساطه.

الفيلم بيتكلم عن مجموعة مراحل فى حياة رجل عايش فى مدينه صغيره فى أميريكا، بدأ أسمه يلمع فى عالم البيزنس و هو لسه شاب فى العشرينات، و بدأ نجاحه يُثير غيرة كل اللى حواليه، لحد ما لظروف خارجه عن إرادته و تفاصيل كتيره مش مهم ندخل فيها، وقع كل اللى بناه، و أصبح مهدد بالأفلاس و الفضيحه، و ممكن كمان السجن. المشكله الحقيقيه أن ده حصل بعد ما كمان أصبح رب أسره و عنده أطفال كتير، فبيقرر بعد ما الأمور ضاقت بيه ليلة الكريسماس أنه ينتحر ، فوقف عند حافة نهر و قرر يرمى نفسه، و دعى الله أنه يا ريت مكنش أتولد من الأصل، لأنه وصل بيه الأمر أن مشاكله الماليه حتى بعد وفاته، حتأذى طبعاً كل اللى حواليه، فلو مكنش أتولد أصلاً، كان وفر كل المشاكل دى على الناس القريبين منه.

هنا بتيجى نقطة التحول الحقيقيه فى الفيلم، و هى حتى لو كانت خياليه، بس وصلت رسالة الفيلم بشكل رائع، و طبعاً مناسب جداً لتفكير الناس سنة 1946، و عايزك تعرف أن الوقت ده كان بعد الحرب العالميه التانيه مباشرة، و اللى دمرت العالم حرفياً، و فضلت أثارها لعقود بعدها، طيب أيه اللى حصل فى الفيلم؟

بينزل ملاك من السما و بيبدأ يناقش بطلنا فى الدعوه اللى دعاها، و هى أنه يا ريت مكنش أتولد أصلاً، لأن بالتأكيد أن ده حيكون أفضل بالنسبه لأسرته و أهله من أنتحاره، و هنا بيبدأ الملاك يستعرض مع بطلنا حياة كل الناس اللى حواليه لو كان هو متولدش من الأساس، و هل فعلاً حياتهم من غيره أفضل من حياتهم بوجوده؟

حأكتفى معاكم بنموذجين من اللى أستعرضهم الفيلم للتدليل على فكرته، و هى نظرية أن حياة كل واحد فينا مُهمه و مؤثره جداً فى حياة ناس كتير جداً، حتى ممكن يكون من بينهم ناس منعرفهمش، و النموذجين فى الفيلم كانوا أخو البطل و زوجته. أخو البطل و هما أطفال صغيرين كان على وشك الموت، لولا أنقاذ بطلنا له، يعنى لو مكنش بطلنا موجود فى الحياه، كان أخوه حيموت و هو لسه طفل صغير.

أما مراته فمحدش أتجوزها، و كبرت فى السن و أصبحت وحيده، لأن الشخص اللى كان حيتجوزها متولدش من الأساس. طيب أنا عايز أقول أيه من فكرة الفيلم، و اللى بتعتبره مقدمه لحلقتنا؟

****

حأخرج معاك من الفيلم بأول معلومه عايز أوصلها فى الفصل ده، أن مفيش إنسان ملوش لازمه، بس هو لازم يقتنع بأهميته، و أننا كلنا بنكون سلسله مترابطة بتكمل بعضها، بالذات فى المراحل الوسطى من العمر، فمش من المُفترض أنك تشعر بأن وجودك فى الحياه شئ ملوش لازمه أو بلا قيمه، و حاول كده تجرب الفكره اللى ناقشها الفيلم، و هو أنك تتخيل حياة الناس المحيطين بيك من غيرك، ساعتها بس حتعرف أهمية الدور اللى أنت بتلعبه فى منظومه توازن الحياه.

طيب عايز أرجع معاك لعنوان الفصل ده، و خلينى أحوله لسؤال، هل أحنا لنا الحق فى أنهاء حياتنا فى الوقت اللى نختاره؟ فى البدايه خلينى أتفق معاك على

نقطتين، الأولى أنى فى الكتاب ده مش جاى أقولك خالص أن الحياه حلوه، أو أنى أحاول أدى نظره متفائله ليها، بالعكس خالص أنا شخص مقتنع زى كتير من الناس بعبثية الحياه اللى مكنش لنا حق الأختيار فى أننا نخوضها، بس أنا جاى في الكتاب ده بخبرات حياتى الكتيره اللى مريت بها، أشاركك فى فكرة أزاى نعدى من تجربة الحياه الصعبه دى بأقل خساير و أكبر أنجازات حياتيه نقدر نحققها، أزاى نقدر نتغلب على بعض من المشاكل الكتيره اللى بتحاصرنا، لأن أحياناً الشخص لما بيكون واقع فى مشكله، مش بيكون دايماً مركز لأفضل الطرق لحلها، بالرغم من أن الحلول أوقات كتير ممكن تكون سهله جداً و قدام عنيه.

تانى نقطه عايز أتفق عليها معاك، أن السؤال ده له أجابه عندى، و حاجاوبها بس فى نهاية الفصل، بعد ما أكون أستعرضت معاك كل النقط المرتبطه بالموضوع، فأرجو منك أن متتسرعش فى أستنتاج أى أجابه لسؤالى، و لا لأى سؤال أخر أنا طرحته فى الفصل ده و لا فى أى فصل تانى، غير لما نوصل مع بعض للأجابه، لأن الفكره عندى فى الكتاب ده أننا بنستعرض مع بعض كل الأراء، علشان لما نوصل فى النهايه لرأى، يكون أغلبنا متفق عليه.

ندخل بقى على قلب موضوعنا النهارده، و اللى سميناه فقدان الرغبه فى أكمال الحياه. طبعاً أكيد أنت ملاحظ تصاعد معدلات الأنتحار بشكل كبير جداً خلال الفتره اللى فاتت في مجتماعتنا العربيه، و ممكن يكون بين الناس القريبين جداً منك، و ده للأسف أصبح شئ -مش بس طبيعى-، لكن كمان منطقى جداً، بسبب نمط الحياه اللى بتزيد فيه طول الوقت العوامل اللى ممكن تشجع ناس كتير جداً على التفكير فى الأنتحار، -و أنا هنا بقول التفكير-، لأن طبعاً نسبة الأشخاص اللى بيجلهم الجرأة للوصول للمرحله النهائيه، و هى تنفيذ الأنتحار فعلاً، أعتقد لا تتعدى العشره في الميه من اللى فعلاً بيكونوا عايزين ينتحروا.

حأناقش فى البدايه بعض الأرقام، لأن فى قاعده دايماً بتقول أن الأرقام مبتكدبش، و أن علم الأحصاء هو علم فعلا بيدينا دلالات حقيقيه، نقدر من خلالها يكون عندنا مؤشرات لكل شىء فى حياتنا، فتعالوا نشوف الأرقام أولاً بتقول أيه، كمدخل مهم لمناقشة كل النقط المتعلقه بموضوع الأنتحار.

من موقع Our world in data أو العالم بالأرقام، و فى الصفحه الخاصه بكل ما يتعلق ببيانات الأنتحار فى العالم، حصلت على مجموعة أحصائيات مهمه جداً عن نسب الأنتحار، بس للأسف كان أخر تقرير فيها خاص بسنة 2019، و مفيش أى أحصائيات تانى بعدها، فتعالوا نستعرض مع بعض أهم البيانات و الأحصائيات اللى كانت موجوده على الصفحه :

- عدد المنتحرين فى العالم فى 2019 كان 759,028 أنسان، يعنى أكتر من ثلاث أرباع مليون شخص، و الغريب أن الرقم تقريباً ثابت حوالين ال800 ألف مع زياده أو أنخفاض بسيط على مدار ال30 سنه اللى فاتوا، بينما جرايم القتل في العالم كان مجمل ضحاياها في نفس السنه 415,180 إنسان، بمعنى أن الأنتحار كان أكتر بنسبة تصل ل183% عن جرايم القتل.
- نسبة الأنتحار فى الرجال على مدار برضه ال30 سنه اللى فاتوا، كانت دايماً حوالى ضعف نسبة أنتحار السيدات.
- نسبة مصر فى معدلات الأنتحار في أرتفاع، يعنى كانت في سنة 1990 تُمثل 0.42% من نسبة الأنتحار في العالم، من سنة 2012 وصلت و ل0.56% و تقريباً ثبتت على النسبه دى، ما عدا 2015 و 2016 قلت بنسبه بسيطه، و بعدها رجعت تانى، و النسبه دى معناها أن حوالى 42,505 شخص فى مصر أنتحروا سنة 2019.

بعد ما أستعرضت معاك بعض الأرقام الخاصه بالأنتحار سنة 2019، أرجع مره تانيه أسأل معاك نفس السؤال موضوع الفصل، هل للأنسان الحق فى الأنتحار أو أنهاء حياته بنفسه؟

القاعده عندى فى أي سؤال حأستعرضه على مدار الكتاب أنى أحيد الدين، و السبب بسيط جداً، أن اللى حيقرأ الكتاب ممكن يكون له أى توجه دينى، و الكتاب ده موجه لأى قارئ، و طبعاً كل واحد عارف دينه أو عقيدته بتقول أيه، لكن هنا الأجابه دايماً حتكون على المستوى الأنسانى، العقائد بتختلف في أحكامها فى كتير من المسائل الأنسانيه، و أنا هنا مش قصدى بالعقائد الأديان الأبراهيميه بس، لكن كل الأديان و العقائد اللى موجوده على كوكب الأرض،

بينما الأنسانيه عمرها ما حتختلف، علشان كده أنا بحاول أفكر معاك دايماً بقاعده أنسانيه عقلانيه، و واحد مننا لازم يكون قادر يقنع الطرف التانى بالمنطق.

بدايةً، كل العقائد الدينيه و الا دينيه و القوانين الأرضيه و العقل الأنسانى الجمعى، أتفقت على تجريم القتل، ده شىء مفيش فيه أى خلاف أو وجهة نظر، لكن أختلفت العقائد بشكل كبير فى فكرة الأنتحار، هل جسدنا و حياتنا ملكنا؟ هل أحنا -اللى مكنش لنا الأختيار فى أننا نخوض تجربة الحياه- لنا الحق فى التخلص من الحياه دى اللى مخترنهاش بنفسنا؟

سؤال مهم جداً لازم نستعرضه فى بداية محاولة تحليلنا لفكرة الأنتحار، و هل هى حق لأى شخص ضاقت عليه الحياه و لا لأ، و هو ليه الناس بتنتحر، أيه أسباب الأنتحار، و عايزين دايماً نفتكر أن أسباب الأنتحار فى العالم كله تقريباً واحده ، بس بيكون فيه سبب نسبته أعلى فى بلد ما عن سبب تانى، و ده طبعاً بيكون نظراً لأختلاف الوضع الأقتصادى أو الطبيعه الجغرافيه، أو القيم المجتمعيه، أو التكوين الديموجرافى للسكان، أو أى أسباب مرتبطه بالمكون البيئي للمجتمع، لكن فى النهايه فالأسباب واحده، خصوصاً بعد مرحلة العولمه أو الGlobalization.

مره تانيه حنرجع للأحصائيات، و المره دى حتكون من موقع منظمة الصحه العالميه WHO، و فى بداية التقرير الخاصه بالأنتحار، ذكر الموقع الحقائق دى كنقط أستهلاليه للكلام عن الموضوع:

- **ينتحر كل عام أكثر من 700000 شخص.**
- **تقابل كل حالة أنتحار حالات أخرى عديدة من محاولات الأنتحار. و محاولة الأنتحار من قبل هى العامل الوحيد الأهم الذى يزيد من أحتمال الإقدام مرة أخرى على الأنتحار لدى المنتحرين.**
- **الأنتحار هو السبب الرئيسي الرابع للوفاة فى صفوف الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و29 عاماً.**

- **77%من حالات الانتحار فى العالم تحدث فى البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل.**
- **يعتبر ابتلاع المبيدات، والشنق والأسلحة النارية من بين الأساليب الأكثر شيوعا للانتحار على مستوى العالم.**

بدايةً، الأفتتاحية دى صياغتها ركيكه جداً، و فيه بعض الأخطاء المعلوماتيه اللى حنكتشفها مع بعض كل ما حنتعمق في التحليل، و كل ما حتيجى نقطه مخالفه لنقطه فى الأفتتاحية دى حنوضحها، طبعاً الأرقام كأرقام صح، بس تحليل الأرقام هو اللى وقع فى كتير من الأخطاء.

أكتر من ملاحظه شدتنى في الأرقام المذكوره، أولاً أن زى ما قلنا سابقاً فى الفصل ده، أن مع كل محاولة أنتحار بتتم، بتكون في عشرات من الحالات اللى مبتنجحش، و مئات من اللى بيفكروا في أتخاذ الخطوه، بس مش بتجيلهم الجرأه أنهم يقدموا على مرحلة التنفيذ الفعلى.

ثانياً أن الأنتحار هو رابع سبب للموت بين الشباب ما بين 15 ل29، و دى ملحوظه فى غاية الخطوره.

ثالثاً أن نسبه المنتحرين في الدول منخفضة الدخل -زى دولنا- عدت 77% من نسبة المنتحرين، و ده رقم مفزع فعلاً، لكن النسبه دى حتقابلها أرقام مفاجئه فى بعض الأحصائيات اللى حنذكرها كمان شويه، و حتكون واحده من النقط اللى حيكون ليا فيها رأى مخالف لرأى أفتتاحية التقرير.

رابعاً أن فيه حالة أنتحار بتم كل حوالى 40 ثانيه في العالم.

حأكمل مع صفحة منظمة الصحه العالميه مره تانيه، و اللى أستعرضت في تقريرها برضه أيه الأسباب الأكتر شيوعاً في محاولات الأنتحار، و تحت عنوان من هم المعرضون للأنتحار، حأنقلك حرفياً اللى كان مكتوب و اللى ليا برضه عليه بعض الملاحظات:

من هم المعرضون للانتحار؟

على الرغم من ثبوت الصلة بين الأنتحار والأضطرابات النفسية (خاصة الأكتئاب والأضطرابات الناجمة عن تعاطي الكحول) في البلدان المرتفعة الدخل، فإن كثيرا حالات الأنتحار تحدث بإندفاع في لحظات الأزمة، عندما تنهار قدرة المرء على التعامل مع ضغوط الحياة، مثل المشاكل المالية، أو الأنفصال أو الطلاق أو الآلام والأمراض المزمنة.

وبالإضافة إلى ذلك، ثمة صلة قوية بين النزاعات والكوارث والعنف وسوء المعاملة أو فقد الأحبة والشعور بالعزلة بالسلوك الانتحاري. وترتفع معدلات الأنتحار كذلك بين الفئات الضعيفة التي تعاني من التمييز مثل اللاجئين والمهاجرين؛ والشعوب الأصلية؛ والمثليات والمثليين ومزدوجي الميل الجنسي ومغايري الهوية الجنسانية وحاملي صفات الجنسين؛ والسجناء. بيد أن أقوى عامل يزيد من احتمال الأنتحار هو الإقدام على محاولة أنتحار من قبل.

أنا من وجهة نظرى أن التقرير أهمل بعض نقاط فى غاية الأهميه، بعضها خاص بكتير من المجتمعات المحافظه، أو ذات الطبيعه الدينيه، و هى العادات و التقاليد، بمعنى أن فى كتير من مجتماعتنا فيه بنات بتنتحر بسبب أنهم أقاموا علاقات جنسيه خارج أطار الزواج، و ممكن العلاقات دى تكون تسببت فى ظهور أعراض حمل، أو أقتراب البنت من مرحلة الزواج الرسمى برجل أخر غير اللى أقامت معاه العلاقه، فهنا أحياناً الخوف من الفضيحه بيُجبر كتير من البنات فى التفكير فى الأنتحار، خوفاً من رد فعل الأسره و المجتمع.

كمان من وجهة نظرى أن التقرير أغفل الضغوط السياسيه فى بعض الدول و الأنظمه الديكتاتوريه، اللى بتوصل ناس كتير لحالات الأنتحار، و على فكره مش بس العامل المادى بيكون هو المحرك في الحالات دى، لكن الشعور بالقهر في أحيان كتير بيكون سبب، و لنا فى قصة البوعزيزى فى تونس، و اللى أنتحر بحرق نفسه، و كانت النار اللى حرقته هى شعلة الثوره اللى قادت في كتير من الدول العربيه في 2011.

أما أخطر و أهم نقطه أغفلها التقرير من وجهة نظرى، و هي اللى كانت الدافع بالنسبالى لأختيار موضوع الأنتحار كفصل فى الكتاب، و يمكن التقرير معرفش يصنفها فأدمجها بشكل مش مضبوط ما بين الأسباب اللى ذكرها، فهى نقطة فقدان الهدف من الحياه، و دى أهم و أخطر نقطه من وجهة نظرى، لأن كل الأسباب اللى التقرير ذكرها هى أسباب مبنيه على نوع من الضغوط، فممكن برفع الضغوط دى تقل نسب الأنتحار، يعنى اللى بينتحر نتيجة الفقر، لو أتحسن وضعه الأقتصادى فمش حيكون عنده سبب موضوعى للأنتحار، لكن اللى فاقد دوافع الحياه،-و أنا أعتقد من ملاحظاتى و متابعاتى لحالات الأنتحار، أن أغلبهم بيكون فى مرحلة الشباب، المرحلة اللى حددها التقرير ما بين 15--29، فهنا بالنسبالى السبب ده هو بالفعل أصل المشكله.

****

مره تانيه حنحتاج نرجع للأرقام، و نشوف نسب الأنتحار لكل 100 ألف إنسان -بمعنى أن نسبة الأنتحار حتُّمثل نسبه مش رقم-، و حنتفاجئ بأن أعلى دوله نسبةً لعدد السكان هى كوريا الجنوبيه بنسبة 25 شخص لكل 100 ألف شخص، بعدها المجر 21، و بعدها اليابان 19.5، بلجيكا 18.5، و فى المركز الخامس فنلندا 16.5، و حنلاقى أن لحد المركز العاشر و يمكن أكتر، هى أغلبها دول كبيره و فى وضع أقتصادى و مستوى دخل مرتفع، ما عدا المجر اللى جت في المركز التانى، و اللى بالرغم من كونها دوله أوربيه، إلا أنها دوله بتعانى من كتير من المشكلات، يعنى الأرقام بتقول عكس المعلومه للى ذكرتها أفتتاحية التقرير، و هى أن 77%من حالات الانتحار فى العالم تحدث فى البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل، لأن لو أول 10 دول فى معدلات الأنتحار كلها دول مش متوسطة أو منخفضة الدخل، فأكيد النسبه من الصعب تكون 77% فى الدول ذات الدخول المتوسطه أو المنخفضه، طيب الأرقام دى دلالتها أيه بالنسبالى؟

دلالة الأرقام دى أن أعلى نسب أنتحار -و أنا بقول نسب لأنها مربوطه بعدد السكان، و مش أرقام- كانت في دول لا يُعانى سكانها من مشاكل أقتصاديه أو سياسيه أو كبت حريات أو أضطهاد أو عادات و تقاليد بتقيد الشخص بالموروثات، و بترفض أى وجهة نظر مخالفه لها، إذن هنا حأرجع للنقطه

المهمه جداً اللى أنا ذكرتها كأهم سبب للأنتحار، و لم يذكُرها تقرير الأمم المتحده، و هى فكرة فقدان الشغف بالحياه، السبب اللى بعتبره أهم سبب لأستمرار وجودك فى الحياه اللى أنت -زى ما قلنا من شويه- ماخترتش أنك تعيشها-، و بيُأكد على ده أسماء الدول الأعلى فى معدلات الأنتحار، دول المُفترض أن الناس فيها مش بتعانى من أى مشاكل، طيب تعال معايا نشوف أيه الوضع عندنا فى مصر، خصوصاً في الكام سنه اللى فاتوا، لكن طبعاً و كالعاده عمرنا ما حنلاقى أرقام دقيقه نقدر نستدل بيها.

من موقع National Library of Medicine الأمريكي، و هو موقع حكومي رسمي، لقينا بعض الأرقام الأستدلاليه، و هى أن نسبة مصر فى معدلات الأنتحار هي 6 لكل 100 ألف، و طبعاً هى نسبه كويسه جداً مقارنة بدول تانيه، و أن نسبة الرجال ضعف نسبة النساء، زى ما هو موجود في العالم كله، و أوصل معاك للجزء المهم جداً من التقرير، و هو أهم أسباب الأنتحار في مصر، و التقرير ذكر أهم 3 أسباب و هما التنمر والعنف والتفكك الأسرى، و طبعاً التنمر ده كان سبب مفاجئ ليا جداً، و المفاجئ أكتر أن التقرير ربط التنمر بظهور وسائل التواصل الأجتماعى، و اللى بدورها أظهرت بشكل صارخ فكرة التنمر، اللى أحنا كمصريين مكناش بنسميها تنمر قبل ظهور وسائل التواصل الأجتماعى، و كنا بنتعامل معاها كسلوك حياتى طبيعى، سواء التنمر على شخص أو مجتمع عرقى، و أحياناً كمان فصيل دينى، و كتير بييجى التنمر فى شكل كوميدى، و ده رسخ كتير من المشاكل بين المجتمعات المحليه، زى فكرة ظهور نكت خلال فترة السبعينات، بتبدأ دايماً بكلمة مره واحد صعيدى، و الموضوع ده حيتم الكلام عنه بشكل مفصل أكتر، فى واحد من فصول الكتاب.

نكمل بقى مع التقرير اللى بيذكر أن التنمر ده بيعمل ضغط نفسى على الشخص، و بيفقده الثقه بنفسه، فبيفكر الشخص في الأنتحار للهروب من الضغوط النفسيه. باقى الأسباب اللى ذكرها التقرير مش محتاجين نخوض فيها لأن الأسباب بتشرح نفسها، لكن ده حياخدنا لنقطه تانيه مهمه جداً للنقاش، و هى هو اللى بيحصل حالياً في مصر -و مصر هنا أنا واخدها كنموذج لنوع من المجتمعات لها طبيعه خاصه و محافظه نوعاً ما- خلى نسب و أسباب الأنتحار

تتغير في الفتره الأخيره، لدرجة أننا شوفنا حالتين لشابين، و الغريب جداً أن الأتنين كان أسمهم أسلام، بينتحروا Live، على الهوا قدام الناس، يعنى هوس الTrend موجود حتى لمرحلة ما بعد الموت. كمان شفنا البنت اللى بتنتحر داخل واحد من أهم مولات مصر و هو City Stars، و ده برضه بالنسبالى كان هدفه الTrend. و البنت اللى ساقت عربيتها فى الطريق العكسى، متعمده أنها تصطدم بعربية نقل كبيره، بمعنى أن أصبح فيه هوس بالظهور و خطف الأنظار، حتى فى لحظة الموت، و ده بالنسبالى أنا بعتبره تشبث بالحياه، حتى أثناء الأنتحار.

و أنا بكتب من حوالى أكتر من شهرين، و كنت بأستعرض بعض حالات الأنتحار في مصر خلال أخر كام سنه، لقيت خبر أنتحار حازم الحديدى -واحد من أشهر وكلاء اللاعبين في مصر-، و ما أدراكم يعنى أيه وكيل لاعبين، يعنى شخص معندوش بشكل كبير أى مشاكل ماديه، شخص حياته على طول مليانه تفاصيل، شخص مشغول أغلب الوقت، وده حيرجعنى تانى للنقطه الرئيسيه فى موضوعى، و هى أن أهم سبب الأنتحار -من وجهة نظرى- هى فقدان الشغف بالحياه، و هنا خلينى أستعرض معاك من وجهة نظرى أيه أهم الأسباب اللى جدت على مجتمعنا، و أصبحت قادره على توصيل أشخاص كتير للتفكير فى خطوة الأنتحار.

****

حأبدأ بسبب سياسى ناس كتير مسمعتش عنه، و ناس تانيه من اللى سمعوا عنه بيعتبروه من قبيل التصديق بنظريات المؤامره، و ببساطه مش بيحاولوا ياخدوا الموضوع محمل الجد، بالرغم من أن ڤلاديمير پوتين الرئيس الروسى نفسه ذكره فى واحد من خطاباته فى سنة 2022، و هى فكرة المليار الذهبى، و خلينى أشرح للى مسمعش عن الموضوع ده النظريه ببساطه.

النظريه بتقول أن عدد سكان العالم، و اللى عدى حالياً ال8 مليار، لازم يقل، و ده بسبب قلة الموارد الطبيعيه على كوكب الأرض، و فشل العلم فى الوصول لحياه صالحه للعيش على الكواكب المجاوره، و العدد اللى لازم يوصله سكان

العالم كان فى أختلاف كبير فى تفسيره، هل هو مليار أنسان فقط، و لا مليار أنسان مميز و هما المليار الذهبى، و معاهم عدد زيهم حيكون دورهم خدمة المليار الذهبى؟ المهم أن أياً كانت الأجابه فأحنا بنتكلم أن ما بين 6 ل7 مليار أنسان من بين 8 مليار يجب التخلص منهم، و طرق التخلص من هذا العدد كتيره و متنوعه و حناقشها معاكم فى الكتاب القادم "أبوكاليبس"، لكن حيهمنى منها فى كتابنا ده طريقه واحده بس و هى تسهيل فكرة أفقاد الناس الشغف بالأستمرار فى الحياه، و تشجيعهم بشكل غير مباشر على أتخاذ خطوة الأنتحار، حتى لو مكنش عند الشخص أى معوقات حياتيه، طيب أزاى الخطوه دى تتم؟ تعال معايا نستعرض كل الطرق اللى نجحت لحد دلوقتى.

أول طريقه أنا رصدتها هى نشر ثقافة ترك الأديان، و خصوصاً مع سهولة الوصول لكل مصادر الكتب أو الوثائق، يعنى صور كتير من الوثائق التاريخيه أصبحت موجوده و متداوله ببساطه على شبكة الأنترنت، فأصبح الأمر أكتر سهوله أنك تقدر تشكك أولاً، ثم تغير ثانياً عقيدة أى شخص، و الخطوتين دول بيكونوا مرحله أولى، يتبعهم المرحله التانيه اللى بتكون أكثر عمقاً و فهماً لنفسية من تركوا الأديان.

بدايةً، لو الشخص اللى حيترك دينه فى دوله مفيهاش أى مشاكل فى حرية الأعتقاط الدينى، فالأمر بيكون بالنسباله لا يُمثل أي صعوبه، و غالباً الخطوه دى مش حتوصله لأى مشكله نفسيه أو مجتمعيه مع المجتمع المحيط بيه. لكن ماذا لو أن هذا الشخص فى مجتمع متدين، أو على الأقل مجتمع بيحاول يحافظ و لو ظاهرياً على المظهر الدينى؟ هنا الشخص اللى بيترك دينه بيتحول لحالة من أتنين، يا أما هو شخص قوى الشخصيه، بيكون قادر أنه يبدأ يشوف الدنيا بمنظور أخر، و بيبدأ يجدد أهداف حياته بناءً على المتغير الجديد اللى حصله، و فى الحاله دى حيكون زبه زى أمثاله فى الدول اللى بتسمح بحرية الأعتقاد، فحيقدر يكمل حياته بأقل قدر من المشاكل النفسيه و المجتمعيه، و أحياناً كمان حيقدر يجاهر بتركه للدين.

الحاله التانيه أنه يكون شخص لسه خلفيته الدينيه مأثره عليه، و هنا لازم أستحضر جمله مهمه جداً قيلت فى الفيلم اللى أنتجته قناة الجزيره فى 2018،

و كان أسمه "فى سبع سنين"، و الفيلم كان عباره عن عملية رصد لتغير أفكار الشباب المصرى ما بعد ثورة يناير 2011، و الفيلم قسم حالة التغيير دى لشريحتين، فئه تركت الأديان، و فئه تطرفت دينياً لحد الأنضمام لجماعات دينيه أرهابيه و تكفيريه، و من بين الفئه الأولى كان فى بنت أسمها أسراء قالت جمله بأعتبرها المفتاح للى أنا عايز أوصلهلكم، و هى أن بعد ما أسراء تركت الأسلام بدأت تشعر أنها أصبح ملهاش ضهر، أنها مش حتقدر تدعى تانى و تقول يا رب لو وقعت فى مشكله، فده طبعاً كان أكبر مشكله بالنسبالها بعد ترك الأسلام، فقدان الأمان المتمثل فى قوه كانت بتلجأ لها وقت الأزمات.

كمان أحب أضيف مشكله تانيه ممكن يصادفها النوع ده من الأشخاص، خصوصاً اللى بيكون منهم لسه عايش مع أسرته، و هى مجتمعه اللى حواليه و خوفه من مواجهة الناس، و اللى بيشكل عليه نوع من الضغط النفسى، خصوصاً فى وقت الشعائر، أو مطالبته بالقيام بحاجات هو خلاص كفر بيها، خوفه من نظرة المجتمع، خوفه من المصير اللى حيفضل يلاحقه هو و ممكن كمان أسرته لحد بعد موته، أه بعد موته، لأن حتى أسرته مش حتلاقى مكان تدفنه فيه، لأن ممنوع و محرم شرعاً دفن لا دينى فى مقابر مسلمين أو مسيحين، فكل ده بيشكل عبء نفسى رهيب عليه، فكتير ببحاولوا يطلبوا لجوء لدول أخرى، لكن الغالبيه العظمى منهم بتبقى معندهاش الفرصه أو الأمكانيه لده، فبتبدأ حالتهم النفسيه تسوء بشكل كبير، مع عدم وجود ضهر بالنسبالهم، زى ما قالت أسراء فى فيلم "فى سبع سنين"، لأنهم بيفضلوا عايشين ما بين عقلهم اللى خلاص رفض فكرة الدين لقناعات أُثبتت له، و ما بين الحاله الروحيه اللى عاشوها طول العمر اللى قبل كده، و ضغط المجتمع اللى حواليهم عدم قدرتهم على مواجهته، و فكرة أن خلاص مبقاش فى قوه أكبر قادره تغيرلك حياتك فى أى لحظه، فلو كان زمان دايماً عندك أمل فى اللى جاى لوجود قوه قادره على إحداث التغيير ده، فدلوقتى التغيير أصبح بأيدك أنت بس.

الصراع ده بيفضل لفتره، لكن ممكن جداً ينتهى بعدم قدرة الشخص على مواجهة الحياه اللى حواليه، و مع قناعته بعدم وجود عقاب أو حساب فى حياه تانيه، فبيبقى أقرب قرار بالنسباله الأنتحار، و أنا أعرف حالتين كانوا قريبين جداً

منى، و الأتنين كانوا من السيدات، لكن مع مع فارق كبير جداً بينهم فى العمر، وصلوا لأنهم أنهوا حياتهم بالفعل للسبب ده، و هو فكرة قناعتهم بترك الدين، مع عدم القدره على الحياه المتوافقه مع المجتمع المحيط.

تانى طريقه و أعتقد أنك لمسيها بنفسك، و هى نشر الألعاب و التحديات اللى بتقربك شويه بشويه من فكرة الأنتحار و تجربة الموت القريب، سواء ألعاب Online زى ما حصل مع حالة لعبة الحوت الأزرق، أو تحديات زى اللى بتحصل فى مدارسنا حالياً فى تجربة كتم النفس، و قبلها بكام سنه كانت لعبة المشنقه، ألخ، و على فكره الألعاب و التجارب دى منتشره بين طلبه المدارس فى أغلب أنحاء العالم، و سمعت من فتره أنها كانت منتشره جداً بين طلبة المدارس فى فرنسا، و طبعاً الألعاب و التحديات دى عارفه بتستهدف أى فئه بالتحديد، هى بتلعب على فئة الteenagers أو المراهقين، فطبعاً كل ما بتقرب خطوه من تجربة الموت، بيكون دايماً هناك شغف داخلى بالخطوة اللى بعدها.

تالت طريقه هو اللعب على فئة المحبطين علشان يزدادواً أحباطاً و قرباً من فكرة التخلص من حياتهم، و هنا لازم أذكر مسلسلين، واحد مصرى كان أسمه "قابيل" أُنتج سنة 2019، و التانى أيرانى أسمه "سارق الروح" و كان من أنتاج سنة 2017، و العملين ناقشوا الفكره بشكل رائع و مميز، لكن كان سارق الروح أكتر تميزاً و تركيزاً فى الفكره، بالرغم من أنه ركز فكرته على فئة واحده بس و هى من فشلوا فى تجارب أنتحار سابقه، و دول حيكون الكلام عنهم هو ختام فصلنا، بس خلينا نرجع لموضوعنا أولاً، و أزاى فئتى المحطبين، أو أصحاب تجارب الأنتحار الفاشله، بيكونوا الصيد الأسهل، و بيكونوا أكتر الناس أستهدافاً لدفعهم لفكرة إعادة التجربه؟

تالت فئه معرضه لفكرة الأنتحار، و برضه الوسيله عن طريق شبكة الأنترنت، و هى نشر فكرة عبثيه الحياه و عدم جدواها، و ده عن الطريق تسليط الضوء بشكل قوى على أى مطرب أو ممثل أو نجم شاب ما أنتحر، حتى لو كان مش نجم درجه أولى، بس تسليط الفكره بقوه و خصوصاً أسباب أنتحاره، بيحوله لنوع من الأسطوره و القدوه بالنسبه لكتير جداً من الشباب فى كل أنحاء العالم،

و الحاله دى ممكن بعضكم يشوفها مش مؤثره، بس أنا بأقولكم أنها مؤثره جداً، و عندى حاله لبنت أعرفها حاولت الأنتحار أكتر من مره، بس كل مره كانت بتتلحق، و السبب كان فعلاً هو ده، تأثير نشر أفكار بعض النجوم اللى أنتحروا.

أخر سببين ذكرناهم بيستهدفوا الشباب من سن 14 تقريباً لسن 21، لكن برضه فى أسباب تخص المراحل الأكبر تم أختلاقها للضغط على المراحل الأكبر عمراً و دفعهم للأنتحار، و بعتبر واحد من أهم الأسباب دى هو ما يسمى بال Automation أو تبديل العماله البشريه بالذكاء الأصطناعى، حتى لو مفيش أى مبرر لكده، بالعكس ممكن الذكاء الأصطناعى يكون مش هو الأختيار الناجح، أو ببساطه بيكون الأختيار الأسوء، و حأضرب مثال مهم جداً بمشكله أعتقد أنك زيى لامسها و بتعانى منها، و هى خدمة عملاء الشركات الكبرى، و خصوصاً الشركات الخدميه زى شركات الأتصالات، طيب أيه اللى حصل، و مدى تأثيره سواء على العميل، أو على فكرة فقدان الشغف بالحياه.

بدايةً، هى أيه وظيفة خدمة العملاء؟ هى طبعاً بتكون أداره فى أى شركه لتلقى شكاوى العملاء و مناقشتها معاهم و حلها، أو تحويلها للقسم المختص بالحل. طيب أيه اللى حصل مع تغيير أغلب الشركات دى إدارة خدمة العملاء من العنصر البشرى للAutomation؟ و أيه هى تأثيراتها السلبيه؟

بالنسبه للعميل هى أجبرته من خلال مجموعه من الأختيارات المحدده أنه يوصف شكوته لكائن ألى، يعنى لو شكوتك بره الأختيارات يبقى تخبط دماغك فى أى حيطه قدامك، فأفقدت العميل أى قدره على التواصل مع الشركه بمبدأ "هى كده لو مكتش عاجبك"، و طبعاً كتير جداً من الشكاوى بتكون خارج القائمه المفروضه عليك، و أسألونى أنا عن تجربتى مع خدعة العملاء زى ما باسميها. فهنا الAutomation هو أختيار غلط، لكن أصبح واقع، علشان الشركات اللى بتكسب مليارات تحقق مكاسب أضافيه، أولاً بتوفير مرتبات أدارة خدمة العملاء، ثانياً عن طريق أجبار العميل -اللى غصب عنه مضطر للتعامل معاهم- على اللى هما عايزنه و بس.

أما تأثير الAutomation الكارثى بشكل عام فى كافة المجالات، فهو تقليل فرص العمل نسبه مخيفه، لدرجه أن فى كتير من المطاعم زى في قطر مثلاً، أصبح كل الWaiters فيها من الRobots، و بما أن العمل هو مصدر الرزق الرئيسى للغالبيه العظمى من الناس، فمعنى أن مفيش فرص عمل طبعاً أن مفيش دخل أو فلوس، و معنى أن مفيش فلوس أن الحياه بتُصبح أكثر صعوبه، و المرحله التاليه أن الحياه بتُصبح مستحيله، و مع أستحالة الحياه يبقى أيه الحل الأول اللى بييجى فى ذهن الإنسان اللى ضاقت الحياه بيه؟ أكيد طبعاً من أول الحاجات اللى حيفكر فيها حيكون الأنتحار.

****

كده أكون أستعرضت معاك 3 أنواع من الأسباب اللى بتؤدى لفقدان الشغف بالحياه، أولاً الأسباب اللى ذكرها تقرير منظمه الصحه العالميه، و هى زى ما شفنا، أسباب عامه جداً. ثانياً بعض الأسباب اللى أنا شايفها من وجهة نظرى زياده على أسباب منظمة الصحه العالميه، و كان جزء منها أسباب محليه مرتبطه بالبيئه بتاعتنا بشكل كبير. ثالثاً ناقشنا نظرية خطة الملیار الذهبى، و محاولة تقليل عدد سكان العالم بشكل كبير، و بعض الطرق المستحدثه و اللى تم أبتكارها، علشان تكون سبب أو دافع للأنتحار. طيب كده أيه اللى ناقص علشان ننهى الفصل ده و نجاوب على السؤال الرئيسى فيه و هو، هل حياتنا اللى مخترناهاش لينا الحق فى أنهاءها؟ قبل ما نجاوب خلينى أستعرض معاك أخر جزء فى الفصل، و هو يا ترى هل الناس اللى أقدمت على الأنتحار قبل كده و التجربه لم تكتمل -أياً كانت الأسباب- ممكن يقدموا على التجربه مره تانيه؟

حناخد الأجابه من 3 مصادر مهمه جداً و مختلفه عن بعضها، و الأجابه فعلاً كانت بالنسبالى غير متوقعه، و نبدأ بأول مصدر و هو موقع جامعة هارفرد الأمريكيه، و كانت الأجابه أن نسبة تكرار محاولة الأنتحار لمن قام بمحاوله سابقه و لم تتم -أياً كانت الأسباب- هى نسبه لا تتعدى ال25%، و أن نسبة نجاح محاولة الأنتحار من أول مره هى فقط 7%.

الموقع التانى اللى أكد تقريباً على نفس الكلام هو موقع جريدة New York times الأمريكيه، واحده من أهم الجرائد و أقدمها في العالم، و كانت المقاله بتدلل من خلال حكاية شخص هو و أغلب أسرته قاموا بالفعل بخطوة الأنتحار و عوامل كتيره رجعتهم مره تانيه للحياه، فالموقع دلل على نفس الأرقام اللى ذكرها تقرير جامعة هارفرد، مدعمه بقصة شخص عاش تجربة العوده من الأنتحار بالفعل.

الموقع التالت هو موقع National library for medicine أو المكتبه القوميه للطب، و اللى أستعنا بيه قبل كده في الأحصائيات الخاصه بمصر، و بما أنه موقع مختص بالطب، فكانت أحصائياته أكتر تفصيلاً و دقه، و حيهمنا منها النتيجه النهائيه و هى أن نسب معاودة تجربة الأنتحار بتتراوح ما بين ال13% ل ال36% تبعاً لعوامل كتير مش حتكون موضوعنا لكن الأرقام هى اللى تهمنا، بمعنى أنها تقريباً نفس المتوسط اللى تم ذكره على موقع هارفارد، و أكدت عليه أرقام جريدة New York times، و المتوسط ده و اللى هو تقريباً فى حدود الرُبع، بمعنى أن من بين كل 4 أشخاص قاموا بمحاولة أنتحار و منجحتش، واحد بس هو اللى بيعاود تكرر التجربه، طيب دلالة الرقم ده عندى بيتمثل أيه؟

أولاً بيُمثل بالنسبالى تشكيك فى تقرير منظمة الصحه العالميه، و اللى ذكرناه في بدايات الفصل ده، و اللى من خلاله تم وضع الأشخاص اللى قاموا بتجربة الأنتحار على رأس قائمة أكتر الأشخاص عرضه للأنتحار، هو الكلام كان نظرياً منطقى، لأن اللى بيُقدم على الأنتحار و مبينجحش، طبيعى أن عدم نجاح محاولته لا تعنى أن الأسباب اللى وصلته للأنتحار مبقتش موجوده، لكن عملياً من الواضح أن التقرير مهتمش بالأحصائيات، و بصراحه التقرير كله بالنسبالى كان فيه نقط ضعف كتيره، وضحنا بعضها في أول الفصل، و بنزود عليها النقط الأحصائيه الخاصه بمعاودة الأنتحار.

تانى نقطه و هى الأهم بالنسبالى، أن نسبة 75% تقريباً من اللى قاموا بمحاولة أنتحار و لم تنجح، و بالطبع مروا خلالها بتجربة Near death experience، أو مرحلة الموت القريب، لما أُتيحت لهم فرصة العوده للحياه مرة تانيه أعادوا التفكير في التجربه، حتى لو كان من ضمن الأسباب عدم تكرارها مراقبه من

الأهل أو متابعه من جهة ما، لكن في النهايه فالنتيجه أيجابيه جداً، و كأنها تجربه بتدى اللى بيخوضها فرصة أنه يشوف حياته من الخارج، فبيكون فى وضع يسمحله أنه يفكر بهدوء، زى ما قلنا في أول الفصل، و يعيد تقييم تجربته و أخطائه، و تكون فرصه له أنه يبدأ من جديد، حتى لو كانت مشاكله اللى دفعته لتجربة الأنتحار لسه موجوده.

فى النهايه و أخيراً، حأجاوب اللى السؤال اللى بدأت بيه الفصل، و أستمر معانا على مدار الفصل كله، هل أحنا لنا الحق فى أنهاء حياتنا، اللى أحنا مكنش لنا حق الأختيار في أننا نخوضها؟

الأجابه ببساطه أن جرايم القتل، و اللى فيها شخص بيؤذى شخص أخر و يسلبه حياته بتتم، بل و أحياناً بتكون مقننه سواء في الحروب أو أحكام الأعدام، فأنا شايف أن الأنسان -بعيداً عن الأحكام الدينيه، و اللى أكيد كل واحد عارف أحكام دينه أيه- له الحق في الأنتحار، لكنه حق مشروط بشرط، هو فى أغلب الأحيان مستحيل، و هو عدم أذية -حتى لو أذيه نفسيه- أى شخص أخر بأنتحاره ده، و ده شرط صعب جداً تحقيقه، لكن في النهايه و بعيداً عن الشرط ده، فالأنتحار هو دايماً حل الشخص الضعيف أو السلبى، لكن فى الأخر هو حر ما لم يسبب أذيه لغيره، و ده -زى ما قلنا- شرط عامل زى فكرة العدل بين الزوجات، شرط مستحيل.

و من هنا بقول لكل شخص بيفكر أنه يُقدم على الأنتحار، شوف كام شخص ممكن يُؤذى بسببك، متخليش حلولك أنانيه و فرديه، قيم حياتك و كأنك شخص بيشوفها من بره، حتلاقى دايماً حلول مخطرتش على بالك قبل كده، و الدليل نسبة ال75% اللى قاموا بالخطوة بالفعل و فشلوا و مكرروهاش مره تانيه.

29 يناير 2023

https://ourworldindata.org/suicide

https://www.who.int/news-room/fact-sheets/detail/suicide

https://www.washingtonpost.com/wp-srv/world/suiciderate

https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC9433602

https://www.nytimes.com/2016/11/08/well/live/after-a-suicide-attempt-the-risk-of-another-try.html

https://www.hsph.harvard.edu/means-matter/means-/matter/survival

/https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC5415954

"لماذا تبدو الحياه ظالمه؟
هل سننتظر كثيراً لنصل لمرحلة الثواب؟
هل سنجد الجزاء العادل لأفعالنا؟"

"كارما"، و النسخه الأفضل منك

هل الحياه اللى إحنا بنعيشها عادله؟

الأجابه بمنتهى السرعه و البساطه حتكون "طبعاً لأ". الحياه عمرها ما كانت عادله بأى صوره من الصور، و مفهوم العداله هنا، هو أننا ندخل كلنا سباق الحياه بنفس الأمكانيات و بنفس الفرص، بمعنى أننا نكون زى مجموعة متسابقين داخلين سباق سيارات، فيُفترض أن أمكانيات عربياتهم تكون قريبه من بعض، مش عربيه موتورها 4000CC تتسابق مع عربيه 1100CC، و ده مفهوم تساوى الأمكانيات و الفرص، لكن للأسف أحنا بندخل الحياه بأمكانيات غير متساويه، و فرص غير متساويه.

أشكال عدم العدل أو عدم التساوى فى الحياه كتير جداً، و اللى بتخلى طول الوقت فيه ناس عندها فرص فى الحياه أكتر من الأخرين، بتسهل مشوار الحياه عليهم أكتر من غيرهم، و غيرهم دول ممكن يقضوا كل حياتهم علشان يوصلوا بس لمفهوم "الستر"، و مفهوم الستر فى ثقافة شعوبنا هو أننا نعدى الحياه و خلاص، نمر منها بأقل قدر من الخساير، بدون أى طموح فى تحقيق أى نوع من النجاح، أكتر من نجاح الشخص فى أنه عايش و خلاص، و ده بيحصل لأنه أضطر يبدأ سباق الحياه بأمكانيات أقل من منافسيه فى الحياه بكتير.

صور عدم العداله فى الحياه كتير جداً، و ممكن تلاقى شخص ظروفه فيها أكتر من صوره من صور عدم العداله، بمعنى أن صعوبات بداية حياته بتكون فيها أكتر من صعوبه، و تعال معايا نستعرض بعض صور عدم العداله، اللى ممكن أى أنسان يبدأ بيها مشوار الحياه، و هو ملوش أى ذنب فيها، و طبعاً كل الصعوبات دى بتشكل عشرات الأشكال من التمييز بين البشر، لأن فيه ناس بتتميز عن غيرها، بدون ما يكون لها أى فضل فى التمييز ده.

أول و أهم نوع من الصعوبات -من وجهة نظرى- ممكن شخص يبدأ بيها مشوار حياته، هى الصعوبات الجسديه، أنك تتولد و جسمك معندوش نفس أمكانيات الأخرين، إن قدراتك الجسديه تكون أقل، فبالتالى أنت مولود بفرص أقل من غيرك،

و كلمة أقل دى ممكن توصل لدرجه قريبه من الأنعدام فى بعض الأحيان، و هنا حقسم الصعوبه الجسديه ل3 أنواع:

- حسيه: و دى تخص الحواس الخمسه، بمعنى فقدان البصر أو السمع.
- حركيه: بمعنى أى نوع من العجز الحركى، أو فقدان أطراف، أو عدم قدرة الجهاز العصبى و الحركى عن أداء وظايفهم.
- عقليه و ذهنيه: و طبعاً دى حتكون خاصه بأى حاجه لها علاقه بالإدراك و التفكير.

تانى نوع من أنواع الصعوبات هى البيئه اللى ممكن أي أنسان يتولد فيها و مدى تأثيرها، و البيئه هنا أنا بفصلها عن الحاله الماديه، لأن فيه ناس كتير بيتولدوا فى ظروف ماديه كويسه، لكن في نفس الوقت فى بيئات لا تُساعد على النجاح، و البيئه من أكتر العوامل اللى بتؤثر على تكوين شخصية أى أنسان، و بتشكل إلى حد ما نوعية طموحاته و أهدافه في الحياه، لأن البيئه هى اللى بتُكّون جزء كبير من ثقافته، اللى حتبنى شخصيته و أختياراته بعد كده.

تالت نوع من أنواع الصعوبات هى الحاله الماديه طبعاً، و اللى بالطبع بتحرم بعض الناس من فرص حياتيه كتير متوفره لغيرهم، زى التعليم، التفوق الرياضى، الأبداع العلمى أو الفنى ...إلخ من الفرص الحياتيه الكتير اللى بيُحرم منها اى إنسان ممكن أمكانياته الماديه متوفرهلوش.

رابع نوع من أنواع الصعوبات هو الباسبور اللى أى أنسان شايله، و هنا طبعاً المقصود الدوله اللى أنت ممكن تكون شايل جنسيتها، و دى صعوبه فى منتهى الأهميه، لأن كتير من البشر على كوكب الأرض محرومين من أبسط الحقوق الأنسانيه، بدايةً من الحق فى العيش فى حاله من التوازن المادى، تمكنهم على الأقل من الحصول على أبسط أحتياجاتهم، اللى هى فى البلاد الأخرى بديهيات و حاجات مينفعش الكلام فيها، للحقوق الأنسانيه من حريه و صحه، لحق الأنسان فى تعليم محترم أو مناخ مناسب يقدر يساعده على تنمية قدراته، لحقه فى أنه لو وقع مادياً أو مش لاقى عمل الدوله تسنده، لحقه فى أنه يشارك بشكل حقيقى فى مجتمعه....إلخ.

خامس نوع من أنواع الصعوبات هو الشكل و المواصفات الجسديه، فيه ناس كتير فرصها في الحياه بتكون أكتر، لمجرد أنها مولوده شكلها أحسن من غيرها، فبتلاقى عشرات الأبواب اللى بتتفتحلها، بما فيها أبواب هي نفسها عمرها ما فكرت فيها، يعنى لو بنت مثلاً شكلها حلو و نسب جسمها متناسقه، بتلاقى عشرات الفرص للشغل، و ده أحياناً بيحصل حتى لو البنت معندهاش أى مؤهلات غير شكلها، يعنى ممكن مؤهلات المهنه نفسها متكونش متوفره عند البنت، و ده حنلاقيه فى نوعيات عمل كتير زى التمثيل، الModelling، المضيفات الجويات، السكرتاريه، و غيرها من نوعيات العمل. أ حياناً كمان بيكون الأختيار هدفه أنهم يكونوا واجهه كويسه أو مشرفه للمكان، و ده بيحصل كتير جداً فى مجتمعاتنا.

كمان ممكن الأختيار بالنسبه للأولاد يكون للبنيه الجسديه، و ده بيحصل بدايةً من الفرص فى دخول بعض الكليات، زى الكليات العسكريه أو الرياضيه، للفرص فى العمل كموديل أو حتى كممثل، و كتير من ممثلينا دخلوا التمثيل بعضلاتهم، زى ما كتير من الممثلات دخلوا التمثيل بشكلهم، و الاتنين معندهمش أى مؤهلات تمثيليه على الأطلاق.

الشكل و المواصفات الجسديه طبعاً مش بتأثر بس على فرصك فى العمل، لكن أحياناً كتير بتأثر على حياتك نفسها، على علاقاتك الأنسانيه، لأن جزء كبير من العلاقات الخاصه بين رجل و أمرأه بيكون أساسه الشكل، العين فى أحيان كتير هي اللى بتاخد أول قرار، لدرجة أن فيه جمله شهيره في جميع اللغات و هى "الحب من أول نظره"، و أكيد الحب اللى من أول نظره عمره ما حيكون لشخص شكله مش حلو طبعاً، أنا كنت حأتقبل الجمله جداً و أعتبرها عبقريه لو كانت "الحب من أول كلمه" لأن بالكلام الناس بتتواصل و بتفهم بعضها، أما فكرة النظره فهى حصرت تقييم الأنسان في شكله الخارجى فقط، و هنا الناس اللى شكلها مش حلو -و ده غصب عنها- حتتظلم، لأن هى ملهاش ذنب أن شكلها مش حلو، فالناس دى فرصها في أختيار شريك حياه مناسب بيكون أقل بكتير، للدرجه اللى بتوصل كتير منهم أنهم يوافقوا على أول شخص يرضى بيهم، و على فكره أنا هنا بتكلم على الجنسين، مش الستات بس.

طبعاً كمان الشكل ممكن يأثر على حياتك نفسها، و أكيد أنت سمعت معايا عن أكتر من حالة أنتحار بسبب التنمر، خاصة فى مراحل المراهقه ما بين طلبة المدارس الأعداديه و الثانويه، التنمر واحد من أسوأ السلوكيات البشريه على مر التاريخ، و للأسف لم يتغير من أيام الجاهليه ليومنا هذا، و هو سلوك بيأثر كتير جداً على شخصية الشخص اللى بيتم التنمر عليه، للدرجه اللى ممكن توصل للأنتحار -زى ما سبق و ذكرت_.

أخر شكل حأذكره من أشكال التمييز نتيجة الشكل هو لون البشره، و ده سبق و أتكلمنا عنه فى فصل كامل و هو "چين أبوكو أيه"، و ده تمييز ما زال بيحدث ليومنا هذا، سواء فى العلاقات الأنسانيه، لما أسره ترفض أن أبنها أو بنتها يرفضوا الأرتباط بشخص أسمر البشره، و ده شيء أنا عايشته بنفسى كتير جداً، لشكل تانى من أشكال التمييز نتيجة لون البشره، و هو الرفض الغير معلن لوصول أصحاب البشره السمراء لمناصب معينه فى كتير من الدول، و هو رفض غير دستورى أو قانونى لكنه بيحصل، للتنمر عليهم حتى لو كان بشكل لطيف، زى لما واحد يعاكس واحده سمرا فيقولها "يا شيكولاته"، و تانى حأرجع و أأكد -زى ما سبق و ذكرت فى فصل "چين أبوكو أيه"- أن السينما المصريه رسخت كتير جداً للعنصريه نتيجة اللون من يوم ما بدأت.

سادس نوع من أنواع الصعوبات هى الموهبه، فيه ناس بتتولد موهوبه فى شيء معين، ممكن موسيقى، رسم، رياضه، أو حتى مواهب علميه، و ده بيساعدهم كتير جداً فى الحياه، لو عرفوا يستغلوا الموهبه دى، بينما فيه أخرين بيفضلوا طول حياتهم بيحاولوا الوصول لربع الموهبه دى لكن بيفشلوا، بالرغم من أنهم بيكونوا جادين جداً فى ده، أنا مثلاً عشت عمرى كله بحاول أتعلم موسيقى لشغفى الشديد بيها، و عمرى ما قدرت، لأنها فى النهايه موهبه، يا أما عندك يا أما مش عندك، و ده بيسبب إحباط لناس كتير، لما بتفشل في تحقيق حلمها.

سابع نوع من أنواع الصعوبات و أخطرها، لأن الأنسان هو اللى عملها لنفسه من يوم وجوده على الأرض، هى صعوبه أنِك تكونى أمرأه. الأنسان ميز بين الرجل و المرأة من أول يوم على الأرض، فجعل المرأه دائماً تابع للرجل، أعتبرها جزء من أملاكه،

لدرجة أنها كانت أحياناً بتورث، بمعنى أن زوجة الأب كانت بتورث للأبن، أو زوجة الأخ كانت بتورث لأخوه.

المرأه أتحرمت على مر التاريخ من حقوق كتير جداً، ماليه، تعليميه، وظيفيه، أجتماعيه، للدرجه اللى وصلت أن لو حصل حاجه بين رجل و أمرأه، المرأه هى اللى بتشيل العار و المشاكل، و كان زمان الرجل بينكر و الموضوع بينتهى و بتشيله المرأه لوحدها، و بجد شكراً لعلوم الوراثه و الDNA، اللى فضحت و كشفت ألاف و يمكن ملايين الرجال اللى تنصلوا من أبوتهم، و أعتقد أنك ممكن تفتكر معايا 2 من الممثلين الرجال الموجودين حالياً في مصر، كل واحد منهم أنكر تماماً علاقته بأولاده، لكن الحمد لله الDNA فضح الأتنين.

صحيح المرأه بدأت تتساوى مع الرجل في بعض المجتمعات، لكن للأسف لسه عندنا فى مجتمعاتنا، اللى ما زال أسم الزوجه أو الأم عوره، فبتتنادى يا أم فلان، أو أحياناً باسم زوجها، أغلب حقوقها مُهدر، و ده بالنسبالى أسوأ و أخطر أشكال التمييز السبعه اللى ذكرتهم، و اللى منبعه الفكر الذكورى اللى حكم تفكير البشريه لقرون.

****

من السبع نماذج اللى ذكرتهم، حتلاقى معايا أن الحياه عمرها ما كانت عادله، فيها تمييز طول الوقت لناس على ناس، فيها ظلم، طيب يا ترى الناس أزاى تقبلت هذه الأشكال من الأختلافات، حتى من قبل ظهور الأديان و ليومنا هذا؟

المعتقد البشرى فى العداله أنقسم على مدار التاريخ البشرى ل3 أفكار، و أنا هنا بقول المعتقد، و ده معناه كل اللى البشريه صدقته، سواء كان منبعه دين -أياً كان- أو معتقد أو مذهب، أو حتى فكره بشريه.

أول فكره من المعتقدات البشريه لمفهوم العداله، هى فكرة وجود حياه أخرى أبديه، و أن حياتنا اللى بنحياها هى لحظه فى زمن الحياه الأبديه، و أن كل أنسان حيُجازى على قدر الصعوبات اللى صادفها في حياتها، و أن المنح و الهبات الألهيه هى أختبار صعب من الخالق، بينما الصعوبات هى المنحه الحقيقيه منه. علشان

كده لحد يومنا هذا فيه كتير من الناس مؤمنه بأن الأطفال اللى عندهم إعاقه ذهنيه هما ملايكه ماشيين على الأرض، و أنهم من أهل الجنه، لأنهم مرتكبوش أى نوع من الشرور، مع أن يُفترض أن الحساب يكون بقدر قدرتك على التمييز بين الصح و الخطأ، لكن الناس بتعتقد أن هذا النوع من الصعوبات -و أقصد بيها الذهنيه- هى بالفعل أختبار و أبتلاء، يضمن لصاحبه مكانه فى الجنه.

أول من أعتقد بفكرة الحياه الأخرى فى عالم أخر -حتى قبل الأديان الأبراهيميه- كان المصريين القدماء، و اللى كانوا أصحاب أول تصور لفكرة الحساب قبل رحلة العالم الأخر، و أن قلب الأنسان بيوضع فى كفة ميزان، و فى الكفه الأخرى "ريشة ماعت"، و اللى بترمز للعداله و الأخلاق، فلو كانت الريشه أثقل من القلب، فمعنى كده أن المتوفى كان شخص طيب و على خلق أثناء حياته، فبيدأ حياته الأخرى فى حديقة "الجنه". أما إذا كان القلب أثقل من الريشه، فمعنى كده أن المتوفى كان فى حياته شخص خاطئ و شرير، و هنا بيتم ألقاء القلب و الميت أمام حيوان خرافى بيكون واقف بجوار الميزان أسمه "عمعموت"، رأسه رأس أسد و جسمه جسم فرس النهر و له ديل تمساح، فبيقوم عمعموت بأكله، و بتكون دى نهاية المتوفى.

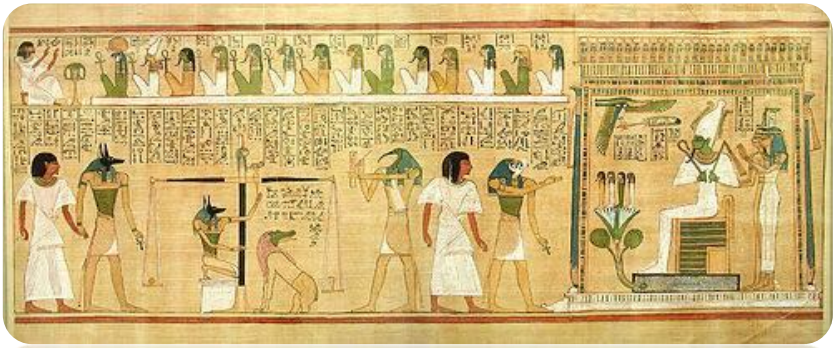

اليهوديه -أقدم الأديان الأبراهيميه- حصل فيها تغيير جذرى فى مفهوم الثواب و العقاب فى مرحلة البدايات، لأن اليهوديه ديانه كُتبت على مدار أكتر من 1500 تقريباً، ما بين أسفار موسى الخمسه، و أخر سفر كُتب فى التوراه. مكنتش فكره الحياه الأخرى موجوده من البدايه، بس تطورت الفكره مع الأيام، و بالمناسبه فهناك فئه كبيره من اليهود بيأمنوا أن الحياه الأخرة حتكون على الأرض، فيما يسمى "العالم الذى سيأتى"، و ده حيتحقق مع ظهور "المسيح" بمفهومه اليهودى، و هو المسيح اللى اليهوديه منتظراه، زى ما فى الأسلام فكرة "المهدى المنتظر.

إذن فأول فكره من الأفكار البشريه عن مفهوم العداله، هى فكرة وجود حساب بعد الموت، و تعويض لكل شخص كان عنده صعوبه في الحياه، و محاسبة كل أنسان أخد ميزه أكتر من غيره فى الحياه، عن كيفية أستغلاله للميزه دى، و هل أستغلها فى الخير و لا الشر، و تعويض الناس عن كل اللى شافوه فى الحياه الأولى الصغرى، فى الحياه الأخرى الأبديه، مع أعتبار الحياه الأولى هى دار أختبار و شقاء و بلاء، لكن كل أنسان فينا كان عنده أختبار مختلف تماماً عن غيره.

تانى فكره من المعتقدات البشريه، و المنتشره بشكل أساسى فى شرق أسيا عند كل الديانات الشرق أسيويه، سواء البوذيه أو الهندوسيه أو الچيانيه أو غيرهم، و هى فكرة دورات الحياه، و الأرتقاء بروحك بشكل تدريجى، من خلال أشكال مختلفه من الحيوات اللى الروح بتعيشها.

قبل ما أشرحلك الفكره خليني أديلك معنى 4 تعريفات مهمه جداً في الديانات الشرق أسيويه، و هي "سمسارا"، "كارما"، "موكشا" و " نيرڤانا ".

حأبدأ بأول تعريف و هو "سمسارا"، و معناها: تتدفق على أو تمر عبر، أما معناها الفعلى فهو الدورات ألا نهائيه من الولادة ، و الحياه و الموت ، والبعث من جديد.

تانى تعريف و هو "كارما"، و معناها ببساطة هو الجزاء على الأفعال، بمعنى أخر الثواب و العقاب على الأفعال اللى بنعملها أثناء حياتنا، لكن في الديانات الشرق أسيويه بيكون له شكل مختلف تماماً، حأشرحه على طول بعض ما أخلص التعريفات.

تالت تعريف هو "موكشا"، و هى مرحلة التحرر من السامسارا، يعنى خلاص الروح بتتخلص من مرحلة الدورات ألا نهائيه من الولادة، و الحياه و الموت ، والبعث من جديد.

رابع و أخر تعريف و هو "نيرڤانا"، و نيرڤانا هي المرحله النهائيه اللى بتعقُب مرحلة "موكشا"، و هى الهدف النهائى فى كل الديانات الشرق أسيويه، بمعنى هى أشبه بالجنه أو الحياه الأبديه في الديانات الأبراهيميه. فى مرحلة "نيرڤانا" بتوصل الروح لمرحلة السلام الأبدى، و بتتوحد فيها الروح مع روح الخالق.

و خلينى أبدأ فى شرح الفكره، الروح فى العقائد الهندية شئ مقدس جداً، و هى تمثل أساس الحياة كلها، و علشان كده لازم الروح تتطهر طول الوقت من أخطائها، و ده بيتم من خلال الأربع مراحل اللى أنا لسه ذاكرهم.

النظريه العقائديه بتقول أن لما أى أنسان بيموت، بتنتقل روحه لجسد كائن جديد لسه فى مرحلة الولاده، و دى هى "سامسارا"، و هى عملية أنتقال الروح طول الوقت من جسد لجسد، لكن الأنتقال ده بيكون له قواعد، و هى أن نتيجه أعمال الأنسان في الحياه اللى لسه مخلصها، بيكون أختيار الجسد الجديد اللى روح الأنسان اللى مات ده حتنتقله، يعنى لو كانت أعماله خيره، حينتقل لجسد شخصيه أعلى درجه من الشخصيه اللى كان فيها قبل كده كنوع من الثواب، و لو كانت أعماله سيئه، حينتقل لجسد شخصيه أقل كنوع من العقاب، و هنا الجسد الجديد ممكن يكون لأنسان أو حيوان أو نبات، و دى هى "كارما"، و اللى بتعنى الثواب و العقاب نتيجه سلوكياتك فى رحلة الحياه اللى الروح لسه مخلصاها. طبعاً الروح لما بتنتقل لدرجه أقل -حتى لو نبات-، تقدر تعلى فى دورة الحياه اللى بعدها لدرجه أعلى.

الروح بتفضل في دورات الحياه دى مش لمالا نهايه، لكن النهايه بتيجى نتيجه سلوكيات الروح، لأنها لو وصلت لأعلى درجه من الصفاء و السلوك القويم، بتنتهى من دورات الحياه ألا نهائيه دى، علشان كده تكون وصلت لمرحلة "موكشا"، و هي التحرر من دورات الحياه المستمره، علشان توصل بعدها لأعلى درجه و هى "نيرڤانا"، و هى توحد الروح مع روح الخالق، فى معتقد أشبه بفكرة "الروح القُدُس"

في المسيحيه، و أنا هنا بحاول أقرب الفكره، مش بقول أنها هى هى، لأن فى المُعتقد المسيحى دخول الروح القُدُس لروح أنسان سر من أسرار المسيحيه، لأنها بتديله قدرات أعلى من قدراته البشريه.

المُهم و علشان أختصر كل اللى فات، فشكل الثواب و العقاب على أفعال الأنسان فى الديانات الشرق أسيويه، هو أنتقال الأرواح لأجساد مختلفه طول الوقت، لحد ما بتوصل الروح لأعلى درجه من الصفاء، فبتتوحد مع الخالق فى مرحله أشبه بمرحلة الجنه في الديانات الأبراهيميه، بس خد بالك معايا أن عقاب الروح على أفعالها هنا بيكون أرضى، من خلال دخولها جسد أخر أقل، علشان تتطهر من أخطائها، مش سماوى زى الديانات الأبراهيميه.

بوذا و هو المعلم الأعظم للديانه، و بالمناسبه، فمن المفاهيم الخاطئه جداً أعتقادنا بأن البوذيين بيعبدوا بوذا، بوذا بالنسبه للبوذيين بشر عادى، لكنه المعلم الأعظم، و هو أقرب لفكرة الرسول فى الديانات الأبراهيميه، كان له رأى فى فكرة اللألم و المعاناه، و أسس مفهوم مهم جداً فى البوذيه حأكتبه من نص الكتاب نفسه، و هو الحقائق النبيلة الأربعة، اللى لخص بيهم بوذا مفهوم رحلة الحياة كلها و الحقائق النبيله الأربعه كما جاءت فى البوذيه هى:

1. **طبيعة المعاناه:**

و هى أن الولادة هى معاناة، والشيخوخة هى معاناة، و المرض هو معاناة، والموت هو معاناة؛ الحزن ، والرثاء والألم والأسف واليأس هى معاناة؛ الاتحاد مع ما هو محزن هى معاناة؛ الانفصال عن ما هو مرضي هو معاناة، عدم الحصول على ما يريد المرء هى معاناة.

2. **أصل المعاناه:**

و هو الحنين الذي يؤدي إلى تجدد الوجود، يرافقه البهجة والشهوة، السعي إلى الفرحة هنا وهناك هى أيضا كذلك، الشغف للمتع الحسية، الحنين للوجود، التوق للخلود.

3. وقف المعاناه:

و هى تتلاشى بعيدا دون عودة عند وقف الأعمال التي تشغف النفس، والتخلى والتنازل عن ذلك، والتحرر من ذلك، وعدم الاعتماد على ذلك.

4. **الطريق المؤدى إلى وقف المعاناه:**

و هو الطريق النبيل الثمانى، والذى هو النظر السليم، النية السليمة، الكلمة السليمة، العمل السليم، كسب الرزق السليم، الجهد السليم، الذهن السليم، التركيز السليم.

يعنى البوذية بأختصار بتعتبر أن الحياة هى مجموعة من دورات المعاناة اللى الروح بتعيشها، كل مرة فى جسد مختلف، لحد ما بتوصل للمرحلة النهائية و هى مرحلة "نيرفانا"، زى ما سبق و ذكرت.

تالت فكره عن مفهوم العداله حتخص قطاع كبير من ألا دينيين، و أنا هنا بقول قطاع كبير مش كل، لأن فيه كتير من ألا دينيين ربوبيين أو لا أدريين، و الفئتين دول معندهمش رأى قاطع هما متأكدين منه، بينما باقى ألا دينيين معتقدهم بأن مفيش حياه أخرى، أننا بنعيش حياتنا و بس، البعض منهم بيعتقد بأمكانية الوصول لمرحلة الخلود مع تقدم الطب و القدره على السيطره على أسباب الموت، و البعض الأخر بيعتبر بعض من السبع أنواع من الأختلافات بين البشر اللى أنا ذكرتها هى دليل على عدم وجود خالق، لأن من وجهة نظرهم ليه الخالق يخلق طفل مريض أو مشوه، أو أنه يترك شخص يعانى.

المجموعه دى بتعيش حياتها بشكل مادى جداً، و مادى هنا أكيد مش معناه الماديه من ناحية الفلوس، لكن أقصد الماديه فى كل تفاصيل الحياه، لأن المعاناه و الألم مش حيكون لهم مقابل فى أى حياه أخرى، لأن الحياه دى هي الأولى و الأخيره. علشان كده بيكون فكرة الأستسلام للألم و عذابات النفس و الجسد مرفوضه، لأن الحياه أقصر من أنهم يضيعوا وقت فيها، فبتكون فكرة الأختلاف عن الطبيعى أحياناً حافز للأبداع، مش للأستسلام.

أقرب و أقوى مثال ممكن أضربه -و غالباً حتكون أنت عارفه- هو ستيفن هوكينج، العالم الفيزيائى الأشهر بعد أينشتين، و اللى أصيب و هو فى مرحلة الشباب بمرض أصاب كل أطرافه و النطق عنده، و عاش باقى حياته على كرسى بعجل متركب فيه جهاز بيخرج الذبذبات من حنجرته لصوت، علشان يعرف يتواصل مع الناس، لأنه كان فاقد السيطره على كل أطرافه، فحتى مكنش يقدر يكتب.

بالمناسبه فأغلب علماء الفيزياء الكبار لا دينيين، و خاصة العلماء اللى بيتعاملوا فى الفيزياء الكونيه، و اللى هى أكبر شىء الفيزياء بتتعامل معاه و هو الكون، أو الفيزياء النوويه، و اللى بتتعامل مع أصغر شىء الفيزياء بتتعامل معاه و هو نواة الذره.

إذن فالفئه دى من البشر أعتبرت أى عيوب جسديه كأمر واقع مينفعش تضييع الوقت فى البكاء عليه، و قررت التعامل مع الحياه بمنطق أنها حياه واحده، فلازم نحاول الوصول لتحقيق أكبر قدر من الأنجازات، و تجاوز محنة الألم.

إذن و علشان أقفل الجزء ده من الفصل، فالغالبيه العظمى من البشر بتعتقد أن المعاناه ميزه أو منحه إلهيه، و أن الحياه ما هى إلا دار أختبار و شقاء و بلاء، لكن كل واحد فينا بيكون أختباره بشكل مختلف، مع إعتقاد بعض البشر فى فكرة تساوينا كلنا فى الحظوظ، و ده بيظهر فى فكرة "ال24 قيراط"، إن كل إنسان له نصيب من أشكال السعاده 24 قيراط، ناس بتاخدهم كلهم فلوس، ناس بتاخد جزء فلوس و جزء صحه، ناس بتاخد جزء أولاد و جزء نجاح...إلخ، المهم إن كل إنسان نصيبه من السعاده فى الحياه 24 قيراط، و دى واحده من أهم النظريات اللى الناس أوجدتها لنفسها لقبول فكرة الأختلاف و فكرة الألم، أما القاعده الرئيسيه للغالبيه العظمى من الناس، فهى أن الثواب على الألم حيكون فى الحياه الأخرى، و بقدر درجة الألم و التحمل بيكون الثواب.

قبل ما أنهى الجزء ده، أحب أوضح أنى كنت بس بستعرض مفاهيم البشر على كوكب الأرض عن فكرة قبول الأختلاف اللى هما ملهمش يد فيه، عن فكرة تحمل الألم أو المعاناه لوجود هدف أكبر، فأنا هنا تعمدت أكون محايد تماماً، و أستعرض كل وجهات النظر بدون أى تدخل أو إضافة أى رؤيه أو وجهة نظر.

****

فى الفصل ده، و اللى بعتبره الملخص لكل اللى أنا كنت عايز أوصله من خلال الكتاب ككل، عايز أقولك فيه أن كل واحد فينا أياً كان درجة معاناته، و هل هى خارجه عن إرادته أو لها أسبابها الخاصه بيه، قادر يحقق لنفسه "كارما" خاصه بيه على الأرض، و طبيعة "كارما" اللى أنا أقصدها، هى أننا نلاقى جزاء أو مقابل لكل حاجه بنعملها، لكل مجهود بنبذله، أننا نوصل لنتايج واضحه و مرضيه.

عايزك تسأل نفسك سؤال بسيط جداً، ليه كل الشركات فى الدنيا، سواء اللى بتنتج منتج مادى، زى العربيات، الغسالات، الكمبيوتر، الموبيل...إلخ، أو الشركات اللى بتنتج منتج غير مادى، زى التطبيقات و البرمجيات، طول الوقت بتعمل نسخ و إصدارات جديده من منتجها، أو جيل جديد من المُنتج، بالرغم من أن المستخدمين بيكونوا مبسوطين جداً و راضيين بالمنتج، و ممكن تكون الشركه محققه أرقام مبيعات فوق المتوقع.

الأجابة ببساطه، لأن الشركات المُنتجه دى، طول الوقت بتدور على تحقيق هدفين -بعيداً طبعاً عن الهدف المادى-، و هما التحسين و التطوير، و هناك فارق كبير جداً بين الأتنين.

التحسين هو عملية البحث الدائم عن الأخطاء و المشاكل و العيوب، بمعنى أن أى شركه بعد ما بيظهر لها أى إصدار أو جيل جديد من أى مُنتج، بتبدأ تدور على العيوب و المشاكل و الأخطاء اللى فيه، و ده من خلال أراء المستخدمين، أو عيوب ممكن تظهر مع الزمن، علشان تتلافاها فى الإصدار أو الجيل الجديد من المُنتج، فالشركات المحترمه في العالم طول الوقت شغلها الشاغل هو إكتشاف عيوب مُنتجها علشان تتلافاها فى الإصدار الجديد.

أما التطوير فهو بينبع من السؤالين المهمين جداً و هما: "هو أيه اللى ناقص في المُنتج ده؟"، أو "أيه جديد ممكن نضيفه على المُنتج ده؟". و من هنا بتظهر فكرة New features أو المزايا أو المميزات الجديده لأى منتج، و اللى بتكون أهم وسيله

للدعايه لأى إصدار جديد منه، سواء كان مادى أو غير مادى، و أحياناً بيُسمى التطوير ده "خاصيه جديد".

و من هنا بنشوف ليه العلم مش بيقف على منتج و بيقول خلاص هو كده أفضل حاجه ممكن تُخرج من المُنتج ده، لأ، أنت طول الوقت بتشوف تطوير فى كل مُنتج حواليك. طيب أيه علاقة ده بكلامنا، و هل ممكن ربطه بفكرة "كارما" ذاتيه ممكن تحققها لنفسك؟

ببساطه أنا عايزك تتعامل مع نفسك كمُنتج أو تطبيق، بمعنى أنك تحاول كل فتره تخرج إصدار جديد منك، و الأصدار ده تكون أشتغلت فيه على تحسين و تطوير نفسك، بمعنى إكتشاف بعض العيوب، و إضافة بعض المزايا. أسعى طول الوقت للوصول لأفضل نسخه منك، و أفضل هنا هى صيغة مقارنه بمعنى أنها أحسن من اللى قبلها، لأن مفيش حاجه في الدنيا أسمها "الأفضل على الأطلاق.

حاول تعيش حياتك بمفهوم "سامسارا" و "كارما"، بمعنى أنك تحاول ترتقى بنفسك طول الوقت، تقسم حياتك لمراحل، زى فكرة الحيوات فى الديانات الهنديه، و اللى هى "سامسارا"، فحتلاقى تلقائى نتايج كل مرحله حتقودك للمرحله اللى بعدها، و دى "كارما". حاول لو وقعت و الحياه عاقبتك، أنك تعيد حساباتك في المرحله اللى بعدها، و تبدأ تطلع مرحله مرحله مره تانيه. هو صحيح عمرك ما حتوصل للمرحلتين الأعلى "موكشا" و "نيرڤانا"، لأن مفيش فى الحياه فكرة الكمال أو الصح المطلق، لكن زى ما سبق و قلت، حاول توصل لأفضل إصدار منك.

و من النقطه دى، حأدخل معاك على فكرة "الصح" و "الغلط". أنا طول عمرى مؤمن بأن فيه شئ أسمه "غلط"، لكن مفيش شيء في الدنيا أسمه "الصح"، لأن الصح طول الوقت هو شئ نسبى جداً، أحنا اللى بنضع قواعده بنفسنا. الغلط نقدر نعرفه ببساطه أنه أى شئ ممكن يسبب ضرر أو مشكله، لكن الصح عمره ما كان له تعريف، و خلينى أضربلك مثال بقوانين المرور.

أنت لو كسرت إشارة مرور، بمعنى لو عديت و الإشاره المخصص ليك لونها أحمر، ممن بنسبه كبيره جداً تخبط عربيه تانيه ماشيه في الإتجاه المسموح له بالمرور، فده

"غلط" واضح، لكن فكرة أن العربيات تمشى يمين الطريق زى المملكه المتحده أو شماله زى باقى الدول، فده صح نسبى، خاضع لقوانين كل دوله.

كمان فكرة تحديد السرعه هى شئ نسبى، خاضع للضغط المرورى على كل طريق، فأحياناً لو عربيه مشيت ببطء على طريق سريع بيكون خطر أكبر بكتير من مشيها سريع، لأن سرعتها مش بتكون متناسبه مع سرعة باقى العربيات، فممكن بسهوله جداً تتعرض لأى تصادم مع عربيه تانيه مسرعه، أو أضعف الأيمان ممكن تُعيق حركة المرور فى الطريق ده.

مثال تانى مهم جداً أحب أضربه، و هو عقوبة القاتل، هل يُفضل أن القاتل يتم إعدامه و أنهاء حياته، و لا كده القانون يكون بيصلح غلط بغلط تانى، ممكن كمان يكون أكبر. هل من الأفضل أعطاء فرصه حياه تانيه لشخص ممكن يكون أخطأ في لحظه غضب أو ضعف أو خروج عن الصواب، و لا ننهى حياته و ممكن معاها كمان تتأثر حياة كل الناس المسئوله منه. ده برضه شىء نسبى جداً، بدليل أن فى الولايات المتحده، كل ولايها لها قوانينها، و فيه ولايات بتطبق عقوبة الإعدام، و ولايات تانيه مش بتطبقها.

بأختصار أنا عايز أوصلك أن مفهوم "الصح" بكل أشكاله فى الحياه هو نسبى، أنت اللى بتحدده لنفسك بناء على ظروفك أنت، على أمكانياتك، على عشرات التفاصيل الخاصه بيك أنت، مش بأى حد تانى.

و أخيراً و قبل ما أنهى الجزء ده، و بما أن الحياه فى الأساس ظالمه، و بما أننا داخلين سباق الحياه مش بنفس الأمكانيات، فبالتالى معايير نجاحنا لازم برضه متكنش واحده، متظلمنش نفسك طول الوقت بمقارنات مش حقيقيه مع الأخرين، لأنك غيرهم، أنت حتى لو لك أخ توأم، فأنتم شخصين مختلفين تمام الأختلاف، فأنت اللى حدد معاييرك، و بناء عليها طور من نفسك، عيش تجربة الأصدارات الجديده من نفسك طول الوقت، عيش حياتك بمفهوم "سامسارا" و "نيرڤانا"، قسمها مراحل، حتلاقى أن الحياه أصبحت أسهل في التعامل معاها.

****

بعيداً عن فصلى البدايه و النهايه، و اللى أنا تعاملت معاهم كمقدمه و خاتمه للكتاب، فأنا أخترت فى ال13 فصل الأخرين 13 موضوع كل واحد فيهم بيناقش أكتر من مشكله، لكن داخل نفس الأطار العام، ال13 مشكله دول أنا على مدار حياتى كلها، أكتشفت أنهم أهم المشاكل البشريه المُزمنه، بمعنى أنها موجوده فى كل زمان و مكان، و اللى بسببها كتير من محاولاتنا لتحقيق أى نجاح بتفشل، سواء كان نجاح على مستوى العمل، العلاقات الشخصيه، أو حتى على المستوى الشخصى أو الأنسانى، و أنا مش بستثنى نفسى على الأطلاق، بالعكس كل تجربه غلط فى حياتى علمتنى، و الغلط بيعلم أكتر من الصح.

المشاكل دى اللى أنا أخترتها فى الكتاب، هى مشاكل مرتبطه بالأنسان أينما وجد، و من هنا كان الأسم الفرعى للكتاب "عن الأنسان فى ألا زمكان"، بمعنى أنى رصدت نفس المشاكل مئات المرات بمئات الأشخاص فى بيئات مختلفه تماماً، لأن ببساطه الأنسان هو الأنسان، صحيح فيه عوامل كتير بتأثر فيه و بتخلى شخصياتنا مختلفه مع الوقت، لكن الفطره اللى مولود بيها كل الناس هى واحده، و لو شخص فرنسى مثلاً أتولد أو حتى عاش فى مصر لفتره، حتلاقيه أصبح يحمل طباع المصريين، لأن المناخ العام أثر فيه، و أنا ضربت المثال ده تحديداً لأنه شفته أكتر من مره، و من جنسيات مختلفه عايشه فى مصر، فرنسيين، هنود، سوريين، أمريكيين، كلهم تحولوا لمصريين، نتاج البيئه اللى عاشوا فيها.

مره تالته و أخيره فى الكتاب ده حأكررلك أنى مش بأكتب الكتاب ده خالص علشان أقولك أن الحياه حلوه، لأ على الأطلاق، لكنى بحاول في الكتاب ده أساعدك تعدى تجربة الحياه بأفضل صوره من خلال أمكانياتك أنت، و فى النهايه فكل اللى كتبته كان هو وجهة النظر الخاصه بيه، و المبينه على ألاف التجارب الشخصيه و المشاهدات و القراءات، مئات المشاكل اللى شفتها بعينى، و اللى تشابهت في كل حاجه، ما عدا الأشخاص، بمعنى أن الغلط البشرى متشابه و متكرر، و للأسف الغالبيه العظمى من البشر لا تتعظ بتجارب الأخرين، لكن الأنسان -زى ما بنقول- لازم يتقرص علشان يتعلم، و أحياناً بيحتاج يتقرص أكتر من مره علشان يتعلم، و أفتكر مقوله شهيره لأينشتين لما سُأل عن أيه اللى مقدرش يفهمه فى الكون، فجاوب

أن الحاجه الوحيده اللى لم يجد لها تفسير فى الكون، أن إنسان يكرر نفس الغلطه فى نفس الظروف.

يمكن تلاقى نفسك فى واحد من فصول الكتاب ده، يمكن أكون أتكلمت عن مشكله تشبه مشكلتك، أو يمكن أكون قدرت أنى أعمل معاك نوع من العصف الذهنى، يساعدك على إعادة التفكير فى حياتك، أو أضعف الأيمان أكون شاركتك ببعض خبراتى و مشاهداتى و اللى نتج عنها وجهات نظرى، جايز تتفق معايا فى بعضها، و جايز تختلف معايا فى البعض التانى، لكن فى النهايه أكيد أنا و أنت حنستفيد من الخلاف ده، لأنى بحاول طول الوقت أعمل بكل اللى نصحت بيه على مدار الكتاب كله، و أهمها تطوير نفسى، و أنى أعمل إصدار أو نسخه جديده منى كل فتره.

فى النهايه و بالأضافه لكل الأقتراحات و النصايح اللى كتبتها على مدار الكتاب، فعندى كام نصيحه أخيره، أو زى ما بتتسمى Famous last words أحب أقولهم، حيساعدوك كتير فى تحقيق "كارما" خاصه بيك، بعيداً عن عدم عدالة الحياه، لكن على الأقل ممكن تحقق عداله ذاتيه لنفسك، و "كارما" خاصه بيك، لما تلاقى نتيجه لمجهودك طول الوقت.

أولاً، أعتبر أن صحتك و وقتك و عقلك هما الكنز الحقيقى اللى بتملكه فى الحياه، هما اللى حتقدر تحقق بيهم أى حاجه، الفلوس مهمه جداً بالتأكيد، بس فيه ناس كتير بدماغها بس قدرت تحقق نجاح، لأن هما خلوا الفلوس هى اللى تجرى وراهم، و من فتره كنت بتفرج على برنامج "Shark Tank"، و شفت عشرات الأفكار الرائعه، أفكار كتير منها بره الصندوق، خلت المستثمر هو اللى يجرى عليه، و خلينى أضربلك مثال بشاب مصرى عمل تطبيق موبايل، من غير ما يملك أكتر من قدرته على عمل التطبيق، التطبيق ده أصبح التطبيق رقم واحد فى مصر فى النقل الجماعى، و تم شراءه من قبل مستثمرين، و كسب من وراه ملايين، و يمكن تكون أكتر. أو مارك زوكربرج اللى عمل تطبيق Facebook، و اللى أصبح حالياً من أغنى أغنياء العالم.

ثانياً، متخليش الحياه هى اللى تمشيك، حاول تكون دايماً أنت القائد في حياتك، حاول تتحكم فى وقتك، علم الناس أزاى يحترموك بأنك تفرض أسلوبك أنت، يعنى

أنا من الحاجات اللى خلتها نهج في حياتى أنى عمرت ما أتأخرت على ميعاد، و في نفس الوقت مبستناش أى أنسان -حتى لو أنا اللى محتاجه- أكتر من 20 دقيقه، علشان ميتعودش يفرض أسلوبه عليا فيتأخر كل مره. فى النهايه نظم وقتك زى ما أتكلمنا في فصل اللعبه، حتلاقى حياتك أفضل بكتير.

ثالثاً، أبدأ دايماً من حيث أنتهى الأخرون، فيه مثل مصري بيقول "أنت مش حتخترع العجله"، بمعنى أنك متضيعش وقتك فى حاجه هى موجوده قبل كده، كمل عليها. مثال بشوفه كتير فى مصر فى مختلف المجالات، أن فيه ناس لسه بتضيع وقتها فى حاجات، الكمبيوتر بيعملها في كسر من الثانيه، أنا أعرف كافيه كبير ملك مجموعه من الشباب أنا أعرفهم، بيشتغلوا لحد دلوقتى بالحسابات الورقيه، مع أن فيه عشرات التطبيقات اللى بتعمل ده فى ثانيه، و ممكن ده يوفرلهم وقت و مجهود، مع تقليل نسبة الخطأ في الحسابات. كمان فيه مدرسين كتير شفتهم، مش قادرين يستفيدوا من التطور الرهيب فى طرق توصيل المعلومه، أو طرق الشرح و التدريس، لأن عقلهم وقف على كده. بس مش ده اللى أنا قصده بالضبط، أنا أقصد أنك أستفيد طول الوقت من تجارب الناس اللى سبقتك فى نفس مجالك، لأن ده حيوفر عليك كتير جداً و أنت بتبدأ، لأن خبراتهم دى حتوفر عليك وقت و مجهود، و تضمنلك بدايه صح.

رابعاً، حدد علاقتك بالناس من خلال فكرة الZones أو دواير العلاقات، خلى علاقتك بكل شخص محدده المعالم، لها شكل و أهداف و أطر متخرجش عنه، و متسمحش للناس اللى فى دواير علاقات بعيده أنها تقتحم حياتك، Keep your distance، أو حافظ على مسافه أمنه فى كل علاقاتك، لأن تخطى المسافه الأمنه دى، دايماً بيكون له عواقبه و أضراره، اللى ممكن تخسرك كتير جداً في حياتك.

خامساً، حدد فى كل مرحله من مراحل حياتك أهدافك منها، متشتتش نفسك فى أكتر من هدف فى نفس الوقت ممكن يكون بينهم تعارض، النصيحه دى لسه كنت بقولها لشخص من أقل من شهر، كان عايز يحقق 3 أهداف فى وقت واحد كلهم متعارضين مع بعض، لأن أشتراطات تحقيق كل هدف منهم، تعارض تماماً أشتراطات تحقيق الهدفين الأخرين، فيا ريت ترتب أهدافك تبعاً لأولوياتها بالنسبالك، و تبعاً

برضه لأيه بيوصل لأيه، بمعنى أيه الهدف اللى ممكن يوصلك لباقى الأهداف و أبدأ بيه أولاً.

سادساً، متبدأش أى مشروع فى حكايتك، لو كنت مش عامل خطه لتنفيذه لحد أخر خطوه، لأن أسوء شىء فى الحياه أى خطوه أو مشروع ميكملش، لأنك بستنزف فيه وقتك و فلوسك و قبلهم نفسك بدون فايده، ده غير الأثر النفسى اللى ممكن يصيبك من إحباط و فقدان القدره على المحاوله مره تانيه.

سابعاً، أعمل بنصيحة أينشتين، النصيحه اللى المفروض أن كلنا نكون ماشيين عليها من غير حتى أينشتين أو غيره ما يقولها، و هى أنك متكررش نفس الغلطه مرتين في نفس الظروف، بمعنى أنك لو حاولت فى شىء و منجحتش فيه، متكررش المحاوله مره تانيه غير لو الظروف اللى أدت لعدم نجاحه تكون أتغيرت -طبعاً للأفضل- أو العوائق اللى وقفته أول مره تكون زالت، و إلا حتكون بتحاول تكرر الفشل مره تانيه.

ثامناً، و أنت بتخطط لأى حاجه أعمل حساب The worst case scenario أو توقع أسوء الفروض و أبنى عليها، لأنك فى الحاله دى حتكون أمنت نفسك من أي مفاجئات سيئه ممكن تقابلك في طريقك، و في نفس الوقت لو الأمور مشيت من غير أي مفاجئات سيئه، تكون وفرت و كسبت كتير، بس أوعى تبنى فى حياتك خطه متفائله، و مش معمول فيها حساب أي معوقات.

تاسعاً، أحذر من أنك تلعب مع حياتك لعبة نظرية رهان باسكال، و رهان باسكال بأختصار هو نظريه فلسفيه بتناقش فكرة الأديان و وجود الله، فباسكال بيقول أن طالما أن مفيش حاجه تؤكد وجود الله أو لأ، فالأفضل الأيمان بوجوده، لأن لو أفترضنا وجوده و أكتشفنا عدم وجوده، فمش حنخسر حاجه، أما لو أفترضنا عدم وجوده و أكتشفنا وجوده فحنخسر كل حاجه، خاصة فى الحياه الأخرى. النظريه دى بعتبرها واحده من أسوء النظريات فى تاريخ البشريه، و هى بتتمثل فى أشكال كتير في حياتنا، فى فكرة المشى جنب الحيط، فى فكرة اللى نعرفه أحسن من اللى منعرفوش، فى مبدأ اللعب على ما نظنه مضمون. بأختصار أنا بعتبرها نظرية الجبناء، لأن مينفعش تعمل أى شىء فى الحياه، بدايةً من أول أيمانك بالله، لأختيارك أبسط شىء

فى حياتك و أنت متشكك، لازم كل قرار في حياتك يتنبنى على الأقتناع، على الأيمان الراسخ بالشئ اللى أنت بتعمله، على تصديق نفسك، و إلا فأنت أخترت رهان خاسر فى الحالتين.

عاشراً، أحذر أنك تعمل أى شيء أكتر من المطلوب منك، أكتر من حدود المهام الوظيفيه بتاعتك، أو حدود المُطالب بيه فى العلاقات الأنسانيه، متعرضش خدماتك فيما هو لا يخصك، سواء فى إطار العمل أو الحياه العامه، لأنك لو عملت غير كده، حتكون النتايج مش كويسه عليك، لأن الناس للأسف حتبدأ تعتبر الخدمه اللى أنت عملتها تطوعاً، أمر مفروض عليك، و تلاقى نفسك طول الوقت مطالب بيها، و مع مرور الوقت ممكن تتحاسب عليها لو معملتهاش، و ممكن كمان اللى يحاسبك، يكون هو الشخص المطلوب منه المهمه دى أساساً. فحاول دايماً تلتزم بمهامك الوظيفيه بس، و ألتزم فى حياتك و فى كل علاقاتك بالشئ المطلوب منك بس، لأن طول الوقت الناس لو قدمتلها خدمه حتطالبك بأكتر، و حتلاقى نفسك مش قادر تخلص من المأزق اللى أنت رميت نفسك فيه.

22 فبراير 2024

شكراً

لكل من شجعني على الكتابة،
لكل من ألهمني فكرة أو تفصيلة في هذا الكتاب،
لكل من أضاء لي شمعة أنارت لي جزءاً من الطريق،
لكل من نقدني سواء سلباً أو إيجاباً،

و أخيراً،

لكُ أنتِ يا من تكبدتِ عناء قراءة جزء من هذا الكتاب،
لأنكُ كنتِ مصدر ضوء جديد أنار لي نحو مزيد من المعرفة.

شريف
مارس 2024

للتواصل أمسح الرمز:

اللمبة

شريف حسين

"مقولة شهيرة لأينشتين لما سُأل عن أيه اللي مقدرش يفهمه في الكون، فجاوب أن الحاجة الوحيدة اللي لم يجد لها تفسير في الكون، أن إنسان يكرر نفس الغلطة في نفس الظروف."

"عن الإنسان في اللا زمكان"

إيوان